

الكتاب : تحفة العروس

مجدى بن منصور بن سيد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،
إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } .
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } .
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور
محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر
الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

بين يديك أحيى في الله كتاب قد حوى بين دفتيه كلمات موجزات في بيان السبيل الذى شرعه الله تعالى
لحفظ الأنساب وعماراة الكون (الزواج) ذلك السبيل الذى شرعه تعالى لعباده لإشباع الغريزة الجنسية
ولحفظ الأنساب ، فالحمد لله تعالى أن جعل من شرعه تعالى الزواج ليكون سبيلاً لعماراة الكون ، بل
ولقضاء شهوته وله في كل هذا الأجر .

(1/1)

فالزواج سكن ، حرث الإسلام ، إحصان للجوارح ، طريق العفة ، متاع للحياة ، آية من آيات الله -
عز وجل - كما أخبر فى كتابه العزيز : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الروم : ٢٠) .

فهى كلمة أهمس بها فى أذن كل شاب وفتاة يتطلع إلى بناء الأسرة الإسلامية السعيدة ، التى تتخذ من كتاب ربها وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - منهجاً وسبيلاً ، وإلى كل عروسين تبدأ بهما مركب الحياة فى السير نحو الآخرة ، فهو إلى الشباب بمحدث الشباب .

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

ولقد قسمت الكتاب إلى قسمين : حاولت فى القسم الأول من الكتاب أن أبين لكل شاب قد تأهب للزواج ما هو الطريق والسبيل الذى يجب عليه أن يسلكه عند اختياره لزوجته المستقبل ، ولكل فتاة قد تقدم لخطبتها زوج المستقبل ، ما هى المعايير التى وضعها الإسلام فى اختيار الزوجة والزواج ، فهذه أهم خطوات الرجل والفتاة فى حياتهما ، وهى المركب إلى سيعتليها الرجل والمرأة فى بحر الحياة المتلاطم الأمواج ، فلينظر كل إلى صاحب المجداف الآخر .

ثم ما هى الخطوات التى وضعها الإسلام للخطبة والزواج ، وما يستتبع هذا العقد والميثاق الغليظ كما سماه تعالى : (وَأَخْذُنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء : ٢١) هذا الميثاق الذى سيربط الطرفين برباط الود والحب إلى يوم القيامة ، ثم تحدثت عن ليلة الزفاف وما على الرجل والمرأة فيها من آداب .

(٢/١)

يستعرض الكتاب تلك الرحلة الشباب المباركة التى يقطعها الشاب المسلم بحثاً عن الزوجة المثالية التى تشاركه عمره فى طاعة الله - عز وجل - ، فيستعرض الكتاب مراحل تلك الرحلة بداية من بيان المواصفات والأسس التى وضعها الإسلام لإختيار الزوجة الصالحة ، ثم ما هى المواصفات التى على الزوج التحلى بها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

ثم يستعرض الكتاب بعض ما يعنّ ويعرض للخاطب من مسائل تتعلق بالخطبة وأحكامها ، والصدّق والكفاءة ، وغير ذلك من المسائل نحو :

— الرؤية الشرعية وأحكامها .

— ماذا يحل للخاطب من خطيبته .

— ماذا يحل للخاطب بعد عقد النكاح .

— هل للخاطب أن ينفق على مخطوبته وهى لم تنزل فى بيت أبيها .

— حل الذهب المخلق للنساء .

— أحكام الزفاف : مكان العقد ، الولى ، أركان العقد وشروطه ، الدعاء للعروسين ، الوليمة ، إلى غير ذلك .

- بحث في أحكام الخلع .
- بحث في أحكام الزواج العرفي .
- وصايا للبيت السعيد .
- حق الزوجة .
- حق الزوج .
- سلوكيات للزوجين .
- ثم يتعرض الكتاب لأحكام الجماع ومسائله ، ومنها :
- أحكام الجماع وكيفية بدء ليلة الزفاف .
- تحريم جماع الدبر والحيض .
- علاج سرعة القذف .
- الأعشاب والأدوية التي تزيد في الباه .
- فوائد الجنس ومضاره .
- حكم العزل .
- علاج الربط ليلة الزفاف .
- فإن أسأل عن يكون عملي صواباً وخالصاً لوجهه الكريم ، وإن كان ما سطرته صواباً فمن الله وحده ، وإن كان ثم خطأ فمني والشيطان ، والله ورسوله برئ منه .
- مجدي بن منصور بن سيد الشورى
- كلمة شكر

(٣/١)

واتباعاً لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (١) أتقدم بكلمة شكر للأستاذ : محمود مهدي الاستانبولي ، لسبقه بالتأليف في هذا الموضوع الطيب بكتابه القيم "تحفة العروس" والذي جمع صنوفاً من العلم لا يجحدها إلا كل مكابر ، والذي يعد مرجعاً هاماً لكل شاب وفتاة يُقدم على الزواج .

ولقد زدت في كتابي هذا بعض المسائل التي لم يتعرض لها أو زيادة تفصيلها وبيانها لها حفظه الله تعالى ، كمسألة الخلع ، والزواج العرفي ، وحكم العزل ، وحل الذهب المخلق ، وقضية الربط ليلة الزفاف ، وفوائد الجنس ومضاره ، والختان ، وغير هذا مما سيمر بك إن شاء الله تعالى .

إلا أن الكتاب يُعد مرجعاً هاماً لكل من جاء بعده وصنف كتاباً على نفس الوتيرة — وإن لم يسند الأمر

لأهلله — فجزاه الله عنا كل خير وجمعنا الله وإياه تحت لواء نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — ، آمين

— الترغيب في الزواج :

(١) حسن : أخرجه احمد وأبو داود والترمذى وغيرهم .

(٤/١)

قال تعالى : (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (النور : ٣٢) وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف : ١٨٩) وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء : ١) ، وقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم : ٢١) ، وقال تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) (النحل : ٧٢).

وكان — صلى الله عليه وسلم — وهو من كان القرآن خلقه يحث على الزواج ويرغب فيه ، رولا البخارى عن عبد الرحمن بن يزيد قال : "دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ — صلى الله عليه وسلم — شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ " (١) .

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٠\٥) ومسلم (١٠١٨\٢) .

(٥/١)

— قوله — صلى الله عليه وسلم — الباءة : بالهمز وتاء تأنيث ممدود وفيها لغة أخرى بغير همز ولا مد وقد يهمز ويمد بلا هاء ويقال لها أيضا الباهة كالأول لكن بهاء بدل الهمزة وقيل بالمد: القدرة على مؤن

النكاح ، وبالقصر الوطء ، قال الخطابي : المراد بالباءة النكاح وأصله الموضع الذى يتبوؤه ويأوى إليه ، وقال المازرى : اشتق العقد على المرأة من أصل الباءة لأن من شأن من يتزوج المرأة أن يبوءها منزلاً ، وقال النووى : اختلف العلماء فى المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد أصحهما أن المراد معناها اللغوى وهو الجماع ، فتقديره : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهى مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطع الوجاء ، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً .

والقول الثانى : أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح سميت باسم ما يلزمها، وتقديره : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته والذى حمل القائلين بهذا على ما قالوه .
— قوله — صلى الله عليه وسلم — : "وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ" قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة على المؤن ، وانفصل القائلون بالأول عن ذلك بالتقدير المذكور ، اهـ .

والتعليل المذكور للمازرى ، وأجاب عنه عياض بأنه لا يبعد أن تختلف الاستطاعتان فيكون المراد بقوله — صلى الله عليه وسلم — : "مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ" أى بلغ الجماع وقدر عليه فليتزوج ويكون قوله — صلى الله عليه وسلم — : "وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" أى من لم يقدر على التزويج .

(٦/١)

— قوله — صلى الله عليه وسلم — : فَلْيَتَزَوَّجْ : زاد (١) فى "كتاب الصيام" من طريق أبى حمزة عن الأعمش هنا "فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ" .

— وقوله : "أَغْضُ" : أى أشد غصاً ، "وَأَخْصَنُ" أى أشد إحصاناً له ومنعاً من الوقوع فى الفاحشة .
— قوله : "فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءَ" أى حصى .

واستنبط القرافى من قوله : "فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءَ" أن التشريك فى العبادة لا يقدر فيها بخلاف الرياء لأنه أمر بالصوم الذى هو قربه وهو بهذا القصد صحيح مثاب عليه ومع ذلك فأرشد إليه لتحصيل غرض البصر وكف الفرج عن الوقوع فى المحرم ، اهـ (٢) .

وفى الصحيحين عنه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : "تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِرَبْعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرُ بَذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ " (٣) .

وعن أنس — رضي الله عنه — : "أَنْ تَفَرَّأَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ — صلى الله عليه وسلم — سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ — صلى الله عليه وسلم — عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا أَكُلُ اللَّحْمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذًا وَكَذًا ، لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (٤) ، وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس يرفعه قال - صلى الله عليه وسلم - : "لَمْ تَرَ لِلْمُتَحَائِنِ مِثْلَ النِّكَاحِ" (٥) .

(١) البخارى .

(٢) فتح البارى (١٠٨\٩) .

(٣) أخرجه البخارى (١٩٥٨\٥) ومسلم (١٠٨٦\٢) .

(٤) أخرجه البخارى (١٩٤٩\٥) ومسلم (١٠٢٠\٢) .

(٥) صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وغيره .

(٧/١)

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول - صلى الله عليه وسلم - : "الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ" (١) .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يحرّض أُمَّتَهُ عَلَى نِكَاحِ الْأَبْكَارِ الْحَسَنَاتِ وَذَوَاتِ الدِّينِ فَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - صلى الله عليه وسلم - قال : "الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ" (٢) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَغْذَبُ أَقْوَاهَا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ" (٣) ، ولما تزوج جابر - صلى الله عليه وسلم - ثيباً قال له : "أَلَا تَزَوَّجْتَهَا بُكَرًا ثَلَاثًا وَثَلَاثًا" (٤) .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) حسن : أخرجه النسائي وأحمد .

(٣) صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٨٦١) والبيهقي (٨١\٧) وانظر : السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله تعالى (٦٢٢) .

(٤) أخرجه البخارى (٢٠٠٨\٥) ومسلم (١٧٦\٤) وأحمد (١٤٤٨٢) واللفظ له .

والزواج بالبكر يولد رابطاً قوياً بين الرجل بين المرأة ، هذا الرابط النفسى الذى لا يفارق المرأة طيلة حياتها ، فلا تنسى أبداً أول رجل مد يده إليها وتحسسها وقبلها وفض بكارها ، وأول من همس فى أذنها

بكلمة "أحبك" ، وأول من التصق بجسدها بعد قلبها وعقلها ، فيا له من إحساس لا تدركه إلا كل فتاة اتخذت القرآن منهجاً وسبيلاً .

(٨/١)

وكان - صلى الله عليه وسلم - يحث على نكاح الولود ويكره المرأة التي لا تلد كما في سنن أبي داود عن معقل بن يسار : "جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة فنهاه ، فقال : تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم (١) " (٢) .

— وقال - صلى الله عليه وسلم - : "تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم" (٣) .

وقيل :

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

— الزواج من سنن المرسلين :

والزواج من سنن المرسلين كما أخبر تعالى في كتابه العزيز : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) (الرعد : ٣٨) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : "أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحياء" (٤) .

— وبشر - صلى الله عليه وسلم - طالب العفاف بعون الله تعالى ، فقال : "ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والتاكي الذي يريد العفاف" (٥) .

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٢٠\١) والنسائي (٧١\٢) وغيرهما .

(٢) انظر : زاد المعاد (٩٥\٥) بتصرف .

(٣) صحيح : أخرجه ابن ماجه (٦٠٧\١) .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٤١٢\٥) .

(٥) حسن : أخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد (٢٧٤\١) والترمذي والنسائي .

(٩/١)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : "التمسوا الغنى في النكاح ، يقول الله - عز وجل - : (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١) .

— وكان هديه — صلى الله عليه وسلم — فيه "أكمل هدى يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية :

— أحدها : حفظ النسل ودوام النوع إلى إن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم .

— الثاني : إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن .

— الثالث : قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال .

وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ، قال جالينوس : الغالب على جوهر المنى النار والهواء ومزاجه حار رطب لأن كونه من الدم الصافي الذي تغتذى به الأعضاء الأصلية ، وإذا ثبت فضل المنى فاعلم أنه لا ينبغي إخراجها إلا في طلب النسل أو إخراج المحتقن منه فإنه إذا دام احتقانه أحدث أمراضاً رديئة منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يرى استعماله من هذه الأمراض كثيراً فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سمية توجب أمراضاً رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعة بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع .

(١) أخرجه الطبري (١٢٦\١٨) .

(١٠/١)

وقال بعض السلف : ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثاً : أن لا يدع المشى فإن احتاج إليه يوماً قدر عليه ، وينبغي أن لا يدع الأكل فإن أمعاه تضيق ، وينبغي أن لا يدع الجماع فإن البئر إذا لم تترح ذهب ماؤها ، وقال محمد بن زكريا : من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعصابه وانسدت مجاريها وتقلص ذكره ، قال : ورأيت جماعة تركوه لنوع من النقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم . اهـ .

ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دينه وأخراه وينفع المرأة لذلك كان - صلى الله عليه وسلم - يتعاهده ويحبه ويقول : "حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (١) .

— التحذير من الزنا :

(١) صحيح : أخرجه النسائي (٦١\٧) وأحمد (١٢٨\٣) .

والزواج حصن واقى بين العبد وبين الوقوع فى الزنا ، وهو من أعظم الكبائر ، وقد حذر تعالى من الزنا ومفسدته ، فإنه "لما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاصد وهى منافية لمصلحة نظام العالم فى حفظ الأنساب وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقى ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه ، وفى ذلك خراب العالم كانت تلى مفسدة القتل فى الكبير ولهذا قرنها الله سبحانه بها فى كتابه ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فى سننه كما تقدم ، قال الإمام أحمد : ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنا ، وقد أكد سبحانه حرمة بقوله : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) (الفرقان : ٦٨) الآية ، فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس وجعل جزاء ذلك الخلود فى النار فى العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد وجب ذلك بالتوبة والإيمان والعمل الصالح .

وقد قال تعالى : (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (الإسراء : ٣٢) فأخبر عن فحشه فى نفسه وهو القبيح الذى قد تنهى قبحه حتى استقر فحشه فى العقول حتى عند كثير من الحيوانات كما ذكر البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودى قال : "رأيت فى الجاهلية قرداً زنا بقردة فأجتمع القردود عليهما فرجوها حتى ماتا" (١) ، ثم أخبر عن غايته بأنه ساء سبيلاً فإنه سبيل هلكة وبوار وافتقار فى الدنيا وسبيل عذاب فى الآخرة وخزى ونكال ولما كان نكاح أزواج الآباء من أقبحه خصه بمزيد ذم فقال أنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له إلى الفلاح بدونه فقال : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) إلى قوله : (فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (المؤمنون : ١-٧) وهذا يتضمن ثلاثة أمور من لم يحفظ فرجه يكن من المفلحين وأنه من الملوين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع فى اللوم فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها أيشر من بعض ذلك ونظير هذا أنه ذم الإنسان وأنه خلق هلوعاً لا يصبِر على شر ولا خير بل إذا مسه الخير منع وبخل وإذا مسه الشر جزع إلا من استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (المؤمنون : ٥-٧) وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم وأن يعلمهم أنه مشاهد

(١) أخرجه البخارى ، قلت : وهذا هو حال القردة ، فما بال أقوام لم يتساوى بالقردة ، ومات فيهم الحس الدينى والغيرة على أعراضهم ، وكفاهم تقليد أخوان القردة والخنازير . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(١٣/١)

لأعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدما على حفظ الفرج فإن الحوادث مبدأها من النظر كما أن معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة ثم خطوة ثم خطيئة ، ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه : اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات ، فينبغى للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة ويلتزم الرباط على ثغورها فممنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تنبيرا (١) .

فالزواج هو الدرع والوجاء بين العبد وبين الوقوع فى الزنا والعياذ بالله تعالى ، والزواج أحد السبل التى تعين على شرع الله تعالى كما قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف : ١٨٩) ، وقال : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم : ٢١) .
— محبة الزوجة تعين على طاعة الله تعالى :

(١) انظر : الجواب الكافى لابن القيم (١٠٥\١) .

(١٤/١)

فأما محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف : ١٨٩) ، وقال : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم : ٢١) وفى الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - : "أنه سئل من أحب الناس إليك فقال : عائشة" (١) ، ولهذا كان مسروق - رحمه الله - يقول : إذا حدث عنها : حدثني الصديقة بنت

الصدیق حبیبہ رسول اللہ - صلی اللہ علیہ وسلم - المبرأة من فوق سبع سموات .
وصح عنه - صلی اللہ علیہ وسلم - أنه قال : "حُبِّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيْبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ" (٢) .

فلا عيب على الرجل في محبته لأهله وعشقه لها ، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله
ورسوله ، وزاحم حبه وحب رسوله فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهي
مذمومة ، وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة ، ولذلك كان رسول
الله - صلی اللہ علیہ وسلم - يحب الشراب البارد الحلو ويحب الحلواء والعسل ويحب الخيل ، وكان
أحب الثياب إليه القميص ، وكان يحب الدباء فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمعهم والقلب
على التفرغ لمحبة الله ، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه .

(١) أخرجه البخارى (١٥٨٤\٤) ومسلم (١٨٥٦\٤) .

(٢) تقدم .

(١٥/١)

فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قرينة ، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يشب
ولم يعاقب ، وإن فاتته درجة من فعله متقرباً به إلى الله (١) .
— ويجدر بنا هنا ذكر أزواج النبي - صلی اللہ علیہ وسلم - :
— أولاهن : خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية تزوجها قبل النبوة ولها أربعون سنة ولم يتزوج عليها
حتى ماتت وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم ، وهى التى آزرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها
ومالها وأرسل الله إليها السلام مع جبريل وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها وماتت قبل الهجرة بثلاث
سنين .

— ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية وهى التى وهبت يومها لعائشة .

(١) انظر : إغاثة اللهفان (٢\٢٤٠) .

(١٦/١)

— ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم — عائشة بنت أبي بكر الصديق وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال : "هذه زوجتك" (١) تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين وبني بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين (٢)

(١) أخرجه البخارى (١٩٦٩\٥) ومسلم (١٨٨٩\٤) .

(٢) وفد أثيرت الكثير والكثير من الطعون من المستشرقين وأذيالهم في زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمرها تسع سنوات ، وقد رد أهل العلم مطاعن الطاعنين وسهامهم في نخورهم ، ومن المقرر أن زواجه - صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - كان من الله تعالى كما تقدم الحديث ، وما كان من الله تعالى فله حكم كثيرة وعظيمة ، منها : أنه كان على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتزوج بالصغيرة لتحمل عبء الدعوة والتبليغ عنه بعده - صلى الله عليه وسلم - ، وقد شارف الموت - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا ما كان منها - رضى الله عنها - إذ تُعد أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - من أكثر الصحابة رواية لأقوال وأفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهي التي بلغت الأمة بحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - الخاصة من قيام ونوم وصلاة وعمل في بيته ، وحياة زوجية وغير هذا الكثير ، وما كان هذا لأحد غيرها من أزواجه - صلى الله عليه وسلم - ، ولو كانت كبيرة السن لماتت بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بفترة وجيزة وأمت معها أكثر السنن والأخبار بحياة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

— أما كيف بنى ولم يتعد عمرها التسع سنوات ، وهل كانت اهلاً للزواج في هذا السن الصغير ؟ .
— فمن المعروف أن الذين يعيشون في المناطق القريبة من خط الإستواء تصل الفتاة عندهم إلى سن الحيض أسرع من الفتاة التي تعيش في المناطق الباردة أو البعيدة عن خط الاستواء ، فإن الأولى تحيض في سن الثماني أو تسع سنوات ، بينما الثانية يتأخر عندها الحيض إلى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر أو أكثر من ذلك .

فائدة : نشرت جريدة الجمهورية المصرية (١٩٩٧\١٠\١) الصفحة الثانية منها هذا الخبر تحت عنوان "طفلة باكستانية ٨ سنوات حامل في شهرها الخامس تقول : اكتشف الأطباء الباكستانيون وجود طفلة عمرها ٨ سنوات حاملاً في شهرها الخامس

ولم يتزوج بكرةً غيرها وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأةٍ غيرها ، وكانت أحب الخلق إليه ، ونزل عذرها من السماء ، واتفقت الأمة على كفر قاذفها ، وهى أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان الأكابر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يرجعون إلى قولها ويستفتونها وقيل إنها أسقطت من النبي - صلى الله عليه وسلم - سقطاً ولم يثبت .

— ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وذكر أبو داود أنه طلقها ثم راجعها .
— ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بنى هلال بن عامر وتوفيت عنده بعد ضمها لها بشهرين .

— ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة وهى آخر نسائه موتاً وقيل آخرهن موتاً صفية .

— ثم تزوج زينب بنت جحش من بنى أسد بن خزيمة وهى ابنة عمته أميمة وفيها نزل قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) (الأحزاب : ٣٧) .

ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذى زوجها لرسوله من فوق سماواته وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب وكانت أولاً عند زيد بن حارثة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبناه فلما طلقها زيد زوجه الله تعالى إياها لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبناه .

— وتزوج - صلى الله عليه وسلم - جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية وكانت من سبايا بنى المصطلق فجاءته تستعين به على كتابتها فأدى عنها كتابتها وتزوجها .

— ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية وقيل اسمها هند تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وسيقت إليه من هناك وماتت في أيام أخيها معاوية هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة ولحفصة بالمدينة ولصفية بعد خير .

(١٨/١)

— وتزوج - صلى الله عليه وسلم - صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير من ولد هارون ابن عمران أخى موسى فهى ابنة نبي وزوجة نبي وكانت من أجمل نساء العالمين وكانت قد صارت له من الصفى أمة فأعتقها وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك فإذا قال أعتقت أمتى وجعلت عتقها صداقها أو قال جعلت عتق أمتى صداقها صح العتق والنكاح وصارت زوجته من غير احتياج إلى تحديد عقد ولا ولى وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث .

وقالت طائفة هذا خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو مما خصه الله به في النكاح دون الأمة وهذا قول الأئمة الثلاثة ومن وافقهم والصحيح القول الأول لأن الأصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل والله سبحانه لما خصه بنكاح الموهوبة له قال فيها : (خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (الأحزاب : ٥٠) ، ولم يقل هذا في المعتقة ولا قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليقطع تأسي الأمة به في ذلك فالله سبحانه أباح له نكاح امرأة من تبناه لئلا يكون على الأمة حرج في نكاح أزواج من تبناه فدل على أنه إذا نكح نكاحاً فالأمتة التأسي به فيه ما لم يأت عن الله ورسوله نص بالاختصاص وقطع لتأسي وهذا ظاهر .

— ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح وقيل قبل إحلاله هذا قول ابن عباس - رضي الله عنه - فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع وقد أخبر أنه تزوجها حالاً وقال كنت أنا السفير بينهما وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها وكان غائباً عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة وهو أعلم بما ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم ومات في أيام معاوية وقبرها بـ "سرف" .

(١٩/١)

— قيل ومن أزواجه ريحانة بنت زيد النضرية وقيل القرظية سببت يوم بنى قريظة فكانت صفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعتقها وتزوجها ثم طلقها تطليقة ثم راجعها .

وقالت طائفة بل كانت أمتة وكان يطؤها بملك اليمين حتى توفي عنها فهي معدودة في السراى لا في الزوجات والقول الأول اختيار الواقدي ووافقه عليه شرف الدين الدمياطى ، وقال : هو الأثبت عند أهل العلم وفيما قاله نظر فإن المعروف أنها من سرايه وإمائه ، والله أعلم .

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن وأما من خطبها ولم يتزوجها ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها فنحو أربع أو خمس ، وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة وأهل العلم بسيرته وأحواله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرفون هذا بل ينكرونه ، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها فدخل عليها ليخطبها فاستعادت منه فأعازها ولم يتزوجها وكذلك الكلبية وكذلك التى رأى بكشعها بياضاً فلم يدخل بها التى وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن هذا هو الخفوظ ، والله أعلم .

ولا خلاف أنه - صلى الله عليه وسلم - توفي عن تسع وكان يقسم منهن لثمان عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية .

وأول نسائه لحوقاً به بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش سنة عشرين وآخرهن موتاً

أم سلمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد ، والله أعلم .

— أما سراريه — صلى الله عليه وسلم — :

فقال أبو عبيدة : كان له أربع : مارية وهى أم ولده إبراهيم وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش (١) .

— الزواج في الجاهلية :

وكان الزواج في الجاهلية على أربعة أوجه :

— فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

(١) زاد المعاد (١٠٥\١) بتصرف .

(٢٠/١)

— ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا ظهرت من طمثها أرسلني إلى فلان فاستبضعي (١) منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

— ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومروا عليها ليل بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل .

— والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاؤا به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم (٢) .

— أسس اختيار الزوجة :

(١) من المباشعة ، أى الجماع .

(٢) انظر البخارى (١٩٧٠\٥) .

(٢١/١)

قال تعالى : (وَلَا مَـمْنَةَ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) (البقرة : ٢٢١) ، وقال تعالى : (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) (التحریم : ٥) ، وقال تعالى : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب : ٣٥) .

— روى البخارى عن أبى هريرة— رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِّمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَافْظَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ " (١) .

— قوله : تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : أى لأجل أربع .

— قوله : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا : الحسب فى الأصل الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها ، وقيل المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة .

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٨\٥) ومسلم (١٠٨٦\٢) .

(٢٢/١)

ويؤخذ منه أن الشريف النسب يُستحب له أن يتزوج نسيبه إلا أن تعارض نسيبه غير دينية وغير نسبية دينة فتقدم ذات الدين وهكذا فى كل الصفات ، وأما قول بعض الشافعية : "يستحب أن لا تكون المرأة ذات قرابة قريبة" فإن كان مستنداً إلى الخبر فلا أصل له أو إلى التجربة وهو أن الغالب أن الولد بين القريين يكون أحق فهو متجه (١) .

— قوله : وَجَمَالُهَا : يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير دينة والغير جميلة الدينة نعم لو تساوتا فى الدين فالجميلة أولى ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات ومن ذلك أن تكون خفيفة الصداق .

— قوله : فَافْظَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، فى حديث جابر : "فعليك بذات الدين" والمعنى أن اللائق بذى الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره فى كل شئ لا سيما فيما تطول صحبته فأمره النبى — صلى الله عليه وسلم — بتحصيل صاحبة الدين الذى هو غاية البغية .

— قوله : تَرِبَتْ يَدَاكَ : أى لصقتا بالتراب ، وهى كناية عن الفقر وهو خبر بمعنى الدعاء لكن لا يراد به حقيقته وبهذا جزم صاحب العمدة زاد غيره أن صدور ذلك من النبى — صلى الله عليه وسلم — فى حق

مسلم لا يستجاب لشرطه ذلك على ربه ، وحكى بن العربي أن معناه استغنت ورد بان المعروف اترب إذا استغنى وترب إذا افتقر ووجه بأن الغنى الناشئ عن المال تراب لأن جميع ما في الدنيا تراب ولا يخفى بعده وقيل معناه ضعف عقلك وقيل افتقرت من العلم وقيل فيه تقدير شرط أى وقع لك ذلك إن لم تفعل ورجحه بن العربي وقيل معنى افتقرت خابت (٢) .

(١) كذا فطن أهل العلم من المسلمين منذ زمن إلى الآثار المترتبة على زواج الأقارب وحذروا منها ، حتى جاء العلم الحديث مؤيداً لمقالتهم وما ذهبوا إليه .
— ويجدر بنا هنا التنبيه إلى خضوع الزوجين إلى الكشف قبل الزواج دفعاً لأية آثار جانبية قد تظهر بعد الزواج في حالات بعينها .
(٢) انظر فتح البارى (١٣٦\٥) بتصرف .

(٢٣/١)

فأول الشروط وأهمها التي يجب أن تتوفر في الزوجة : الدين ، كما قال تعالى : (وَلَا مَـمْنَةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) (البقرة : ٢٢١) ولقوله تعالى : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) (النور : ٢٦) ، وقوله تعالى : (فَأَنتَاهُ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) (النساء: ٣٥) ، فإنها إن كانت على دين رجوت منها الخير ، وأول مظاهر تدين المرأة "الصلاة" ، وهى الصلة بين العبد وربّه ، فإن كانت على صلة طيبة بينها وبين ربها رجوت منها أن تكون على صلة طيبة بينك وبينها — والله المثل الأعلى — فمن فرطت في أمر ربها وحقه لا عيب عليها إن فرطت في أمر وحق زوجها !! ، ومن رضى أن تكون زوجته مفرطة في أمر ربها وفرضه فلا يلومن إلا نفسه إن هى فرطت في حقه ولم تحافظ على بيته .
— وإذا كانت الزوجة ذات دين فهى على خلق ، وهذا بديهى ، فالدين الإسلامى وهو دين الوسطية من يعتنقه يكون بين الإفراط والتفريط ، فلا هى مفرطة في تدينها ولا هى مفرطة في دينها ، وتراها وقد تخلقت بخلق القرآن الكريم ، من حجاب ومعاملات وحديث وغير هذا مما فرضه القرآن الكريم على المرأة .

وإذا انضم إلى الدين الجمال فيها ونعمت ، وقد رغب النبى - صلى الله عليه وسلم - في الجمال فقال : "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" (١) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - وقد سئل : "أى النساء خير ؟ قال : "الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ" (٢) ، والمرأة المتدينة الجميلة نور على نور ، وإن كانت ذات مال وحسب فقد جمعت من صفات الخير الكثير .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) تقدم .

(٢٤/١)

-
- ومن الصفات المطلوبة في الزوجة أن تكون ودوداً ولوداً ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : " تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ" (١) .
- ومنها أيضاً : أن تكون ذات عطف وحنان لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِيزٌ الْإِبِلَ أَحْتَاهُ عَلَى طِفْلٍ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ" (٢) .
- أن تكون بكرًا : لقوله - صلى الله عليه وسلم - لجابر - رضي الله عنه - : "أَلَا تَزَوِّجُهَا بِكَرًا ثَلَاثًا عَلَيْكَ وَثَلَاثًا عَلَيْهَا وَثَلَاثًا عَلَيْكَ وَثَلَاثًا عَلَيْهَا" (٣) .
- وصحَّ عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن أبيها أنها قالت يوماً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي تشير إلى زواجه منها ، وهي البكر التي لم يتزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غيرها بكرًا : "أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتَعُ بِعَيْرِكَ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًا غَيْرَهَا" (٤) .
- فان كانت هناك قرينة تدعو إلى نكاح الثيب فيها ونعمت .
- ومن طريف ما روى في الفرق بين الثيب والبكر أن جارية عرضت على الخليفة المتوكل فقال لها : أبكر أنت أم أيش ؟ قال : أيش يا أمير المؤمنين ! .
- واشترى أحدهم جارية فسأها : ما أحسبك إلا بكرًا ! فقالت له : لقد كثرت الفتوح في زمان الواثق ! .
- وقال أحدهم لجارية : أبكر أنت ؟ قالت : نعوذ بالله من الكساد (تعني الثيوبه) ! .

(١) تقدم .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٥٥\٥) ومسلم (١٩٥٩\٤) .

(٣) تقدم .

(٤) أخرجه البخارى (١٩٥٣\٥) .

(٢٥/١)

— وعرضت على أحدهم جاريتان بكر وثيب فمال إلى البكر ، فقالت الثيب : أما رغبت فيها وما بينى وبينها إلا يوم — تعنى أنها ليلة بين البكر وكونها تكون ثيب — فقال لها : (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (الحج : ٤٧) .

— أن تكون ممن تربى على مائدة القرآن والسنة ، لا ممن تربى على مائدة الشرق والغرب ، التى تجرى وتلهث خلف كل ما هو جديد فى عالم الموضة والأزياء والمناكير ، ودنيا "الكاسيت" والمطربين وتأخذ سنتها وقودتها من المطربين والمطربات والراقصين والراقصات والممثلين والممثلات ، فالحذر أخى من الإقتران بفتاة لم تحتمر بخمار ربها ، وقدمت عليه خمار أهل الفن والدعارة والجون فعرأها ولم يسترها ، وجعلها سلعة معروضة لكل ذى عينين لينظرها ، وشفتين ليحدثها ويمارحها ويهاثفها ، ويدين فى الطريق والمواصلات يتحسسها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك (١)

(١) ففى أثناء كتابة هذه السطور يتعرض أحدهم لفسخ خطوبته الثالثة فى خلال عام واحد ، فبعد أن أنهى علاقته بمخطوبته الأولى — رغم كونها ذات دين وخلق ، ولا اعلم سبباً مقنعاً لديه لفسخ تلك الخطبة — عرضت عليه أخته فتاة : لا تصلى ، متبرجة سافرة ، ولا أظن الأهل أصحاب صلاة ودين لبعض ما شهدته عندهم ، ثم إذا به يكتشف أنها على علاقة — صداقة ! — بشخص آخر ! فأهى علاقته بها ، ولان البيت بيت لم تحطه سياج الدين والعفة والآداب الإسلامية ، فكان يجالس أختها ويمارحها ويضاحكها ، لما لا وهى أخت خطيبته والكل اخوات وحبائب !! ، "فوقع" فى حبها من "النظرة الأولى" ، وألقت الفتاة شباكها عليه ، حتى جاءنى يوماً ليقص على مدى تعلقه بها وحبها لها ، فحذرته أن يكون الإناء واحداً ! وقلت له : اخشى عليك ان تكون تلك الفتاة قد رضعت من نفس الاناء فتكون كأختها ، فقال : لا لا ، إنما مختلفة تماماً عن أختها ، قلت له : ولكنها لا تصلى ، وأنت والحمد لله من أهل الصلاة ، فلا يغرنك منها معسول الكلام والأمل فى صلاحها ، قال بلسان الحال — وكما يقول كثير من شبابنا الطيب : لعلى أكون سبباً فى "شدها" هدايتها إلى طريق ربها ، وبدلاً من أن تشدها أنت لأعلى تهوى هى بك لأسفل — لعلى أكون سبباً فى التزامها بدينها وصلاحها ، حتى فوجئت به منذ أيام قليلة ومع حلول شهر رمضان المبارك يكلمنى هاتفياً قائلاً : لقد أنهيت علاقتى بالفتاة وأختها ! كيف يا أخى وقد كنت تهيم حباً بها ؟ قال : لقد اكتشفت علاقتها بأكثر من شاب ، والكل عنده رقم الهاتف والمواعيد والتتزه والخروج ووووو .

— ومن مواصفات الزوجة الصالحة أيضاً من :

— التي تحسن الإستماع إلى زوجها وتعينه على طاعة الله— عز وجل — ، الرقيقة الطيبة الحانية الزاهدة
الستيرة الراضية الرزينة الطاهرة العفيفة خفية الصوت الودودة الحليمة الرفيقة من ليست بالحنانة (١)
أو المنانة (٢) أو الأنانة (٣) أو النقارة أو البراقة أو الخداعة أو الكذابة أو الحداقة (٤) أو الشداقة (٥)
أو اللعوب أو المتفاكهة أو المتواكلة أو الكسولة أو المتهتكة أو العاهرة أو العصبية أو الخيالية أو العنيدة
أو الساذجة ، ولا متمرضة ، ولا متشدقة ، ولا تفرط في زينتها ، ولا مهملة لنفسها وجمالها .
— هذا ولا حرج في عرض الرجل ابنته أو أخته على من يرى فيه الصلاح ، فقد عرض شعيب ابنته
على موسى عليهما السلام كما أخبر تعالى عنه قوله : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ)
(القصص : ٢٧) الآية .

(١) التي تحن إلى زوج آخر غير زوجها ، أو من تقارن بينه وبين غيره .

(٢) كثيرة المن على زوجها بما فعلت .

(٣) كثيرة الأنين والشكوى .

(٤) التي تشتت كل تقع عليه حدقتها ، فتكلف زوجها ما لا يطيق .

(٥) المتشدقة في كلامها المتقعرة فيه .

(٢٧/١)

— وقد عرض الفاروق عمر - رضي الله عنه - ابنته حفصة للزواج بعدما مات زوجها ، كما روى
البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب وقد تأيمت ابنته - رضي الله عنه - يقول : "فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ
عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ إِنَّ شَيْئًا أَنْكِحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، قَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي ، فَلَبِثْتُ
لَيَالِي ، فَقَالَ : قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا ، قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : إِنَّ شَيْئًا
أَنْكِحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا (١) ، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ (٢) مِنِّي عَلَى
عُثْمَانَ ، فَلَبِثْتُ لَيَالِي ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَنْكِحْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ
فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ
يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتُ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ
ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا" (٣) .

- (١) أى لم يتكلم بشئ .
(٢) أى أكثر وجداً وحزناً .
(٣) أخرجه البخارى .

(٢٨/١)

— ولم يزل هذا الأمر منذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من بعده ، حتى سلمه الصحابة إلى التابعين وتابعى التابعين ، فقد ذكرت كتب السير عن عبد الله بن وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياماً (١) ، فلما أتيته قال : أين كنت ؟ قلتُ : توفيت زوجتى فاشتغلت بها ، قال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله تعالى ، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهين أو ثلاثاً ، فقال : أنا (٢) ، فقلت : وتفعل ؟ ! قال : نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبى - صلى الله عليه وسلم - وزوجنى على درهين — أو قال : ثلاثة — قال : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح ، فعدت إلى منزلى وجعلت أفكر من آخذ ، ممن أستدين ، فضليت المغرب وانصرفت إلى منزلى ، فأسرجت ، وكنت صائماً ، فقدمت عشائى لأفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بالباب يقرع ، فقلت : من هذا ؟ ، قال : سعيد ، قال : ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب ، وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد ، فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب ، فظننت أنه بدا له — أى رجع عن رأيه — فقلت : يا أبا محمد : لو أرسلت إلى ! لأتيتك ، فقال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، فقلت : ماذا تأمر ؟ فقال ، إنك رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت أن تبیت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، وإذا هى قائمة خلفه فى طوله ، فدفعها فى الباب ورده .

قال : ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجهل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأعرفهم بحق الزوج .

- (١) أى فقدنى فى مجلسه ، وكان هذا من الآداب التى يتحلى بها أهل العلم ، وهو تفقدهم أهل مجالستهم ومعرفة حالهم .
(٢) وكان لسعيد بن المسيب بنت قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد فرفضه سعيد بن المسيب .

(٢٩/١)

— ولا حرج أيضاً في عرض المرأة نفسها على من ترى فيه الزوج الصالح لها ، إذا أمنت الفتنة ، وكان الرجل صالحاً ورعاً ، كما كان من أم المؤمنين خديجة — رضى الله عنها — وعرضها نفسها على النبي — صلى الله عليه وسلم — .

— وهنا ننبه إلى الثاني في اختيار زوجة المستقبل ، فلا تستحب العجلة دون انتقاء زوجة المستقبل ، فما هي المعايير والأسس الموضوعية عند اختيار زوج وزوجة المستقبل .

— أسس اختيار الزوج :

— أما الأسس التي يجب على كل فتاة أن تضعها نصب عينيها عند قبول من يتقدم لخطبتها ، فأول هذه الشروط والأسس والمعايير : الدين ، فإن صاحب الدين إذا أحب المرأة أكرمها ، وإذا كرهها لم يظلمها .

— قال تعالى : (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) (البقرة : ٢٢١) ، وقوله تعالى : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) (النور : ٢٦) ، وقال — صلى الله عليه وسلم — : "إِذَا خَاطَبَ إِلَيْكُم مِّنْ تَرَضُّونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيسٌ" (١) .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — لبنى بياضة : "أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه ، وكان حجاماً" (٢) .

(١) صحيح : أخرجه الترمذى (١٠٨٥) وابن ماجه (٦٠٦-٦٠٧) والحاكم (١٦٤\٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البيهقي (١٣٦\٧) .

(٣٠/١)

وعن ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال : "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَاطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِّنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَاطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا" (١) .

فالدين أختاه هو "الترمومتر" الذي تستطيعين به الحكم على الرجال ، وليس ما يملك من مال أو شهادات ، ولكن إن انضم إلى الدين المال أو المؤهل فيها ونعمت ، ولا يُقدم أبداً على صاحب الدين صاحب أحدث صيحة في قص الشعر ! أو أحدث صيحة في عالم الملابس ! ومن يحفظ الأغاني ولا يعي صدره آية من كتاب الله تعالى ، أو حديثاً من أحاديث النبي — صلى الله عليه وسلم — ولا المتخشين

الذين عجز بهم الطريق فلا تستطيع أن تفرق بين الفتى والفتاة من الملبس أو الشعر ! ولا صاحب الكلام المعسول ، "الدبور" الذى ينتقل بين الأزهار ليرتشف الرائحة من هذه وتلك ، ولا من يقف على باب مدرستك ينتظر خروجك لتتزوجها معاً جلسة عن الأهل ، ولا من ذاق طعم "القبلة" منك قبل أن تحلى له ، ولا من يضع "الاسطوانة" فى حديثك معه تليفونياً ، الحذر الحذر أختاه من تلك الذئاب الضارية ، واعلمى أنه لن يستقيم بيت نال فيه الشاب ما أراده من فتاته قبل البناء بها ، فهو بين شقى رحى : الشك فيها أن تكون مع غيره كما كانت له قبل البناء ، وبين إذلالها بتسليمها نفسها له قبل أن تحل له ، فكونى على حذر أختاه ، وعليك بصاحب الدين الذى يريد أن يأخذ بيدك إلى ربك وإلى جنته .

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٨\٥) .

(٣١/١)

فإن كان من حملة كتاب الله تعالى فيقدم على غيره ، وإن كان من أهل الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة فيها ونعمت ، فالدين هو الأساس الذى عليه تُبنى الحياة الزوجية السعيدة .

— أن يكون مستطيعاً لتحمل نفقات الزواج لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ" (١) .

وكم من شاب "أحب فتاة" ، والتقت الأفكار بعد العيون ، وتناغمت الأنفاس تعزف أجمل ألحان الحب الذى لم يشهد العالم مثله ، وكم التقت الأحلام ، فيرى الشاب الحلم ، فيقصه على فتاته ، فتكمله هى ! كم فُكّر فى مكالمتها هاتفياً فيجد الهاتف قد "رن" وكانت هى ! كم من قصص "الحب" قد نمت وترعرعت فى خيال كثير من الفتيات ، ثم إذا جاء الحديث عن الزواج كان سراباً وذهبت الأحلام أدراج الرياح ، وتحطمت على صخرة الواقع ، وأخذت معها ما أخذت من قصص المذلة وذهاب العفة والأدب والحياء ، ثم لم تعد .

أما قوله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة بنت قيس : "أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ" (٢) فهذا إذا تقدم للفتاة اثنين من أهل الدين والورع ، فيقدم صاحب المال على الآخر ، ولا يُرفض صاحب الدين لقلة ماله .

— ويستحب فيه أيضاً : أن يكون رفيقاً بالنساء لقوله - صلى الله عليه وسلم - فى شأن أبى جهم : "أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ" (٣) قالوا : أى كثير الضرب للنساء .
— ويستحب فيه أن يكون جميل المنظر حسن الهيئة : حتى تُسر الفتاة عند رؤيته فلا تنفر منه .

(١) أخرجه البخارى (١٩٥٠\٥) ومسلم (١٠١٨\٢) .

(٢) أخرجه مسلم (١١١٤\٢) .

(٣) السابق .

(٣٢/١)

— أن يكون شاباً : فيُقدم على الشيخ العجوز ليحصل التناسب العقلى والعاطفى ، ولا حرج فى زواج الشيخ الكبير من تصغره ، فرب شيخ عجوز أفضل من مائة شاب .

— أن يكون كفواً للفتاة : من حيث العمر ، والمستوى التعليمى — والدين أولاً — والعقلى ، والمادى ، والبدنى ، ونحو هذا .

— الكفاءة فى النكاح :

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات ١٣) ، وقال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات : ١٠) وقال : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبة : ٧١) ، وقال تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) (آل عمران : ١٩٥) .

وقال — صلى الله عليه وسلم — : "أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى" (١) ، وفى الترمذى عنه — صلى الله عليه وسلم — : "إِذَا خُطِبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ" (٢) ، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — لبنى بياضة : "أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه وكان حجاماً" (٣) .

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤١١\٥) .

(٢) تقدم .

(٣) تقدم .

(٣٣/١)

وزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش القرشية من زيد بن حارثة مولاه وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية القرشية من أسامة ابنه ، وتزوج بلال بن رباح بأخت عبدالرحمن بن عوف ، وقد قال الله تعالى : (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) (النور : ٢٦) ، وقد قال تعالى : (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء : ٣) .

فالذى يقتضيه حكمه - صلى الله عليه وسلم - اعتبار الدين في الكفاءة أصلاً وكمالاً فلا تزوج مسلمة بكافر ولا عفيفة بفاجر ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث ولم يعتبر نسباً ولا صناعة ولا غنى ولا حرية فجوز للعبد الفقير نكاح الحرة النسبية الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً ، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات ، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات وللفقراء نكاح الموسرات .

...وقد تنازع الفقهاء في أوصاف الكفاءة فقال مالك في ظاهر مذهبه إنها الدين وفي رواية عنه إنها ثلاثة الدين والحرية والسلامة من العيوب .

وقال أبو حنيفة : هي النسب والدين ، وقال أحمد في رواية عنه : هي الدين والنسب خاصة وفي رواية أخرى هي خمسة الدين والنسب والحرية والصناعة والمال ، وإذا اعتبر فيها النسب فعنه فيه روايتان إحداهما : أن العرب بعضهم لبعض أكفاء ، الثانية : أن قريشاً لا يكافئهم إلا قرشى وبنو هاشم لا يكافئهم إلا هاشمى ، وقال أصحاب الشافعى يعتبر فيها الدين والنسب والحرية والصناعة والسلامة من العيوب المنفرة .

(٣٤/١)

ولهم في اليسار ثلاثة أوجه اعتباره فيها وإلغاؤه واعتباره في أهل المدن دون أهل البوادي فالعجمى ليس عندهم كفو للعربى ولا غير القرشى للقرشية ولا غير الهاشمى للهاشمية ولا غير المنتسبة إلى العلماء والصلحاء المشهورين كفو لمن ليس منتسباً إليهما ، ولا العبد كفو للحر ولا العتيق كفو لحره الأصل ولا من مس الرق أحد آبائه كفو لمن لم يمسه رق ولا أحداً من آبائها ، وفي تأثير رق الأمهات وجهان ، ولا من به عيب مثبت للفسخ كفو للسليمة منه فإن لم يثبت الفسخ وكان منفراً كالعمى والقطع وتشويه الخلقة فوجهان ، واختار الرويانى أن صاحبه ليس بكفو ولا الحجام والحائك والحارس كفو لبنت التاجر والخياط ونحوهما ولا يحترف لبنت العالم ولا الفاسق كفو للعفيفة ولا المبتدع للسنية ولكن الكفاءة عند الجمهور هي حق للمرأة والأولياء .

ثم اختلفوا فقال أصحاب الشافعى : هي لمن له ولاية في الحال ، وقال أحمد في رواية : حق لجميع الأولياء قريبتهم وبعيدهم فمن لم يرض منهم فله الفسخ ، وقال أحمد في رواية ثالثة : إنها حق الله فلا

يصح رضاهم بإسقاطه ، ولكن على هذه الرواية لا تعتبر الحرية ولا اليسار ولا الصناعة ولا النسب إنما يعتبر الدين فقط فإنه لم يقل أحد ولا أحد من العلماء إن نكاح الفقير للموسرة باطل وإن رضيت ولا يقول هو ولا أحد إن نكاح الهاشمية لغير الهاشمي والقرشية لغير القرشي باطل وإنما نبهنا على هذا لأن كثيراً من أصحابنا يحكون الخلاف في الكفاءة هل هي حق لله أو للآدمي ويطلقون مع قولهم إن الكفاءة هي الخصال المذكورة وفي هذا من التساهل وعدم التحقيق ما فيه" (١) .

— فإذا أراد الرجل أن يخطب فتاة فله أن يرسل أمه أو بعض أهله — كأخته مثلاً — ليريا من الفتاة ما يدعوه إلى خطبتها ، من خلق حسن وبيت طيب وحسن معاملة .

لاخير في حسن الفتاة وعلمها.....إن كان في غير الصلاح رضاؤها

(١) زاد المعاد (٩٥\٥) بتصرف .

(٣٥/١)

فجماعها وقف عليها إنما.....للناس منها دينها ووفاءها
وإن تزوجت فكن حاذقاً.....واسأل عن الغصن وعن منبته
واسأل عن الصهر وأحواله.....من جيرة الحى وذى قرينه
— صلاة الاستخارة :

فإذا وجد الرجل الفتاة التى يرى فيها أنها تصلح لتكون شريكة حياته ، وتقدم للفتاة الرجل يخطبها ، استخار الله تعالى فى هذا الأمر العظيم ، فيصلى كل منهما صلاة الاستخارة .
يقول جابر - رضى الله عنه - : "كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كالسورة من القرآن ، وصفتها : يقول - صلى الله عليه وسلم - : إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - ويسمى الأمر - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْضِهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ" (١) .

(١) أخرجه البخارى .

— ويصلى العبد صلاة الاستخارة فى أى وقت شاء ، ركعتين ، ثم بعد التسليم يدعو بهذا الدعاء ، وله أن يكررها ولا حرج فى هذا (١) ، فصلاة الاستخارة دعاء ، ولا حرج فى تكرار الدعاء ، ولا يلزم بعد الاستخارة أن يرى العبد رؤيا ، بل سىرى إما التيسير أو عدمه ، أو الراحة النفسية للأمر والإقدام عليه أو عدمه .

وتصلى الفتاة صلاة الاستخارة ، فهى تستخير رب العالمين فى شأن من تقدم لخطبتها ، إذا رأت فيه ما يدعوها إلى قبوله ، لا أن تصلى الفتاة صلاة الاستخارة عندما يتقدم إليها السكير مثلاً أو تارك الصلاة المفرط فى أمر دينه ، فإنها ترفض من البداية أن تربط حياتها بمن يستهين بحقوق ربه عليه ، فكيف له أن يحافظ على حقوقها أو يعطيها إياها .

— هذا ولا يجوز لمن عرف تقدم شاب إلى فتاة ليخطبها أن يتقدم لخطبتها هو أيضاً : فقد نهى - صلى الله عليه وسلم - أن "يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ" (٢) .

(١) وروى فى تكرار صلاة الاستخارة سبع مرات حديث ولكنه ضعيف ، وللعبد أن يكررها عدد ما يشاء دون تقييد بوقت أو عدد ، والله أعلم .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

— كما لا يجوز خطبة من توفى عنها زوجها حتى تنتهى عدتها ، ولكن يجوز للخاطب التعريض بالخطبة لها ، قال تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) (البقرة : ٢٣٥) أو للمطلقة المبتوتة — وهى التى طُلقَت ثلاث مرات — لحديث الإمام مسلم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة بنت قيس وكانت قد طُلقَت ثلاث مرات : "اعْتَدِي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكَ فَإِذَا حَلَلْتَ فَأَذِنِي" (١) .

يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : وفيه جواز التعريض بخطبة البائن وهو الصحيح عندنا .

— والتعريض بالخطبة : كأن يقول الرجل للمرأة وهى فى عدتها من وفاة زوجها : إنك على لكريمة ، وإنى فىك لراغب ، وإن الله لسائق إليك خيراً ورزقاً ، أو يقول : إنى أريد التزوج ولوددت أنه يُسر لى

امرأة صالحة ، ونحو هذا .

— إباحة النظر إلى وجه المخطوبة والفتاة إلى مخطوبها :

فإذا تقدم لخطبتها فله أن يرى منها الوجه والكفين : روى المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا" (٢) .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذى والنسائى وغيرهما .

(٣٨/١)

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ ، قَالَ : فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ (١) لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَرَوُّجَهَا فَتَزَوَّجْتُهَا" (٢) .

— وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنها - أن امرأة جاءت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : "يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَهْبُ لَكَ نَفْسِي قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَصَعَدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَاطَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَأْسَهُ" (٣) .

(١) كان هذا في زمن العفة والحشمة والحجاب ، أما اليوم فالخاطب يرى من يريد خطبتها قبل الذهاب إلى بيت أهلها يرى منها الصدر والنحر والساق والساعد والرقبة والشعر والوجه والكفين والفخذين والعجيزة "الجمسة" والفرج والدبر "مجسماً" ، وأظنه قد لا يفوته شيئاً لا يراه في زمن خلعت فيه نساء المسلمين حجاب العفة والطهارة والإسلام ! فلا تستطيع أن تفرق بين فتاة مسلمة وأخرى على ملة غير الإسلام في الطريق من تزويج الجميع بزى واحد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وكما قيل : كلما زادت المرأة من كشف جسدها كلما كان هذا منها دعوة إلى الزنا بها أكبر وأدعى .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود وأحمد .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣٩/١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : "كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا قَالَ لَا قَالَ فَادْهَبْ فَأَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا" (١).

— وقد ذهب جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً إلى جواز نظر الرجل إلى من يريد خطبتها ، إلا أنه وقع الخلاف بينهم فيما يُنظر إلى المرأة ، فذهب الجمهور إلى جواز النظر رؤية الوجه والكفين ، وعن الإمام أحمد ثلاث روايات : النظر إلى الوجه والكفين ، النظر إلى ما يظهر منها غالباً كالرقبة والساقين ، النظر إليها كلها ، وذهب ابن حزم إلى النظر إلى جميع بدنها .

— فإذا تمت الموافقة بين الأهل ، فله أن يصلى صلاة الاستخارة مرة أخرى إن شاء ، ويترك الفتاة لتستخير ربها فيمن تقدم لخطبتها .

— موافقة البكر والثيب على الزواج : وتستأذن البكر على من تقدم لخطبتها : وإذنها صماقها ، أما الثيب فإنها تستأمر ، لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا قَالَ أَنْ تَسْكُتَ" (٢) ، وفي صحيح مسلم : "الْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَامُهَا قَالَ نَعَمْ" (٣) .

وثبت عنه في الصحيحين: "أن خنساء بنت حذام زوجها أبوها وهي كارهة وكانت ثيباً فأتت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرد نكاحها" (٤) .

(١) أخرجه مسلم وغيره .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٧٤\٥) ومسلم (١٠٣٦\٢) .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٣٧\٢) .

(٤) أخرجه البخارى (١٩٧٤\٥) ومسلم .

(٤٠/١)

وفي السنن من حديث ابن عباس : "أن جارية بكرة أتت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكرت له أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -" (١) .

وهذه غير خنساء فهما قضيتان قضى في إحداهما بتخير الثيب وقضى في الأخرى بتخير البكر .
وموجب هذا الحكم أنه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج إلا برضاها وهذا قول جمهور السلف ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايات عنه وهو القول الذى ندين الله به ولا نعتقد سواه وهو الموافق لحكم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته .

أما موافقته لحكمه فإنه حكم بتخيير البكر الكارهة وليس رواية هذا الحديث مرسلة بعله فيه فإنه قد روى مسنداً ومرسلاً (٢) فإن قلنا قول الفقهاء إن الإتصال زيادة ومن وصله مقدم على من أرسله فظاهر وهذا تصرفهم في غالب الأحاديث ، فما بال هذا خرج عن حكم أمثاله وإن حكمنا بالإرسال كقول كثير من المحدثين فهذا مرسل قوى قد عضدته الآثار الصحيحة الصريحة والقياس وقواعد الشرع كما سنذكره فيتعين القول به .

وأما موافقة هذا القول لأمره فإنه قال : "والبكر تستأذن" وهذا أمر مؤكد لأنه ورد بصيغة الخبر الدال على تحقق المخبر به وثبوته ولزومه والأصل في أوامره - صلى الله عليه وسلم - أن تكون للوجوب ما لم يقوم إجماع على خلافه .

وأما موافقته لنهييه فلقلوله : "وَلَا تُنْكَحُ الْبُكَرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ" فأمر ونهى وحكم بالتخيير وهذا إثبات للحكم بأبلغ الطرق .

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٢٠٩٦) وابن ماجه (١٨٧٥) وأحمد (٢٤٦٩) .

(٢) أخرجهما الدارقطني (٢٣٤\٣) .

(١/٤١)

وأما موافقته لقواعد شرعه : فإن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شئ من مالها إلا برضاها ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون رضاها فكيف يجوز أن يرقها ويخرج بضعتها منها بغير رضاها إلى من يريد هو وهى من أكره الناس فيه وهو من أبغض شئ إليها ومع هذا فينكحها إياه قهراً بغير رضاها إلى من يريد ويجعلها أسيرة عنده كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ" (١) أى أسرى ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها ولقد أبطل من قال إنها إذا عينت كفنا تحبه وعين أبوها كفناً فالعبرة بتعيينه ولو كان بغيضاً إليها قبيح الخلقة .

وأما موافقته لمصالح الأمة : فلا يخفى مصلحة البنت في تزويجها بمن تختاره وترضاه وحصول مقاصد النكاح لها به وحصول ضد ذلك بمن تبغضه وتنفر عنه فلو لم تأت السنة الصريحة بهذا القول لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضى غيره وبالله التوفيق .

فإن قيل فقد حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفرق بين البكر والشيب وقال : "لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبُكَرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ" (٢) وقال : "الأيّم أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها" (٣) فجعل الأيم أحق بنفسها من وليها فعلم أن ولي البكر أحق بها من نفسها وإلا لم

يكن لتخصيص الأيم بذلك معنى ، وأيضاً فإنه فرق بينهما في صفة الإذن فجعل إذن الشيب النطق وإذن البكر الصمت وهذا كله يدل على عدم اعتبار رضاها وأنها لا حق لها مع أبيها .

(١) صحيح : أخرجه الترمذى (٤٦٧\٣) .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٧٤\٥) ومسلم (١٠٣٦\٢) .

(٣) أخرجه مسلم في السابق .

(٤٢/١)

فالجواب : أنه ليس في ذلك ما يدل على جواز تزويجها بغير رضاها مع بلوغها وعقلها ورشدها وأن يزوجه بأبغض الخلق إليها إذا كان كفتاً والأحاديث التي احتججتم بها صريحة في إبطال هذا القول وليس معكم أقوى من قوله : "الأيم أحق بنفسها من وليها" هذا إنما يدل بطريق المفهوم ومنازعوكم ينازعونكم في كونه حجة ولو سلم أنه حجة فلا يجوز تقديمه على المنطوق الصريح ، وهذا أيضاً إنما يدل إذا قلت إن للمفهوم عموماً والصواب أنه لا عموم له إذ دلالاته ترجع إلى أن التخصيص بالمذكور لا بد له من فائدة وهي نفى الحكم عما عداه ومعلوم أن انقسام ما عداه إلى ثابت الحكم ومنتفيه فائدة وأن إثبات حكم آخر للمسكوت عنه فائدة وإن لم يكن ضد حكم المنطوق وأن تفصيله فائدة كيف وهذا مفهوم مخالف للقياس الصريح بل قياس الأولى كما تقدم ويخالف النصوص المذكورة .

وتأمل قوله - صلى الله عليه وسلم - : "والبكر يستأذنها أبوها" عقيب قوله : "الأيم أحق بنفسها من وليها" قطعاً لتوهم هذا القول وأن البكر تزوج بغير رضاها ولا إذنها فلا حق لها في نفسها البتة فوصل إحدى الجملتين بالأخرى دفعا لهذا التوهم ومن المعلوم أنه لا يلزم من كون الشيب أحق بنفسها من وليها أن لا يكون للبكر في نفسها حق البتة .

وقد اختلف الفقهاء في مناهج الإجماع على ستة أقوال :

- أحدها : أنه يجبر بالبركة وهو قول الشافعي ومالك وأحمد في رواية .
- الثاني : أنه يجبر بالصغر وهو قول أبي حنيفة وأحمد في الرواية الثانية .
- الثالث : أنه يجبر بهما معاً وهو الرواية الثالثة عن أحمد .
- الرابع : أنه يجبر بأيهما وجد وهو الرواية الرابعة عنه .
- الخامس : أنه يجبر بالإبلاذ فتجبر الشيب البالغ حكاها القاضي إسماعيل عن الحسن البصري قال وهو خلاف الإجماع قال وله وجه حسن من الفقه فإليت شعري ما هذا الوجه الأسود المظلم .
- السادس : أنه يجبر من يكون في عياله ولا يخفى عليك الراجح من هذه المذاهب .

— وقضى — صلى الله عليه وسلم — بأن إذن البكر الصمات وإذن الثيب الكلام فإن نطقت البكر بالإذن بالكلام فهو أكد وقال ابن حزم لا يصح أن تزوج إلا بالصمات وهذا هو اللائق بظاهريته . وقضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن اليتيمة تستأمر في نفسها و "لا يتم بعد احتلام" فدل ذلك على جواز نكاح اليتيمة قبل البلوغ وهذا مذهب عائشة — رضى الله عنها — وعليه يدل القرآن والسنة ، وبه قال أحمد وأبو حنيفة وغيرهما ، قال تعالى : (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى) (النساء ١٢٧) ، قالت عائشة — رضى الله عنها — : هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في نكاحها ولا يسقط لها سنة صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن سنة صداقهن (١) .

وفي السنن الأربعة عنه — صلى الله عليه وسلم — : "الْيَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ فِي نَفْسِهَا فَإِنْ صَمَتَتْ فَهُوَ إِذْنُهَا وَإِنْ أَبَتْ فَلَا جَوَازَ عَلَيْهَا" (٢) .

— فإذا كان الرضى من المخطوبة ، بدأ الأهل في الحديث عن نفقات الزواج ومستلزماته ، من إعداد بيت الزوجية وتجهيزه ، والمهر ونحو هذا ، وهنا يجب التنبيه على قضية المهر أو الصداق . — الصداق : خَيْرُ النَّكَاحِ أَيْسَرُهُ (٣) :

(١) أخرجه البخارى .

(٢) حسن : أخرجه أبو داود (٢٠٩٨) وابن ماجه (١٨٧٠) والترمذى (١١٠٨) والنسائى (٨٤٦) .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود وابن حبان .

قال تعالى : (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (النساء : ٤) ، وقال تعالى : (فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء : ٢٦) ، وقال تعالى : (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) (النساء : ٢٤) ، وقوله تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) (المتحنة : ١٠) .

— بيان قضائه — صلى الله عليه وسلم — في الصداق بما قل وكثر وقضائه بصحة النكاح على ما مع

الزوج من القرآن :

— ثبت في صحيح مسلم عن عائشة — رضى الله عنها — : "كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا ، قَالَتْ : أَتَدْرِي مَا النَّشُّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَتْ : نِصْفُ أُوقِيَّةٍ فَبِلَكَ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — لِأَزْوَاجِهِ" (١) .

(١) أخرجه مسلم .

(٤٥/١)

وفي صحيح البخارى كما تقدم أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال لرجل : "انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ" (١) ، وفيه : " قَالَ مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ مَعِيَ سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا عَدَدَهَا فَقَالَ تَقْرُؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَذْهَبَ فَقَدْ مَلَكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ" ، وفي النسائى : عن ثابت عن أنس قال : "خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ فَإِنْ تُسَلِّمَ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا قَالَ ثَابِتٌ فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ" (٢) . فتضمنت هذه الأحاديث وغيرها أن الصداق لا يتقدر أقله ، وأن خاتم الحديد يصح تسميته مهراً . وتضمنت أن المغالاة في المهور مكروهة ، وأن أفضل النكاح أيسره مؤنة . — النهى عن المغالاة في المهور :

(١) تقدم .

(٢) أخرجه ابن حبان (١٨٨\١) .

(٤٦/١)

فاعلم أيها الولي أن من أهم أسباب انتشار العنوسة (١) وانصراف الشباب عن الزواج هو ما يجدونه من تعنت بعض الأباء والمغالاة في المهور : وهذا العائق حُق له أن يوضع على رأس قائمة المعوقات التي تقف أمام شباب المسلمين وتردهم القهقري كلما فكر أحدهم أن يخطو خطواته الأولى نحو الزواج وبناء الأسرة الإسلامية ، فتجد الشاب يُسئل أول ما يُسئل عما ادخره وما أعدّه توطئة لتكاليف ومؤنة الزواج ، من مهر و "شبكة" — تليق بعروسه وأهلها — ثم يتبع هذا "فستان" الخطوبة للعروس — وربما

لبعض أخواتها — ! ثم أين يقام "حفل" الخطوبة ، وما يستلزم هذا من تكاليف للعروسين ، ثم هدايا العروس في المناسبات الدينية و "القومية" ! و "الوطنية" وعيد الأم وعيد الأب وعيد الأسرة ! وعيد المعلم وعيد الفلاح وعيد الثورة وعيد تولية الملك وعيد سقوطه ! وعيد ميلاد العروس وعيد ميلاد أم العروس وأخت العروس وبنت خالة العروس وكل من يمت بصلة إلى العروس !!! .

(١) حتى وصل متوسط سن الزواج عند البنات إلى ما فوق العشرين ، ومنهن من تصل إلى سن الثلاثين .

(٤٧/١)

ثم يجلس إلى أهل العروس لسماع "الفرمان الحموى" وما صدر عن "المؤتمر" العائلى لكيفية إذلال هذا المتقدم لخطبة هذا الذى تجرأ وفكر أن يخطب وأن يتزوج ليقم البيت الإسلامى إتباعاً لكتاب الله تعالى ولسنة نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم - ! ويسمع هذا الخاطب ما أسفر عنه الاجتماع العائلى من توفير مسكن الزوجية — دون مغالاة — حجرتين وصالة — هذا مع انضمام "لجنة الرأفة" إلى جانب الخاطب — وفرش وتجهيز حجرة النوم بالمواصفات التى أملت على آخر خاطب تقدم لخطبة فتاة فى العائلة (١) ، والذى قد أحضر لعروسه حجرة نوم كذا وصالون وصفه كذا و"أنتريه" كذا ، وكان "حفل الزفاف" — الفرح — فى المكان كذا ، فابتننا ليست أقل من فلانة وعلاوة بل هى تفوقهم جمالاً وزينة ..

نداء : رحمة أيها الأباء والأمهات بأبناء المسلمين ، أين أنتم من سنة نبيكم محمد- صلى الله عليه وسلم - ، وأين هى تلك الابنة من أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — ، بل أين هى من صاحبيات النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ أين نحن جميعاً من هديه- صلى الله عليه وسلم - .

— وهنا نقول : هل الصداق من حق المرأة أو من حق وليها ؟

— والجواب : إن الصداق حق خالص للمرأة ، قال تعالى : (وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا) (النساء : ٢٠) ، يقول الإمام ابن حزم فى المحلى (٢) : "ولا يحل لأب البكر صغيرة كانت أو كبيرة أو الثيب ولا لغيره من سائر القرابة أو غيرهم حكم فى شئ من صداق الابنة أو القرينة ، ولا لأحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئاً منه لا للزوج طلق أو أمسك ولا لغيره ، فإن فعلوا شيئاً من ذلك فهو مفسوخ باطل مردود أبداً ، ولها أن تهب صداقها أو بعضه لمن شاءت ولا اعتراض لأب ولا لزوج فى ذلك" أهـ .

(١) وقد يكون ذلك الخاطب قد "هرب" من ذلك التعتن الأسرى الحموى ، وإذا لم يكن قد هرب

فلعله الآن في إحدى المصححات أو على أحد الأرصفة يتسول تكاليف الخطوبة .
(٢) المحلى (٥١١\٩) .

(٤٨/١)

والصداق يُعد ديناً على الرجل لزوجته عليه الوفاء به ، فله أن يعجل بقضائه .
— ويجوز للرجل أن ينكح المرأة ولا يسمى لها صداق لقوله تعالى : (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ) (البقرة : ٢٣٦) .
— دبرة الخطوبة ! :

ومن الأمور التي انتشرت في بلاد الإسلام ما يلبسه الخاطب أو الزوج ويُسمى بـ (دبرة الخطوبة) وهي عادة نصرانية ، كان العروس — الزوج — يضع خاتم الزواج على رأس إهتام العروس اليسرى — الزوجة — ويقول باسم الآب ، ثم على رأس السبابة ويقول : باسم الابن ، ثم على رأس الوسطى ويقول : باسم الروح القدس ، ثم يستقر به في الإصبع البنصر وينتقل من اليد اليمنى وقت الخطبة إلى اليد اليسرى بعد الزواج (ليكون قريباً من القلب !!!) .

وعادة ما يكون هذا الخاتم — أو الدبرة — من الذهب ، وقد صح النهي من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التختم بالذهب (١) للرجال ، فروى مسلم في صحيحه عن عبد اللخ بن عباس رضي الله عنهما قال أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى خاتماً من ذهبٍ في يد رجلٍ فنزعه فطرحه وقال : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا آخِذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - " (٢) .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم وغيره ، ولكل مسلم أقول له : لو أنك كنت مكان ذلك الصاحبى الكريم ، وجرى عليك ما جرى عليه ، فهل كنت ستفعل مثل ما فعل ، فإن كنتَ فافعل الآن !.

(٤٩/١)

— وقال - صلى الله عليه وسلم - : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبَسُ حَرِيرًا وَلَا ذَهَبًا" (١)

— وقد عمد بعض الرجال إلى استبدال لبس "دبلة" من ورق — فضة — بدلاً من الذهب حتى لا يقع تحت النهي ، فوقع في التشبه .

— وإنما صح عنه — صلى الله عليه وسلم — اتخاذ الخاتم من ورق — أى فضة — فقد : "رأى — صلى الله عليه وسلم — عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَأَلْقَاهُ وَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَقَالَ هَذَا شَرٌّ هَذَا حَلِيَّةُ أَهْلِ النَّارِ فَأَلْقَاهُ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ فَسَكَتَ عَنْهُ — صلى الله عليه وسلم —" (٢) .

— حل خاتم الذهب ونحوه على النساء : وقد ذهب العلامة الألباني — رحمه الله تعالى — إلى تحريم خاتم الذهب ونحوه كالسوار والطوق على النساء (٣) .

والعلامة الألباني — رحمه الله تعالى — كان أحد المجتهدين وندعوا الله — عز وجل — أن يجزيه عنا وعن الأمة الإسلامية كل خير لما قدم لهذه الأمة ، إلا أنه رحمه الله تعالى قد جانبه الصواب في هذا المسألة مع محاولته التحري والبحث والاستقصاء ، وقد ذهب العلماء سلفاً وخلفاً إلى حل الذهب المخلق للمرأة دون خلاف ، واستقصاء هذه المسألة له موضع آخر ، واكتفى هنا ببعض أقوال أهل العلم ممن ذهب إلى حل الذهب دون تفصيل للمرأة .

(١) حسن : أخرجه أحمد .

(٢) حسن : أخرجه أحمد وغيره .

(٣) انظر : آداب الزفاف للعلامة الألباني رحمه الله تعالى .

(٥٠/١)

يقول الإمام النووي في شرح مسلم : "أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء" ، وقال في المجموع (١) : "يجوز للنساء لبس الحرير والتخلي بالفضة والذهب بالإجماع للأحاديث الصحيحة" ، وقال أيضاً : "أجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحللي من الفضة والذهب جميعاً كالنوق والعقد والخاتم والسوار والخلخال والدمالج والقلائد والمخانق وكل ما يُتخذ في العنق وغيره ، وكل ما يعتدن لبسه ، ولا خلاف في شيء من هذا" (٢) .

وقال الحافظ في الفتح (٣) في ثنايا تفسير فهمي النبي — صلى الله عليه وسلم — عن خاتم الذهب : "فهمي النبي — صلى الله عليه وسلم — عن خاتم الذهب أو التختم به مختص بالرجال دون النساء ، فقد نُقل الإجماع على إباحته للنساء" ، وقال مثله الإمام المباركفوري في التحفة (٤) .

(١) انظر المجموع (٤٤٣\٤) .

(٢) السابق (٤٠\٦) .

(٣) انظر : فتح الباري (٣١٧\١٠) .

(٤) انظر : تحفة الاحوذى (٣٤٠\٥) .

(٥١/١)

ويقول الإمام ابن عبد البر في التمهيد (١) : "النهى عن لباس الحرير وتختم الذهب إنما قصد به إلى الرجال دون النساء وقد أوضحنا هذا المعنى فيما تقدم من حديث نافع ولا نعلم خلافاً بين علماء الأمصار في جواز تختم الذهب للنساء وفي ذلك ما يدل على أن الخبر المروى من حديث ثوبان ومن حديث أخت حذيفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في نهى النساء عن التختم بالذهب إما أن يكون منسوخاً بالإجماع وبأخبار العدول في ذلك على ما قدمنا ذكره في حديث نافع أو يكون غير ثابت ، فأما حديث ثوبان فإنه يرويه يحيى بن أبي كثير قال : حدثنا أبو سلام عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان ولم يسمعه يحيى بن أبي سلام ولا يصح ، وأما حديث أخت حذيفة فيرويه منصور عن ربعي بن خراش عن امرأته عن أخت حذيفة قالت : "قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر النساء أما لكن في الفضة ما تحلينه أما إنكن ليس منكن امرأة تحلي ذهاباً تظهره إلا عذبت به" ، والعلماء على دفع هذا الخبر لأن امرأة ربعي مجهولة لا تعرف بعدالة وقد تأوله بعض من يرى الزكاة في الحلبي من أجل منع الزكاة منه إن منعت ولو كان ذلك لذكر وهو تأويل بعيد .

وقد روى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أن النجاشي أهدى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حلية فيها خاتم من ذهب فصبه حبشي فأخذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعود أو ببعض أصابعه وإنه لمعرض عنه فدعا ابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص ، فقال : تَحْلِيْ بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ " (٢) ، وعلى هذا القياس للنساء خاصة والله الموفق للصواب .

(١) انظر التمهيد : (١١٥\١٦) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٢٥٣) ومن طريقه البيهقي (١٤١\٤) وابن ماجه (٤٦٤٤) وابن

أبي شيبة (١٩٤\٥) وأحمد (١١٩\٦) .

(٥٢/١)

ويقول الإمام الجصاص في تفسيره (١) : "الأخبار الواردة في إباحته للنساء — يعني الذهب — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — والصحابة أظهر وأشهر من أخبار الحظر ، ودلالة الآية — قوله تعالى : (أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) — أيضاً ظاهرة في إباحته للنساء ، وقد استفاض لبس الحلى للنساء منذ قرن النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى يومنا هذا من غير نكير من أحد عليهن ، ومثل ذلك لا يُعترض عليه بأخبار الآحاد" .

وقال مثله الإمام الكيا المراسي عند تفسيره للآية السابقة .

— وأورد الحكيم الترمذى في نوادر الأصول : عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : "أهدى النجاشي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حلية فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي فأخذه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعود أو ببعض أصابعه وإنه لمعرض عنه ثم دعا ابنة ابنته أمامة ابنة أبي العاص فقال : تحلى بهذا يا بنية" (٢) .

قال : جعل — صلى الله عليه وسلم — الحلية زينة لجوارح الإنسان فإذا لبسها زانه لذلك وإذا زانه حلاه فصار ذلك العضو أحلى في أعين الناظرين ولذا سمي حلية لأنه تحلى تلك الجوارح في أعين الناظرين وفي قلوبهم قال الله تعالى وتستخرجون منه حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ فما كان من ذهب فللإناث ويحرم على الذكور و ما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء وقد لبس — صلى الله عليه وسلم — خاتماً اتخذ من فضة وفصه منه" (٣) .

قلت : وفي الحديث السابق دليل قوى لإباحة خاتم الذهب للنساء ، فتأمل (٤) .

— ما يباح للخاطب بعد الخطبة :

(١) انظر تفسير الجصاص (٣/٣٨٨) .

(٢) تقدم .

(٣) نوادر الأصول (٢/٥٠٥) .

(٤) وانظر الحلى لابن حزم (١٠/٨٤١) .

(٥٣/١)

ويباح للخاطب بعد الخطبة الكلام مع خطيبته في شئون الدين ونحو هذا حتى يستطيع أن يتلمس بعض جوانب "شخصية" زوجة المستقبل ، فيستمع إلى آرائها ومنهجها في الحياة والقواعد والمبادئ التي تسير عليها ، وتصحيح ما يراه يحتاج تصحيحاً وفق كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — على أن يكون هذا في وجود محرم لها ، ويباح له النظر إلى وجهها — هذا على اختلاف أهل العلم في وجوب

النقاب ولا يجوز له أن يمسك بيدها أو أن يلمس جسدها ، أو التأمل في مفاتها ، فهي لازالت أجنبية عليه ، فليس له منها ما ليس له من الأجنبية ، كما ليس له الخلوة بها إلا في وجود المحرم . وعليه أن يتحلى بالصبر والتؤدة في التعرف عليها وبناء الرأى الصائب في زوجة المستقبل ، وكلما قلل الخاطب من زيارة الخطيبة كان له أفضل .

— أما الخروج معاً والتزه وغير ذلك مما يفعله — كثير — من الناس فلا يجوز ، ولم يكن على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يخطب الرجل المرأة فيخرج معها للحديث والتزه والخلوة بها — من اجل التعارف والتآلف والتفاهم ووو — إلى غير ذلك مما أصبح سنة معروفة لدى الناس ، وأصبحت السنة هي البدعة عندهم ، فما لم يكن ديناً على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يكون اليوم ديناً .

— ويظن البعض أنه إذا تم "عقد النكاح" فله من زوجته كل شئ ، وإني لأحذر كل فتاة من التماذى في مثل هذا الأمر ، فكم من زيجة لم يقدر لها الله تعالى أن تكتمل ، وإن تم عقد النكاح .
— النفقة على الزوجة :

(١/٥٤)

قال بعض أهل العلم إنه ليس على الذى عقد ولم يبن نفقة لزوجته حتى تنتقل من بيت أبيها إلى بيته ، إنما النفقة على أبيها وهو لم يزل الراعى ، لقوله — صلى الله عليه وسلم — : "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (١) ، وهى لم تزَلْ في بيتها أبيها فهو المسئول عن نفقتها لا زوجها الذى لم يبن بها بعد ، كما أنها لم تزَلْ في كنف أبيها فله عليها ما كان قبل العقد .

— ليلة الحنة : ومن الأمور المبتدعة عند الكثير ما يسمى بـ "ليلة الحنة" وفيها ما فيها من المخالفات الشرعية كالاطلاع على عورة الفتاة ، وكشفها أمام الأجنبية ، بدعوى تهيئتها للزوج ، والرقص والغناء ونحو هذا .

— العروس ليلة الزفاف :

أما الرجل فيكون في أجمل صورة ليلة زفافه من حسن المنظر والهيئة والملبس والنظافة الجسدية ، كحلق العانة ونتف الإبط ، وليحذر حلق اللحية خشية التشبه بأهل الكفر وقد : "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ" (٢) ، فلا يبدأ حياته الزوجية باللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى والعياذ بالله ، والباطنية والظاهرة .

— أما العروس — الزوجة — : فتكون في أبهى صورها من حسن الزينة والملبس والنظافة الجسدية والباطنية والظاهرة ، ولتكن على حذر من أمور عدة منها : الكوافير ، نتف الحواجب ، المناكير ، لباس

الشهرة .

— حكم الذهاب إلى الكوافير :

(١) أخرجه البخارى (٤٣١\١) ومسلم (١٤٥٩\٣) .

(٢) أخرجه البخارى وغيره .

(٥٥/١)

اعلمى أختي المسلمة إن أعداء الإسلام يكيّدون للامة الإسلامية بكل طريقة وسبيل ، ولا يتركون سلاحاً إلا واستخدموه ، ومن أهم أسلحتهم "الفتاة المسلمة" فكادوا لها بالأزياء تارة ، وبالعمل تارة أخرى ، وبالرياضة أخرى ، إلى غير ذلك ، من أوجه محاربة الكفار للإسلام ، ومن أوجه الخاربة ما انتشر في بلاد الإسلام بما يسمى "الكوافير" تذهب إليه النساء لوضع المساحيق وإزالة شعر الحاجبين بل وإزالة الشعور الداخلية ، وما يستتبع هذا "الكوافير" من مراكز "التجميل" من شد الوجه وتصغير وتكبير الثديين !! وإزالة ترهلات الأرداف !! إلى غير ذلك مما نسمعه ونقراءه ، وقد فهمى تعالى عن التشبه بأهل الكفر فقال تعالى : (وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) ، وفي الترمذى عنه - صلى الله عليه وسلم - : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى" وفي مسند الإمام أحمد قال - صلى الله عليه وسلم - : "وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ" ، فالذهاب إلى الكوافير ووضع المساحيق وشف شعر الحواجب ، وإزالة الشعور الداخلية حول قبل المرأة ، فيُطلع عليها دون حاجة ، مع الوقوع في النهى أن تباشر المرأة عورة المرأة دون حاجة ، وليس بالطبع هذه ضرورة تدعو لكشف عورة المرأة ، وكل هذا هو من باب التشبه بأهل الكفر ، ومن تشبه بهم حُشر معهم — والعياذ بالله تعالى — فلا أدري أيها "الرجل" كيف لك أن تأخذ "زوجتك" إلى من يدغدغ بأصابعه خصلات شعرها ، ويتأمل في وجهها ليضع لها المسحوق المناسب الذى يتناسب وبشرتها ؟! ، وكيف لك أن تتركها "قطعة من اللحم" تنهشها عيون الآخرين وتتأمل في مفاتها ، أم تراك ستحجب أعين الناس عن النظر إلى زوجتك ومفاتها ! .

— نتف الحواجب :

(٥٦/١)

وقد ورد النهي عن هذا بقوله- صلى الله عليه وسلم - : "لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ (١) وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ (٢) وَالْمُتَمَصَّاتِ (٣) وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ (٤) الْمُغَيَّرَاتِ خُلُقَ اللَّهِ تَعَالَى (٥)".
— المناكير :

وهو تدميم الأظفار بالألوان ، وهو أيضاً من باب التشبه بالكافرين ، كما انه يمنع من صحة الوضوء لعدم وصول الماء إلى إصل الأصابع والأظفار ، فلن تستطيع المرأة به أن تصلى خلف زوجها عند دخول بيت الزوجية ، أو تصلى قبل هذا المغرب مثلاً أو العشاء ، أو صلاة الفجر ، فلتكن على حذر .
— إطالة الأظفار : وهو أيضاً من باب التشبه بالكافرين ، وقد ورد عن النبي المعصوم - صلى الله عليه وسلم - : "الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالْإِسْتِحْدَادُ (٦) وَتَنْفُ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ" (٧) .

— ولا يكون لباس العروس — المرأة — لباس شهرة ولا يكون مشابهاً للباس أهل الكفر ، بل يجب أن يكون ساتراً لكل الجسد ، وان يكون صفيقاً لا يشف ، وأن لا يصف شيئاً من مفاتها ، ولا مطيباً ، ولا يكون لباس زينة ، أو شهرة ، ولا يشبه لباس أهل الكفر أو لباس الرجال .

(١) وهي التي تشم الناس ، ومنها ما ظهر أخيراً وانتشر وهو "التاتو" .

(٢) التي تضع الوشم الطالبة له .

(٣) وهو التي تطلب النمص ، وهو إزالة شعر الحاجبين .

(٤) التي تفلج أو تفرج بين ثنايا أسنانها طلباً للحسن .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(٦) أى حلق شعر العانة .

(٧) أخرجه البخارى ومسلم والنسائي .

(٥٧/١)

— هذا ولا حرج في استعارة العروس فستان الزفاف للترزين به ليلة عرسها ، فقد روى البخارى من طريق عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : "دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَلَيْهَا دِرْعُ (١) قِطْرُ ثَمَنٍ خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ فَقَالَتْ ارْفَعْ بَصْرَكَ إِلَى جَارِيتِي انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا تُرْهِى (٢) أَنْ تَلْبَسَهُ فِي الْبَيْتِ وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُنَّ دِرْعٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَمَا كَانَتْ امْرَأَةً تُقَيَّنُ (٣) بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أُرْسِلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ" (٤) .

— وتبقي كلمة : وهي : هل يجوز للمرأة استعمال "المكياج" والتجمل لزوجها ؟

— والجواب : نعم يجوز لها هذا في الحدود الشرعية ، وهذا من دواعي محبة الزوج لها ، فعلى المرأة أن تكون في أبهى صورة أمام زوجها وفي عينه ، وليس لها أن يظهر هذا منها لغير زوجها .
— ولكن : إذا كان كما يقال أن هذا "المكياج" أو بعضه يضر ببشرة المرأة فهو في هذا الحالة يكون أما محرماً أو مكروهاً ، والأولى سؤال الطيبة المسلمة لبيان صحة هذا القول من عدمه .
— ولكن لا يجوز للمرأة أن تلبس "الباروكة" من باب التجميل لزوجها ، بل هذا منهي عنه ، ولكن لا بأس إن كان الوصل من غير الشعر كالحريير والصوف الملون ونحوه .
— الغناء في العرس :

-
- (١) أى قميص .
 - (٢) أى تنكير .
 - (٣) أى تُزين للزفاف .
 - (٤) أخرجه البخارى (٢٤٣٥) .

(٥٨/١)

— ولا حرج في سماع الغناء لإعلان النكاح إذا لم يكن فيه محرماً ولم يصاحبه الطبل والزمير والكمّان وغير هذا من آلات اللهو ، ولا حرج في الضرب بالدف لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الصَّوْتُ يَعْنِي الضَّرْبُ بِالْذِّفِّ" (١) ، فأباح - صلى الله عليه وسلم - "الدف" ليكون سبباً في إعلان النكاح وبيان حله وانه غير سفاح ، أما الطبل والكمّان والعود وغير هذا من آلات اللهو فمنهي عنها ، بل هي حرام لقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (لقمان : ٦) قال عبد بن مسعود - رضي الله عنه - : هو الغناء ، وذكر بعض أهل العلم أن الغناء بآلة محرّم إجماعاً .

-
- (١) حسن : أخرجه أحمد وغيره .

(٥٩/١)

وعليه فالواجب الحذر من أن يبدأ العروسان حياتهما الزوجية بمعصية الله تعالى ، كما يفعل البعض بإقامة "حفل الزفاف" في بعض النوادي والقاعات ، وجلس العروسان في "الكوشة" للناس ، وعرض الرجل

زوجته على الجميع يتأملونها ومفاتنها وقد بدت في أجمل صورها ، وإحضار بعض "الفنانين" (١) لإحياء الحفل ، وإنما هي إماتة ومحاولة طمس السنة النبوية في الزفاف ، وتقليد غريب لإخوان القردة والخنزير في حفلات زفافهم ، ومن هم على شاكلتهم ممن يدعى الإسلام — علم هذا من علمه وجهله من جهله — فالواجب البعد عن هذا لما فيه من اختلاط الرجال والنساء ، وإرتداء النساء كل ما يكشف مفاتنهن ، والرقص الجماعي للرجال مع النساء ، والتصوير ، وقد صحت الأحاديث الكثيرة أن "أشدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ" (٢) إلى غير ذلك مما يعرفه الناس (٣) .

-
- (١) وفيه هذا ما فيه من التبذير المنهى عنه في قوله تعالى : "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" .
(٢) أخرجه البخارى (٣١٧\١٠) ومسلم (١٥٨\٦) .
(٣) ولا أدري سبباً يدعو الرجل أن يعلق صورة زفافه وقد بدت عروسه في أجمل زينتها وجهالها في غرفة "الصالون" مثلاً ليشاهدها كل زائر له ! ، لا أدري أهو التباهي بجمال عروسه وأنه اختار أجمل الفتيات ، أم هي دعوة لكل من يرى الصورة أن يزيى بزوجته (فالعين ترى وزناها النظر) ! أم تراه يتاجر بجمالها !! ، ولا أدري لماذا ترضى الزوجة بهذا العرض المبتذل لها ولجسمها .
وإذا كان هذا الفعل منهى عنه — التصوير ثم تعليق الصور ، وقد صح الحديث أن الملائكة لا تدخل بيت فيه كل أو صورة — فمن باب أولى النهى عن مقابلة الزوجة لكل زائر لزوجها وجلوستها اليه وتسليمه عليها ، والضحك والمزاح معه والاختلاط عامة ، ولانتشار هذا الامر وذيوعه بين الناس لزم التنبيه .

(٦٠/١)

-
- رش الملح : ورش الملح مرة أو سبع لدفع عين الحاسد ! هو نوع تبذير وإسراف وسفه .
— وعليه فليكن العروس على حذر من يبدأ حياته بمعصية الله تعالى وأن يتحمل أوزار كل من يغنى ويرقص ويتميل على أكتافه وفي ميزان سيئاته !!! .
— الزغاريد يوم الفرح : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : "نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمَشٍ وَجُوهٍ وَشَقَّ جُيُوبَ وَرَثَةِ شَيْطَانٍ" (١) .
— وليبدأ حياته الزوجية في بيت من بيوت الله تعالى وعلى سنة النبي — صلى الله عليه وسلم — ، وليكن سبباً في إحياء السنن لا إماتتها ، ونشر الخير لا الفجور والعري .
وعلى من دُعِيَ إلى حضور عقد النكاح أن يليى دعوة أخيه لمشاركته فرحته والدعاء له ، على أن يحذر أن يكون مكان حضوره مكان هو واختلاط وفسق وعري وتصوير كما يجرى لدى كثير من الناس ،

ودعوتهم أهل الباطل من الفنانين وأصحاب الخلاعة والمياعة والمنتسبين إلى الإسلام زوراً وبهتاناً ، حتى لا يدخل تحت قوله- صلى الله عليه وسلم - : "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (٢) .
— ويُستحب أن يكون العقد في بيت من بيوت الله تعالى تحفه الملائكة ويحضره أهل الصلاة والصلاح .
— وهنا يُقال : ما هي ألفاظ التزويج ؟

(١) صحيح : أخرجه الحاكم والبيهقي والترمذي بنحوه وغيرهم .
(٢) أخرجه البخاري (٦١٨٦) ومسلم (٢٦٤٠) ، وكيفيك في حل الغناء أو حرمة ما قيل : لو جاء الغناء يوم القيامة : يكون مع الحق أم الباطل ، في أي كفة يكون ، ولو كان ابن حزم وهو معتمد أهل الغناء حياً وسمع غناء اليوم ما قال بحله أبداً ، وانظر لكاتب السطور : أمثالنا الشعبية في ميزان الشرع ، ط : مكتبة العلم .

(٦١/١)

— وأقول : ان النكاح ينعقد بلفظ النكاح ، كأن يقول الولي للرجل : أنكحتك أو زوجتك ، كما قال تعالى : (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء : ٣) ، وقوله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَبَامَى مِنْكُمْ) (النور : ٣٢) ، وقول شعيب لموسي- عليه السلام - : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) (القصص : ٢٧) ، أما لفظ الزواج فقد ورد في قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) (الأحزاب : ٣٧) .

— قال ابن قدامة في المغنى (١) : وإذا قال الخاطب للولي : أزوجت ؟ فقال : نعم ، وقال للزوج : أقبلت ؟ قال : نعم فقد انعقد النكاح إذا حضره الشاهدان .
وقال الشافعي : لا تنعقد حتى يقول معه : زوجتك ابنتي ، ويقول الزوج : قبلتُ هذا التزويج ، لأن هذين ركنا العقد ولا ينعقد بدونهما .
ويقول الإمام ابن تيمية : "والتحقيق : إن المتعاقدين إن عرفا المقصود ، فأى لفظ من الألفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقد به العقد" (٢) .
ومذهب جمهور العلماء أن العقد ينعقد بكل لفظ يدل عليه ولا يختص بلفظ النكاح أو التزويج ، وركنا الزواج : إيجاب وقبول (وهي صيغة العقد) ، وشروطه أربعة :
— لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ :
ويُشترط لصحة العقد أموراً أربعة : الصداق ، الإعلان ، الشهود ، الولي .

(١) انظر المغنى (٤٢٨\٧) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٥٣٣\٢٠) .

(٦٢/١)

١— الصداق : لقوله تعالى : (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (النساء : ٤) ، وقوله تعالى : (أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) (البقرة : ٢٣٦) ، وقوله تعالى : (أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء : ٤) .

٢— الإعلان : لبيان حله من حرامه أنه نكاح لا سفاح ، قال - صلى الله عليه وسلم - : "أَعْلَنُوا النِّكَاحَ" (١) وقوله - صلى الله عليه وسلم - : "أشيدوا النكاح ، أشيدوا النكاح ، هذا النكاح لا السفاح" (٢) .

وقد قال بعض أهل العلم بوجوبه ، والبعض بأنه مندوب .

٣— الشهود : لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل" (٣) .

٤— الولي : "لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ" (٤) .

فإذا توافرت هذه الشروط الأربعة صح العقد والزواج ، وقد تقدم الحديث عن الصداق ، والإعلان ، وحضرت الشهود في المسجد تشهد إعلان هذا الزواج المبارك ، وبقي الولي ، وهنا ننبه إلى قضية "الزواج العرفي" (٥) ، قال - صلى الله عليه وسلم - : "لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ" (٦) ، وولي العروس : الأب ، الأخ ، العم ، الخال ، أولى العصبة الأقرب فالأقرب .

(١) حسن : أخرجه أحمد (٥\٤) وابن حبان (١٤٧\٦) والبيهقي (٢٨٨\٧) .

(٢) صحيح : أخرجه ابن منده في المعرفة (٢١٨\٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البيهقي (١٢٥\٧) والطبراني (١٤٢\١٨) .

(٤) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) والترمذي (١١٠١) وابن ماجه (٦٠٥\١) وغيرهم .

(٥) يأتي الحديث عنها في القسم الثاني من الكتاب .

(٦) تقدم .

(٦٣/١)

— وهنا يُطرح سؤال وهو : هل يشترط أن يضع الخاطب يده في يد الولي كما نرى حين العقد ، وكما يصنع "المأذون" أن يضع المندبل على يد الخاطب والولي ، وما يقوله من ألفاظ نحو : على مذهب الإمام أبي حنيفة...؟ .

والجواب : انه لا يشترط وضع يد الخاطب في يد الولي ، ولا أصل لوضع المندبل ، وكذا لا أصل في السنة !!! لقول المأذون وتخصيص مذهب أبي حنيفة ، إنما لأن هذا المذهب كان هو المأخوذ به في مصر ، فجاء هذا اللفظ من المأذون ، والله أعلم .

— لطيفة : الفرق بين النكاح — الزواج :

لا يفرق كثير من أهل اللغة وشارحي القرآن بين لفظي "النكاح" و "الزواج" فتستعمل كل لفظة مكان الأخرى ، ولكن القرآن وضع كل لفظة في مكان لتدل على معنى بعينه ، لا يدل عليه الآخر . فلفظ "النكاح" ففي كتاب الله تعالى تأتي للدلالة على العقد الشرعي ، وما يترتب عليه من أحكام شرعية ، دون الوطاء والمعاشرة الزوجية .

يوضحه الاصل اللغوي للفظ النكاح ، فالنون والكاف والحاء أصل واحد وهو البضاع ، والنكاح يكون للعقد للعقد دون الوطاء .

ومما يدل على ما سبق ويشفى العي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) (الاحزاب : ٤٩) ، ففي قوله تعالى : (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) خير دليل على أن المراد بالنكاح إما هو العقد دون الوطاء .

(٦٤/١)

ومن الادلة أنه يأتي للدلة على الأحكام الشرعية قوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) (النساء : ٢٢) ، وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) (الاحزاب : ٥٣) ، وقوله تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) (المتحنة : ١٠) ، وقوله تعالى : (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (النور : ٣) ، وقوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (النساء : ٢٥) إلى غير ذلك من الآيات .

(٦٥/١)

إن لفظ "الزواج" فإنه أعم وأشمل من "النكاح" ، فهو يأتي على عدة معان منها : الدلالة على مطلق الاقتران بين اثنين كما في قوله تعالى : (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ) (النساء : ٢٠) ، وقوله تعالى : (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) (البقرة : ٢٣٠) ، وقوله تعالى عن شياطين الإنس من اليهود وتعلمهم السحر : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) (البقرة : ١٠٢) ، وقوله تعالى : (لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) (الاحزاب : ٣٧) ، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ) (البقرة : ٢٤٠) وفي الآية الاخيرة دلالة على أن "الزواج" يأتي بمعنى الأحكام الشرعية المترتبة على الزواج ، وكقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) (الاحزاب : ٥٠) ، وكقوله تعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ) (النساء : ١٢) .

— وتأتي كلمة "الزواج" أيضاً في كتاب الله تعالى بمعنى "الجمع" كما يدل عليه اللفظ لغة كما في قوله تعالى : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) (هود : ٤٠) ، وقوله تعالى : (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) (الرعد : ٣) ، وقوله تعالى : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات : ٤٩) ، وقوله تعالى : (أَوْ يُزَوِّجَهُمْ دُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى : ٥٠) .

(٦٦/١)

— كما تأتي أيضاً بمعنى "النوع" كما في قوله تعالى : (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (ق : ٧) ، وقوله تعالى : (وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج : ٥) ، وقوله تعالى : (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) (لقمان : ١٠) .

وعليه فلفظ "الزواج" أعم وأشمل دلالة من لفظ "النكاح" . والله أعلى وأعلم (١) .

— الدعاء للعروسين :

أما الدعاء للعروسين فقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "كَانَ إِذَا رَفَأَ (٢) الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ" (٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنه - قالت : "تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَتَيْتَنِي أُمِّي فَأَدْخَلَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَا عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِفٍ" (٤) ونهى - صلى الله عليه وسلم - عن قول "بالرفاء والبنين" ، فقد روى عبد الله بن محمد بن عقیل قال : "تَزَوَّجَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ فَقَالَ مَهْ لَا تَقُولُوا ذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -

الله عليه وسلم - قَدْ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ قُولُوا بَارَكَ اللَّهُ لَهَا فِيكَ وَبَارَكَ لَكَ فِيهَا" (٥) .

(١) انظر لكاتب السطور : "معترك الأقران في ألفاظ القرآن" .

(٢) رفاً : أى هنا ، من قولهم : بالرفاء والبنين .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذى وأبو داود .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) صحيح : أخرجه النسائى وأحمد (٤٥١\٣) واللفظ له .

(٦٧/١)

ولا حرج في قيام العروس على خدمة الحُضور لما روى البخارى : "لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ دَعَا النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابَهُ فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلَا قَرَبَهُ إِلَيْهِمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِي ثَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الطَّعَامِ أَمَاتَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ تُنَجِّفُهُ بِذَلِكَ" (١) .

على ألا تكون متبرجة سافرة تأمن الفتنة .

— وبعد العقد والدعاء للعروسين ينصرف العروسان إلى بيت الزوجية ليبدأ معاً أولى أيام وليالى حياتهما الزوجية .

— ليلة الزفاف (٢) : الصلاة أولاً :

(١) أخرجه البخارى (٢٠٠\٩) ومسلم (١٠٣\٦) .

(٢) وهنا ننبه إلى بدعة لباس الرجل ملابسه مقلوبة ! وارتدائه (شبكة صياد) ! وأكل عدد معين من البيض مكتوباً عليه بعض الطلاسم والكفريات ، وغير هذا من التحويطات والبدع المنتشرة بين الناس ظناً منهم أنها تدفع العين أو للحيلولة دون ربط الزوج ليلة زفافه ، وقد الحقنا بهذا الكتاب بعض ما سطرته في كيفية فك السحر عن "المربوط" ليلة زفافه .

(٦٨/١)

— ويبدأ العروسان ليلة زفافهما بدخول البيت — بالرجل اليمنى — وإلقاء السلام ، ثم بالصلاة ركعتين لله تعالى ، فقد صحَّ عن عبد الله بن مسعود - صلى الله عليه وسلم - انه قال لمن جاء يسأله قائلاً : "أنى

تزوجت جارية شابة — بكرًا — وأنى أخاف أن تفركنى (١) " فقال له عبد الله بن مسعود : إن الإلف من الله ، والفرك من الشيطان ، يريد أن يكره إليكم ما أحل الله لكم ، فإذا أتتك فأمرها أن تصلى وراءك ركعتين" وفي رواية أخرى : "وقل : اللهم بارك لى فى أهلى ، وبارك لهم فى ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير ، وفرّق بيننا إذا فرقت إلى خير" (٢) .

— وعن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال : "تزوجت وأنا مملوك ، فدعوت نفرًا من أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — فيهم ابن مسعود وأبو ذر وحذيفة ، قال : وأقيمت الصلاة ، قال : فذهب أبو ذر ليتقدم ، فقالوا : إليك ! قال : أو كذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فتقدمت بهم وأنا عبد مملوك ، وعلمونى فقالوا : إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين ، ثم سل الله من خير ما دخل عليك ، وتعوذ به من شره ، ثم شأنك وشأنك أهلك" (٣) .

— وضع اليد على رأس الزوجة والدعاء لها :

(١) أى تكرهنى .

(٢) صحيح : أخرجه ابن أبى شيبه (١٢\٧) وعبد الرزاق (١٩١\٦) والطبرانى (٢١\٣) وغيرهم .

(٣) صحيح : أخرجه ابن أبى شيبه (١٢\٧) وعبد الرزاق (١٩١\٦) .

فائدة : وفي هذا الأثر : تقدم المفضل على الفاضل ، وتعليم صاحب الحاجة وإن لم يستل لخرج ونحوه ، وطلب حضور أهل العلم والفضل .

(٦٩/١)

روى أبو داود قوله — صلى الله عليه وسلم — : " ١٨٤٥ إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا (١) عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ" (٢) .

وبعد أن أتم العروس الدعاء إذا به يلتفت تجاه عروسه فيطبع على جبهتها قبلة حانية رقيقة وقد وضع يديه على كتفيها أو رقبتها ، كتوطئة وهيئة نفسية للعروس .

ثم يترك العروس عروسه لتدخل حجرتها لتلتقط أنفاسها بعد هذه القبلة التى طبعت على جبهتها للمرة الأولى من رجل لم تألفه بعد ، ثم لتزين وتتهيا نفسياً لما وراء هذه القبلة من أحداث ستجرى ألفتها أمها أو صديقاتها فى رأسها .

وهنا نبيه إلى كيفية بدء الرجل الليلة الأولى من ليلى حياته الزوجية ، وبيان أهمية هذه الليلة عند كل فتاة تخطو خطوها الأولى مع شريك العمر .

قصة من الواقع : وأسوق إليك هذه القصة لرجل تزوج حديثاً وكان كثير من الشباب يتخيل ويرتب في رأسه ما سيفعله في ليلة الزفاف "ليلة العمر" يقول :

(١) خلقتها وطبعتها عليه .

(٢) حسن : أخرجه البخارى في "أفعال العباد" (٧٧) وأبو داود (٣٣٦١) وابن ماجه (٥٩٢١) .

(٧٠/١)

ما إن دخلت بيتي وأغلقت الباب بعد سلامي على من أوصولني إلى البيت حتى نظرت إلى زوجتي فوجدتها قد تأهبت للصلاة ركعتين إتباعاً للسنة وكأفضل بداية للحياة الزوجية وهذه الليلة "ليلة العمر" وبعد أن انتهيت من الصلاة وزوجتي خلفي حتى نظرت إليها بحب وودٍ ، ثم طبعت قبلة رقيقة على جبهتها وحمدت الله تعالى أن جمعني بها وعليها على كتاب الله وعلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فحمدت هي الأخرى هذا الله تعالى ، ثم تركتها تدخل حجرها لتزين ولتلتقط أنفاسها ، ثم جلست إلى الأريكة وأنا أفكر كيف أبدأ ليلتي وهي أهم ليلة في حياتي الزوجية وحياتها وكنت قد قرأت عن بعض الحالات النفسية التي أصابت بعض الفتيات من جراء الجهل بكيفية بدء الحياة الزوجية ليلة الزفاف ، فمنهم من تقول : لقد دخل على زوجي حجرتي كالثور الهائج فأصابني بالهلع مما رأيت ، رأيت رجلاً عارياً تماماً و "كرشه" - هكذا - أمامه ينظر إلى كفريسة وقعت بين يديه وقد أكله الجوع ، وعينان تبرقان كالبرق ينفذان إلى قلبي ، فلم أدر إلا وجسدي كله قد أصابته الرعدة والتشنج ، ولم أفق من غيوبتي إلا وأمي بجوارى ، وفي الصباح كان الطلاق ! (١) .

وأخرى تروى قصتها فتقول : لقد رأيت عينيه تغتصبي قبل أن تمتد يده إلى جسدي ، فتمالكت نفسي وأخذت نفساً عميقاً ثمينة له ، ولما "سقط" - كذا - على بجسده وتحسست يديه جسدي لم أتمالك نفسي من دفعه عني ، ولم يكن هناك شئ حتى ثلاث ليال .

(١) ويقول الامام ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" كان ببغداد رجل رأى فتاة فأحبها وتزوجها ، فلما كانت ليلة الوفاف استعجل أمره ، فرأت الفتاة كبر عضوه ، فنفرت منه - وأبت الرجوع اليه حتى الموت" .

(٧١/١)

وهذا رجل تتدلل عليه زوجته فيظنه كرهاً ! فيربطها — بعد أسبوع من العناء — في "السرير" حتى يشبث رجولته ، وآخر لم يستطع التغلب على حصون القلعة فيأتي بمن يساعده بالطريقة "البلدى" (١) !!! .
يقول : دارت في رأسي هذه الأفكار وغيرها وأنا أبدأ أول ليلة من ليالي الحياة الزوجية ، وأنا أعلم أن هذه الليلة الأثر كل الأثر في الحياة الزوجية مستقبلاً .

يقول : وبينما أنا مع أفكاري وخواطري إذا بخشخشة تخرج من حجرة الزوجة — وكأنها تقول : هيئت لك ! — فطرحت أفكاري جانباً ونهضت ناحية الغرفة فطرقت الباب طرقة خفيفة مازحاً : العشاء جاهز .

(١) وهذه العادة للأسف تنتشر بكثرة في الريف المصري أكثر من حضره ، فتجتمع بعض النسوة على العروس وتأخذ أيد النساء بيد العروس ، والأخرى بيدها الأخرى ، وتأخذ امرأة ثالثة بقدم العروس ورابعة بقدمها الأخرى ، ثم تأتي المرأة الخامسة فتأخذ "شرف" البنت وعرضها ، وتبلل القماش الأبيض بدمها ! للعرض ، ويبدأ الرقص والفرح يعم البيت والاهل لعفة البنت وحفاظها على "شرفها" وفيها ما فيها من البعد عن الشرع الحنيف ، وما يسببه هذا الأمر من اطلاع من ليس له أن يطلع على العورات ، وما يسببه من حالة نفسية سيئة جداً للفتاة التي تبدأ حياتها الزوجية أول ما تبدأ وفي أولى لحظاتها بهذا العمل المشين وما يسببه لها من ألم عضوي ونفسي ، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إِنَّ مِنْ أَشْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا" أخرجه مسلم وغيره ، فما بالك بمن يدعو الناس لمشاهدة نتاج ليلة الزفاف ! .

(٧٢/١)

فخرجت فتاة أحلامي في ثوبها الرقيق الشفاف فأخذتني "الرغبة" واحمر وجهي خجلاً مما أرى — فهذه هي المرة الأولى التي أرى فيها امرأة بهذه الثياب — فتمالكت نفسي ثم مددت يدي إلى يدها برفق لأخذها لنجلس معاً لتناول العشاء ، وما إن جلست بجانبى حتى شعرت بأن الخوف والرغبة والأفكار التي كانت تملأ رأسي قد ذهبت وتبخرت ، وشعرت كأنني أجلس في حمام بارد فبرد جسدي كله ، نعم ، ولم يدر برأسي إلا أن : هذه زوجتك وليست فريستك ، فلما العجلة ؟ هي لك ومعك وبين يديك الآن وبعد ساعة بل غداً وبعد غدٍ ودائماً إن شاء الله تعالى ، فلما العجلة !؟ .
ومددت يدي التقط بعض الطعام أضعه في فيها إتباعاً لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أن للرجل أجراً حين يضع اللقمة في فم امرأته .

يقول : وناولتها الطعام مصحوبة بنظرة حانية تقول : مهلاً حبيبتي لا تخافي ، ثم خطر برأسي خاطر رأيته

أحسن ما يُذهب رهبتها وخوفها ، فقممت إلى مكتبي فأحضرت بعض الأوراق و "والكراسات" التي كنت أدون فيها بعض خواطري حال صباى ، وأخذت أعرض عليها بعض أفكارى لتتلمح بعض شخصيتى ولأذهب رهبتها وخوفها ، وأخذت أقرأ وهى تسمع ، وتارة تقرأ هى وأسمع أنا ، مع تعليقي على بعض الكلمات والضحك من بعض الكلمات والأفكار والخواطر ، وكنت أتلمس الفرصة لألمس يديها أو شعرها .

ولم ندر إلا وقد انقضت ساعة كاملة شعرنا فيها — معاً — بالحاجة إلى القبلة واللمسة فأمسكت بيديها وقبلتهما ثم شفتيهما ، وكانت قبلة طويلة حارة أخذتنا إلى عالم آخر فلم نشعر إلا وقد انتقلنا من الحجرة الخارجية وإذا بنا على فراش الزوجية .
يقول : فكانت هذه أول ليلة من ليالى حياتنا الزوجية .

(٧٣/١)

وبعد خمس سنوات من الزواج جلسنا معاً نتذكر أول ليلة ، فكان من قولها : إن البنات فى ليلة الزفاف تمتلئ رؤوسهن بالحكايات والقصص التي تجعل أكثرهن يهبن هذا اليوم ، وأنا كنت كغيرى البنات ، كنت احسب لهذه الليلة ألف حساب ، ولكنك أذهبت كل خوفى ورهبتى بما كان من قراءة تلك الأوراق التي كنتَ تسطرها قبل زواجنا ، وعدم العجلة فجزاك الله عنى كل خير .
أقول : إنما سقت إليك هذه القصة لما نسمع ونرى من الجهل بكيفية بدء ليلة الزفاف الأولى فى حياة الزوجين ، وما يترتب على هذه الليلة من سعادة أو شقاوة لأى من الزوجين أو كلاهما .
— ما يقول الرجل حين يجامع أهله :

روى البخارى عن ابن عباس يبلغ به النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقْنَا فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ" (١) .
قال القاضى : قيل المراد بأنه لا يضره أنه لا يصرعه شيطان ، وقيل : لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره ، قال : ولم يحمله أحد على العموم فى جميع الضرر والوسوسة والإغواء ، هذا كلام القاضى (٢) .

(١) أخرجه البخارى (٦٥\١) ومسلم (١٠٨٥\٢) .

— وقيل أن العبد إذا جامع أهله فلم يسم الله ، التف الجنى على عضو الرجل فجاءت المرأة قبل أن يجامعها زوجها .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم (٥\١٠) .

— فض غشاء البكارة : وعلى الزوج أن يكثر من المداعبة والملاعبة قبل أن يبدأ في فض غشاء البكارة ، ويكون أمره باللين حتى تلين زوجه معه ، وعليه بمداعبة باطن الفخذين حتى يلينا فينفرجا فيسهل الأمر عليه ، فإذا أحس منها باللين أوج عضوه باللين أيضاً وعلى مهل ، ولا يكثر من الإيلاج أو الدفع بشدة ، حتى إذا انفض الغشاء ترك زوجته قليلاً لتزيل أثر الدم ، وليتركها ساعة تستريح (١) .

— وأفضل أشكال فض البكارة وإزالتها :

أن تستلقى المرأة على ظهرها ، وتطوى فخذيهما وقد انفرجا حتى يلتصقا بكتفيها ، - والزوج يقبل شفيتها حتى لا تشعر بالحرج أو الخوف - فينفرج الفرج والشفرة مما يسهل الإيلاج للزوج ، وهذا هو أفضل الأشكال وأحسنها (٢) .

— كيف يأتي الرجل أهله :

وللرجل أن يأتي امرأته كيف شاء مقبلة ومدبرة ، مجيبة (٣) وعلى حرف (٤) ، قائمة وجالسة وقاعدة ، على أن يحذر الدبر والحیضة .

- (١) وعليها أن تقيم جداً بنظافة هذا الموضع منها بالمطهرات حتى يلتئم جرحها .
- (٢) وغشاء البكارة متنوع الاشكال ، فمنه هلالى الشكل أو مشرشر ، ويوجد من غشاء البكارة ما له فتحتان ، وهو غشاء رقيق يصل سمكه إلى مليمترين ، فهو رقيق جداً ، ولذلك تحذر الفتاة من محاولة ادخال إصبعها فهي محاولة عابثة محفوفة بالمخاطر ، فهذا الغشاء الرقيق عنوان عفتها ودينها بل وحياتها ، ومن الطبيعى أن عضو الرجل قادر على تمزيق هذا الغشاء الرقيق ، ويمثلونه : كمن يضرب جلد الطلبة بعضى ضربة عمودية ، فينشق الغشاء مصحوباً ببضع قطرات من الدماء قد لا تتجاوز الخمس قطرات .
- (٣) مجيبة : أى على وجهها ، وقال عياض : المتجبية تكون على وجهين — أحدهما : أن تضع يديها على ركبتيها وهى قائمة ، منحنية على هيئة الركوع ، والآخر : تنكب على وجهها باركة .
- (٤) على حرف : أى على جنب .

قال تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) أى : كيف شئتم .
ففى الصحيحين عن جابر قال : "كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَتَزَلَّتْ (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) (١) وفى لفظ للإمام مسلم : "إِنْ شَاءَ

مُجَبِّيةً وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مُجَبِّيةٍ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ".

(١) أخرجه البخارى (١٥٤\٨) ومسلم (١٥٦\٤) .

(٧٦/١)

وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : "كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ أَهْلُ وَثْنٍ مَعَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ فَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرْحاً مُنْكَرًا وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ وَقَالَتْ إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ فَاصْنَعْ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي حَتَّى شَرِي(١) أَمْرُهُمَا فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — فَأَنْزَلَ اللَّهُ — عز وجل — (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أَيُّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ " (٢)

— الوليمة صبيحة العرس (٣) : وتجب الوليمة بعد الدخول لقوله — صلى الله عليه وسلم — لما خطب على فاطمة — رضى الله عنها — : "أنه لا بد للعروس من وليمة ، قال : فقال سعد : على كبش ، وقال فلان : على كذا وكذا من ذرة ، وفي رواية : وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً ذرة" (٤) .

(١) اشتهر وانتشر .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٧٧\١) وغيره .

(٣) هذا المبحث مستفاد من "آداب الزفاف" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى ، بتصرف .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٣٥٩ \ ٥) .

(٧٧/١)

— وعن أنس — صلى الله عليه وسلم — قال : "أولم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذ بنى بزینب ، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ، ثم خرج إلى أمهات المؤمنين فسلم عليهن ، ودعا لهن ، وسلم عليهن ودعون له ، فكان يفعل ذلك صبيحة بنائه" (١) .

- وعنه - رضي الله عنه - قال : "بني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة فأرسلني فدعوت رجالاً على الطعام" (٢) .
- والسنة فيها أن تكون ثلاثة أيام : لحديث أنس أيضاً - رضي الله عنه - قال : "تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - صفية ، وجعل عتقها صداقها ، وجعل الوليمة ثلاثة أيام" (٣) .
- وأن يدعو إليها الصالحين لقوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث العام : "لَا تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلُ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيًّا" (٤) .
- أن يولم بشاة أو أكثر إن كان في الأمر سعة لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "أُولِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ" (٥) .
- جواز الوليمة بالتمر واللبن والسمن :

- (١) صحيح : أخرجه النسائي في الوليمة (٦٦\٢) .
- (٢) أخرجه البخاري (١٨٩\٩) .
- (٣) حسن : أخرجه أبو يعلى بسند حسن كما في الفتح (١٩٩\٩) وهو في صحيح البخاري (١٧\٣٨٧) بمعناه . انظر : "آداب الزفاف" للعلامة الألباني رحمه الله تعالى .
- (٤) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .
- (٥) أخرجه البخاري (٢٣٢\٤) .

(٢٨/١)

وإن لم يكن في الأمر سعة أولم بالطعام دون اللحم لقول أنس - رضي الله عنه - قال : "أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بين خيبر والمدينة ثلاثاً يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ بِنْتُ حَيٍّ فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ أَمَرَ بِالْإِطْعَامِ (١) فَأَلْقَى فِيهَا مِنَ التَّمْرِ وَالْأَفِطِ (٢) وَالسَّمْنَ فَكَانَتْ وَلِيمَتُهُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ إِحْدَى أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ فَقَالُوا إِنَّ حَجَبَهَا فَهِيَ مِنْ أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَى لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّاسِ" (٣) .

— مشاركة أهل الخير والسعة في الوليمة : لحديث أنس - رضي الله عنه - قال في قصة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين صفية : "حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزْتُهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَرُوسًا فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ قَالَ وَبَسَطَ نَظْعًا قَالَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْأَفِطِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمَنِ فَحَاسُوا

حَيْسًا فَكَأَنَّتْ وَلِيْمَةً رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -" (٤) .
— النهى عن تخصيص الأغنياء بالدعوة :

-
- (١) جمع نطع : بساط يتخذ من الاديم وهو الجلد المدبوغ .
(٢) اللبن الجفف .
(٣) أخرجه البخارى (٣٧٨\٧) ومسلم (١٤٧ \ ٤) .
(٤) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد .

(٧٩/١)

— ولا يجوز تخصيص الأغنياء بالدعوة إلى الوليمة لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ
الْوَلِيْمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (١) .
— ويجب إجابة الدعوة لقوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث السابق : "وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ
فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " فَكُتِبَ الْعَانِي (٢) وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَعُودُوا
الْمَرِيضَ" (٣) .

— وعليه إجابة الدعوة وان كان صائماً لحديث أبي سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال : "صنعت
لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاماً فأثنى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم
: أنى صائم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : دعاكم أخوكم وتكلف لكم ! ، ثم قال له :
افطر وصم مكانه يوماً إن شئت" (٤) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ (٥) وَإِنْ كَانَ
مُفْطِرًا (٦) فَلْيَطْعَمْ" (٧) .

-
- (١) أخرجه مسلم ، وهو عند البخارى موقوفاً عليه وهو في حكم المرفوع كما بينه الحافظ في شرحه ،
وانظر : "آداب الزفاف" .
(٢) العاني : أى الاسير .
(٣) أخرجه البخارى .
(٤) حسن أخرجه البيهقى ، وفيه أن المتطوع أو صائم النفل ليس عليه قضاء .
(٥) أى : فليدعوا لصاحب الطعام ، فإن الصلاة أصلها فى اللغة : الدعاء ، ومعناها فى الشرع —
الإصطلاح — الصلاة المعروفة من القيام والركوع والسجود ، والى تبدأ بالتكبير وتنتهى بالتسليم .

(٦) وهذا هو الصواب : وليس كما يقال : فاطر ! .

(٧) أخرجه مسلم وغيره .

(٨٠/١)

— وعلى من حضر الدعوة الدعاء لصاحبها لحديث عبد الله بن بسر — رضي الله عنه — أن أباه صنع طعاما للنبي — صلى الله عليه وسلم — فدعاه فأجابه فلما فرغ من طعامه قال : "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ وَآغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمَهُمْ" (١) .

— وفي حديث آخر : "اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي" (٢) .

— وفي حديث ثالث يدعو فيقول : "أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ" (٣) .

— ويمكث الزوج عند البكر سبعاً وعند الشيب ثلاثة أيام .

القسم الثاني

— ومن أبواب الزواج :

— فإن قيل فما هي الشروط في النكاح ؟

— الجواب : "جاء في الصحيحين عنه — صلى الله عليه وسلم — "أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُؤْفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ" (٤) ، وفيهما عنه : "لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةَ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا وَلِتَنْكِحَ فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا" (٥) .

فتضمن هذا الحكم وجوب الوفاء بالشروط التي شرطت في العقد إذا لم تتضمن تغييراً لحكم الله ورسوله .

وقد اتفق على وجوب الوفاء بتعجيل المهر أو تأجيله والضمين والرهن به ونحو ذلك وعلى عدم الوفاء باشتراط ترك الوطء والإنفاق والخلو عن المهر ونحو ذلك .

واختلف في شرط الإقامة في بلد الزوجة وشرط دار الزوجة ، وأنه لا يتسرى عليها ولا يتزوج عليها فأوجب أحمد وغيره الوفاء به ومتى لم يف به فلها الفسخ عند أحمد .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد وغيره .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(٨١/١)

واختلف فى اشتراط البكارة والنسب والجمال والسلامة من العيوب التى لا يفسخ بها النكاح وهل يؤثر عدمها فى فسخه على ثلاثة أقوال ثالثها الفسخ عند عدم النسب خاصة ، وتضمن حكمه - صلى الله عليه وسلم - بطلان اشتراط المرأة طلاق أختها وأنه لا يجب الوفاء به .

— فإن قيل فما الفرق بين هذا وبين اشتراطها أن لا يتزوج عليها حتى صححتهم هذا وأبطلتم شرط طلاق الضرة ؟

— الجواب : قيل : الفرق بينهما أن فى اشتراط طلاق الزوجة من الإضرار بها وكسر قلبها وخراب بيتها وشماتة أعدائها ما ليس فى اشتراط عدم نكاحها ونكاح غيرها ، وقد فرق النص بينهما فقياس أحدهما على الآخر فاسد" (١) .

— فإن قيل فما حكم الإسلام فيمن تزوج بامرأة فوجدها حبلى ؟

— قال الإمام أحمد وجمهور الفقهاء وأهل المدينة بطلان هذا النكاح ، ويجب المهر المسمى أو مثله أو أقل منه على اختلاف بينهم ، ويجب عليها الحد وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

— إذن فما هى المحرمات من النساء ؟

— الجواب : "حرّم الأمهات وهن كل من بينك وبينه إيلاد من جهة الأمومة أو الأبوة كأمهاته وأمهات آبائه وأجداده من جهة الرجال والنساء وإن علون .

وحرّم البنات وهن كل من انتسب إليه بإيلاد كبنات صلبه وبنات بناته وأبنائهن وإن سفلن .

وحرّم الأخوات من كل جهة .

وحرّم العمات وهن أخوات آبائه وإن علون من كل جهة .

وأما عمّة العم فإن كان العم لأب فهى عمّة أبيه وإن كان لأم فعمته أجنبية منه فلا تدخل فى العمات ،

وأما عمّة الأم فهى داخلّة فى عماته كما دخلت عمّة أبيه فى عماته .

وحرّم الخالات وهن أخوات أمهاته وأمّهات آبائه وإن علون ، وأما خالة العمّة فإن كانت العمّة لأب

فخالته أجنبية وإن كانت لأم فخالته حرام لأنها خالة ، وأما عمّة الخالة فإن كانت الخالة لأم فعمتها

أجنبية وإن كانت لأب فعمتها حرام لأنها عمّة الأم .

(١) زاد المعاد (٩٥\٥) .

وحرّم بنات الأخ وبنات الأخت فيعم الأخ والأخت من كل جهة وبناتهما وإن نزلت درجتهم .
 وحرّم الأم من الرضاعة فيدخل فيه أمهاتهما من قبل الآباء والأمهات وإن علون وإذا صارت المرضعة أمه
 صار صاحب اللبن وهو الزوج أو السيد إن كانت جارية أباه وآبأؤه أجداده فنبه بالرضعة صاحبة اللبن
 التي هي مودع فيها للأب على كونه أبا بطريق الأولى لأن اللبن له وبوطئه ثابت ولهذا حكم رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - بتحريم لبن الفحل (١) فثبت بالنص وإيمائه انتشار حرمة الرضاع إلى أم
 المرتضع وأبيه من الرضاعة وأنه قد صار ابناً لهما وصار أبوين له فلزم من ذلك أن يكون إخوانهما
 وأخواتهما خالات له وعمات وأبنائهما وبناتهما إخوة له وأخوات فنبه بقوله : (وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ)
 (النساء : ٢٢) على انتشار حرمة الرضاع إلى إخوانهما وأخواتهما كما انتشرت منهما إلى أولادهما فكما
 صاروا إخوة وأخوات للمرتضع فأخواتهما وخالاتهما أخوال وخالات له وأعمام وعمات له ، الأول
 بطريق النص ، والآخر بتنبيهه، كما أن الانتشار إلى الأم بطريق النص وإلى الأب بطريق تنبيهه .
 وهذه طريقة عجيبة مطردة في القرآن لا يقع عليها إلا كل غائص على معانيه ووجوه دلالاته ، ومن هنا
 قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ولكن الدلالة
 دلالتان خفية وجليّة فجمعتهما للأمة ليتم البيان ويزول الإلتباس ويقع على الدلالة الجلية الظاهرة من
 قصر فهمه عن الخفية .
 وحرّم أمهات النساء فدخل في ذلك أم المرأة وإن علت من نسب أو رضاع دخل بالمرأة أو لم يدخل بها
 لصدق الإسم على هؤلاء كلهن .

(١) الفحل : أى الزوج ، وهو اللبن الذى يتولد للمرأة بعد جماع زوجها لها وبعد وضعها ، والحديث
 أخرجه البخارى ومسلم .

وحرّم الربائب اللاتي في حجور الأزواج وهن بنات نسائهم المدخول بهن فتناول بذلك بناتهن وبنات
 بناتهن وبنات أبنائهن فإنهن داخلات في اسم الربائب وقيد التحريم بقيد أحدهما كونهن في حجور
 الأزواج .
 والثاني : الدخول بأمهاتهن فإذا لم يوجد الدخول لم يثبت التحريم وسواء حصلت الفرقة بموت أو طلاق
 هذا مقتضى النص .

وذهب زيد بن ثابت ومن وافقه وأحمد في رواية عنه إلى أن موت الأم في تحريم الربيبة كالدخول بها لأنه يكمل الصداق ويوجب العدة والتوارث فصار كالدخول والجمهور أبوا ذلك وقالوا الميتة غير مدخول بها فلا تحرم ابنتها والله تعالى قيد التحريم بالدخول وصرح بنفيه عند عدم الدخول .
وأما كونها في حجره فلما كان الغالب ذلك ذكره لا تقييداً للتحريم به بل هو بمنزلة قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) (الإسراء : ٣١) ولما كان من شأن بنت المرأة أن تكون عند أمها فهي في حجر الزوج وقوعاً وجوازاً فكانه قال اللاتي من شأنهن أن يكن في حجوركم .
ففي ذكر هذا فائدة شريفة وهي جواز جعلها في حجره وأنه لا يجب عليه أبعادها عنه وتجنب مؤاكلتها والسفر والخلوة بها فأفاد هذا الوصف عدم الامتناع من ذلك .

(١/٨٤)

ولما خفى هذا على بعض أهل الظاهر شرط في تحريم الربيبة أن تكون في حجر الزوج وقيد تحريمها بالدخول بأمها وأطلق تحريم أم المرأة ولم يقيده بالدخول فقال جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم إن الأم تحرم بمجرد العقد على البنت دخل بها أو لم يدخل ولا تحرم البنت إلا بالدخول بالأم وقالوا أبهموا ما أبهم الله وذهبت طائفة إلى أن قوله : (اللاتِي دَخَلْتُمْ) (النساء : ٢٣) وصف لنسائكم الأولى والثانية وأنه لا تحرم الأم إلا بالدخول بالبنت وهذا يردده نظم الكلام وحيلولة المعطوف بين الصفة والموصوف وامتناع جعل الصفة للمضاف إليه دون المضاف إلا عند البيان ، فإذا قلت : مررت بغلام زيد العاقل ، فهو صفة للغلام لا لزيد إلا عند زوال اللبس، كقولك مررت بغلام هند الكاتبة ، ويرده أيضاً جعله صفة واحدة لموصوفين مختلفي الحكم والتعلق والعامل وهذا لا يعرف في اللغة التي نزل بها القرآن .
وأيضاً فإن الموصوف الذي يلي الصفة أولى بها لجواره والجار أحق بصفته ما لم تدع ضرورة إلى نقلها عنه أو تخطيها إياه إلى الأبعد .

— فإن قيل فمن أين أدخلتم ربيته التي هي بنت جاريته التي دخل بها وليست من نسائه ؟
قلنا السرية قد تدخل في جملة نسائه كما دخلت في قوله : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) ودخلت في قوله : (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) (البقرة : ١٨٧)
ودخلت في قوله : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء : ٢٢) .
— فإن قيل : فيلزمكم على هذا إدخالها في قوله : (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ) (النساء : ٢٣) فتحرم عليه أم جاريته .

قلنا : نعم وكذلك نقول إذا وطئ أمته حرمت عليه أمها وابنتها .

— فإن قيل : فأنتم قد قررتم أنه لا يشترط الدخول بالبنت في تحريم أمها فكيف تشترطونه ها هنا ؟

قلنا : لتصير من نسائه فإن الزوجة صارت من نسائه بمجرد العقد وأما المملوكة فلا تصير من نسائه حتى يطأها فإذا وطئها صارت من نسائه فحرمت عليه أمها وابنتها .

— فإن قيل : فكيف أدخلتم السرية في نسائه في آية التحريم ولم تدخلوها في نسائه في آية الظهار والإيلاء ؟

قيل : السياق والواقع يأبى ذلك فإن الظهار كان عندهم طلاقاً وإنما محله الأزواج لا الإماء فنقله الله سبحانه من الطلاق إلى التحريم الذي تزيله الكفارة ونقل حكمه وأبقى محله وأما الإيلاء فصريح في أن محله الزوجات لقوله تعالى : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة : ٢٢٦ — ٢٢٧) .

— وحرّم سبحانه حلائل الأبناء وهن موطآت الأبناء بنكاح أو ملك يمين فإنها حليلة بمعنى محللة ويدخل في ذلك ابن صلبه وابن ابنه وابن ابنته ويخرج بذلك ابن التبنّي وهذا التقييد قصد به إخراجهم . وأما حليلة ابنه من الرضاع فإن الأئمة الأربعة ومن قال بقولهم يدخلونها في قوله : (وَحَلَالٌ لِّأَبْنَائِكُمُ) (النساء : ٢٣) ولا يخرجونها بقوله : (الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) (النساء : ٢٣) ويحتجون بقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : "حرموا من الرضاع ما تحرمون من النسب" قالوا : وهذه الحليلة تحرم إذا كانت لابن النسب فتحرم إذا كانت لابن الرضاع ، قالوا : والتقييد لإخراج ابن التبنّي لا غير وحرّموا من الرضاع بالصهر نظير ما يحرم بالنسب ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا لا تحرم حليلة ابنه من الرضاغة لأنه ليس من صلبه والتقييد كما يخرج حليلة ابن التبنّي يخرج حليلة ابن الرضاع سواء ولا فرق بينهما .

قالوا : وأما قوله — صلى الله عليه وسلم — : "يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ" (١) فهو من أكبر أدلتنا وعمدتنا في المسألة فإن تحريم حلائل الآباء والأبناء إنما هو بالصهر لا بالنسب والنبي — صلى الله عليه وسلم — قد قصر تحريم الرضاع على نظيره من النسب لا على شقيقه من الصهر فيجب الإقتصار بالتحريم على مورد النص .

قالوا : والتحريم بالرضاع فرع على تحريم النسب لا على تحريم المصاهرة فتحريم المصاهرة أصل قائم بذاته والله سبحانه لم ينص في كتابه على تحريم الرضاع إلا من جهة النسب ولم ينبه على التحريم به من جهة الصهر ألبتة لا بنص ولا إيماء ولا إشارة والنبي — صلى الله عليه وسلم — أمر أن يحرم به ما يحرم

من النسب وفي ذلك إرشاد وإشارة إلى أنه لا يحرم به ما يحرم بالصهر ولولا أنه أراد الإقتصار على ذلك لقال حرموا من الرضاع ما يحرم من النسب والصهر .

قالوا : وأيضاً فالرضاع مشبه بالنسب ولهذا أخذ منه بعض أحكامه وهو الحرمة والمحرمية فقط دون التوارث والإنفاق وسائر أحكام النسب فهو نسب ضعيف فأخذ بحسب ضعفه بعض أحكام النسب ولم يقو على سائر أحكام النسب وهو ألصق به من المصاهرة فكيف يقوى على أخذ أحكام المصاهرة مع قصوره عن أحكام مشبهه وشقيقه

وأما المصاهرة والرضاع فإنه لا نسب بينهما ولا شبهة نسب ولا بعضية ولا اتصال قالوا : ولو كان تحريم الصهرية ثابتاً لبينة الله ورسوله بياناً شافياً يقيم الحجة ويقطع العذر فمن الله البيان وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم والإنقياد فهذا منتهى النظر في هذه المسألة فمن ظفر فيها بحجة فليرشد إليها وليدل عليها فإنها لها منقادون وبها معتصمون والله الموفق للصواب .

فصل

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٨٧/١)

وحرّم سبحانه وتعالى نكاح من نكحهن الآباء وهذا يتناول منكوحاتهم بملك اليمين أو عقد نكاح ويتناول آباء الآباء وآباء الأمهات وإن علون والاستثناء بقوله : "إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ" من مضمون جملة النهى وهو التحريم المستلزم للتأثيم والعقوبة فاستثنى منه ما سلف قبل إقامة الحجة بالرسول والكتاب .

فصل

وحرّم سبحانه الجمع بين الأختين وهذا يتناول الجمع بينهما في عقد النكاح وملك اليمين كسائر محرمات الآية وهذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم وهو الصواب وتوقفت طائفة في تحريمه بملك اليمين لمعارضة هذا العموم بعموم قوله سبحانه : (وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) (المؤمنون : ٥ - ٦) ولهذا قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أحلتها آية وحرمتها آية .

وقال الإمام أحمد في رواية عنه : لا أقول هو حرام ولكن ننهى عنه ، فمن أصحابه من جعل القول بإباحته رواية عنه والصحيح أنه لم يبحه ولكن تأدب مع الصحابة أن يطلق لفظ الحرام على أمر توقف فيه عثمان بل قال ننهى عنه .

والذين جزموا بتحريمه رجحوا آية التحريم من وجوه :

— أحدها : أن سائر ما ذكر فيها من المحرمات عام في النكاح وملك اليمين فما بال هذا وحده حتى يخرج منها ، فإن كانت آية الإباحة مقتضية حل الجمع بالملك فلتكن مقتضية حل أم موطوءته بالملك ولموطوءة أبيه وابنه بالملك إذ لا فرق بينهما ألبتة ولا يعلم بهذا قائل .

— الثاني : أن آية الإباحة بملك اليمين مخصوصة قطعاً بصور عديدة لا يختلف فيها اثنان كأمه وابنته وأخته وعمته وخالته من الرضاعة بل كأخته وعمته وخالته من النسب عند من لا يرى عتقهن بالملك كمالك والشافعي ولم يكن عموم قوله : (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (النساء : ٣) معارضاً لعموم تحرجهن بالعقد والملك فهذا حكم الأختين سواء .

(١/٨٨)

— الثالث : أن حل الملك ليس فيه أكثر من بيان جهة الحل وسببه ولا تعرض فيه لشروط الحل ولا لموانعه وآية التحريم فيها بيان موانع الحل من النسب والرضاع والصهر وغيره فلا تعارض بينهما ألبتة وإلا كان كل موضع ذكر فيه شرط الحل وموانعه معارضاً لمقتضى الحل وهذا باطل قطعاً بل هو بيان لما سكت عنه دليل الحل من الشروط والموانع .

— الرابع : أنه لو جاز الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء جاز الجمع بين الأم وابنتها المملوكتين فإن نص التحريم شامل للصورتين شمولاً واحداً وإن إباحة المملوكات إن عمت الأختين عمت الأم وابنتها .

— الخامس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يجمع مائه في رحم أختين" (١) ولا ريب أن جمع الماء كما يكون بعقد النكاح يكون بملك اليمين والإيمان يمنع منه .

فصل

وقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وهذا التحريم مأخوذ من تحريم الجمع بين الأختين لكن بطريق خفي وما حرمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما حرمه الله ولكن هو مستنبط من دلالة الكتاب .

وكان الصحابة - رضی الله عنهم - أحرص شيء على استنباط أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من القرآن ومن ألزم نفسه ذلك وقرع بابه ووجه قلبه إليه واعتنى به بفطرة سليمة وقلب ذكي رأى السنة كلها تفصيلاً للقرآن وتبييناً لدلالته وبياناً لمراد الله منه وهذا أعلى مراتب العلم فمن ظفر به فليحمد الله ومن فاتته فلا يلومن إلا نفسه وهمته وعجزه .

واستفيد من تحريم الجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وبين خالتها أن كل امرأتين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكراً حرم على الآخر فإنه يحرم الجمع بينهما ولا يستثنى من هذا صورة واحدة فإن لم

يكن بينهما قرابة لم يحرم الجمع بينهما وهل يكره على قولين وهذا كالجمع بين امرأة رجل وابنته من غيرها .

(١) لا أصل له .

(١٩/١)

واستفيد من عموم تحريمه سبحانه المحرمات المذكورة أن كل امرأة حرم نكاحها حرم وطؤها بملك اليمين إلا إماء أهل الكتاب فإن نكاحهن حرام عند الأكثرين ووطؤها بملك اليمين جائز وسوى أبو حنيفة بينهما فأباح نكاحهن كما يباح وطؤها بالملك .

والجمهور احتجوا عليه بأن الله سبحانه وتعالى إنما أباح نكاح الإماء بوصف الإيمان فقال تعالى : (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) (النساء : ٢٥) ، وقال تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ) (البقرة : ٢٢١) خص ذلك بجرائر أهل الكتاب بقى الإماء على قضية التحريم وقد فهم عمر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة إدخال الكتابيات في هذه الآية فقال : لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول إن المسيح إلهها .

وأيضاً فالأصل في الأبضاع الحرمة وإنما أبيع نكاح الإماء المؤمنات فمن عداهن على أصل التحريم وليس تحريمهن مستفاداً من المفهوم .

واستفيد من سياق الآية ومدلولها أن كل امرأة حرمت حرمت ابنتها إلا العمة والخالة وحليلة الإبن وحليلة الأب وأم الزوجة وأن كل الأقارب حرام إلا الأربعة المذكورات في سورة الأحزاب وهن بنات الأعمام والعلمات وبنات الأخوال والخالات .

فصل

ومما حرمه النص نكاح المزوجات وهن المحصنات واستثنى من ذلك ملك اليمين فأشكل هذا الاستثناء على كثير من الناس فإن الأمة المزوجة يحرم وطؤها على مالكة فإين محل الاستثناء .

(٩٠/١)

فقال طائفة هو منقطع أى لكن ما ملكت أيمانكم ورد هذا لفظاً ومعنى أما اللفظ فإن الانقطاع إنما يقع حيث يقع التفريغ وبابه غير الإيجاب من النفي والنهي والاستفهام فليس الموضع موضع انقطاع ، وأما

المعنى فإن المنقطع لا بد فيه من رابط بينه وبين المستثنى منه بحيث يخرج ما توهم دخوله فيه بوجه ما ، فإنك إذا قلت ما بالدار من أحد دل على انتفاء من بما بدواهم وأمتعتهم فإذا قلت إلا حمراً أو إلا الأثافي ونحو ذلك أزلت توهم دخول المستثنى في حكم المستثنى منه وأبين من هذا قوله تعالى : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا) (مريم : ٦٢) .

فاستثناء السلام أزال توهم نفى السماع العام فإن عدم سماع اللغو يجوز أن يكون لعدم سماع كلام ما وأن يكون مع سماع غيره وليس في تحريم نكاح المزدوجة ما يوهم تحريم وطء الإماء بملك اليمين حتى يخرجها .

وقالت طائفة : بل الاستثناء على بابيه ومتى ملك الرجل الأمة المزدوجة كان ملكه طلاقاً لها وحل له وطؤها وهي مسألة بيع الأمة هل يكون طلاقاً لها أم لا ؟ فيه مذهبان للصحابه فابن عباس - رضي الله عنه - يراه طلاقاً ويحتج له بالآية وغيره يأبى ذلك ويقول كما يجامع الملك السابق للنكاح اللاحق اتفاقاً ولا يتنافيان كذلك الملك اللاحق لا ينافي النكاح السابق قالوا وقد خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بريرة لما بيعت ، ولو انفسخ نكاحها لم يخرها ، قالوا : وهذا حجة على ابن عباس - رضي الله عنه - فإنه هو راوى الحديث والأخذ برواية الصحابي لا برأيه .

وقالت طائفة ثالثة : إن كان المشترة امرأة لم ينفسخ النكاح لأنها لم تملك الاستمتاع ببضع الزوجة وإن كان رجلاً انفسخ لأنه يملك الاستمتاع به وملك اليمين أقوى من ملك النكاح وهذا الملك يبطل النكاح دون العكس قالوا وعلى هذا فلا إشكال في حديث بريرة .

(٩١/١)

وأجاب الأولون عن هذا بأن المرأة وإن لم تملك الاستمتاع ببضع أمتها فهي تملك المعاوضة عليه وتزويجها وأخذ مهرها وذلك كملك الرجل وإن لم تستمتع بالبضع .

وقالت فرقة أخرى الآية خاصة بالمسيبات فإن المسبية إذا سببت حل وطؤها لسابيتها بعد الإستبراء وإن كانت مزدوجة وهذا قول الشافعي وأحد الوجهين لأصحاب أحمد وهو الصحيح ، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حُتِنَ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا فَكَانَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَحَرَّجُوا مِنْ غَشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَرْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أَيُ فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ " .

فتضمن هذا الحكم إباحة وطء المسبية وإن كان لها زوج من الكفار وهذا يدل على إنفساخ نكاحه

وزوال عصمة بضع امرأته وهذا هو الصواب لأنه قد استولى على محل حقه وعلى رقية زوجته وصار سائبها أحق بها منه فكيف يحرم بضعها عليه فهذا القول لا يعارضه نص ولا قياس .

(٩٢/١)

والذين قالوا من أصحاب أحمد وغيرهم : إن وطأها إنما يباح إذا سبيت وحدها قالوا لأن الزوج يكون بقاؤه مجهولاً ومجهول كالمعدوم فيجوز وطؤها بعد الإستبراء فإذا كان الزوج معها لم يجز وطؤها مع بقائه فأورد عليهم ما لو سبيت وحدها وتيقناً بقاء زوجها في دار الحرب فإنهم يجوزون وطأها فأجابوا بما لا يجدى شيئاً وقالوا : الأصل إلحاق الفرد بالأعم الأغلب فيقال لهم الأعم الأغلب بقاء أزواج المسيبات إذا سبين منفردات وموتم كلهم نادر جداً ثم يقال إذا صارت رقية زوجها وأملاكه ملكاً للسبي وزالت العصمة عن سائر أملاكه وعن رقبته فما الموجب لثبوت العصمة في فرج امرأته خاصة وقد صارت هي وهو وأملاكهما للسبي .

ودل هذا القضاء النبوي على جواز وطء الإمامة الوثنيات بملك اليمين فإن سبانيا أو طاس لم يكن كتابيات ولم يشترط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وطئهن إسلامهن ولم يجعل المانع منه إلا الإستبراء فقط وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع مع أنهم حديثو عهد بالإسلام حتى خفي عليهم حكم هذه المسألة وحصول الإسلام من جميع السبانيا وكانوا عدة آلاف بحيث لم يتخلف منهم عن الإسلام جارية واحدة مما يعلم أنه في غاية البعد فإنهم لم يكرهن على الإسلام ولم يكن لهن من البصيرة والرغبة والحب في الإسلام ما يقتضى مبادرتن إليه جميعاً فمقتضى السنة وعمل الصحابة في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعده جواز وطء المملوكات على أى دين كن وهذا مذهب طاووس وغيره وقواه صاحب المغنى فيه ورجح أدلته وبالله التوفيق" (١) .

— فماذا عن حكم النبی - صلى الله عليه وسلم - في نكاح التفويض ؟

(١) زاد المعاد (٩٥ \ ٩٥) بتصرف .

(٩٣/١)

— الجواب : ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - : أنه قضى : "في رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات أن لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ولها الميراث وعليها العدة أربعة أشهر وعشراً" (١) .

وفي سنن أبي داود عنه : " قَالَ لِرَجُلٍ أَتْرَضَى أَنْ أُزَوِّجَكَ فُلَانَةً قَالَ نَعَمْ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ أَتَرْضَيْنَ أَنْ أُزَوِّجَكَ فُلَانًا قَالَتْ نَعَمْ فَزَوَّجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ فَدَخَلَ بِهَا الرَّجُلُ وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يُعْطِهَا شَيْئًا وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَكَانَ مَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ لَهُ سَهْمٌ بِخَيْرٍ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - زَوَّجَنِي فُلَانَةً وَلَمْ أَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ أُعْطِهَا شَيْئًا وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أُعْطِيتُهَا مِنْ صَدَاقِهَا سَهْمِي بِخَيْرٍ" (٢).

وقد تضمنت هذه الأحكام جواز النكاح من غير تسمية صداق وجواز الدخول قبل التسمية واستقرار مهر المثل بالموت وإن لم يدخل بها ووجوب عدة الوفاة بالموت وإن لم يدخل بها الزوج وبهذا أخذ ابن مسعود وفقهاء العراق وعلماء الحديث منهم أحمد والشافعي في أحد قوله .
وقال علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت - رضى الله عنهما - لا صداق لها وبه أخذ أهل المدينة ومالك والشافعي في قوله الآخر .

وتضمنت جواز تولى الرجل طرفى العقد كوكيل من الطرفين أو ولى فيهما أو ولى وكله الزوج أو زوج وكله الولي ويكفى أن يقول زوجت فلاناً فلانة مقتصرأ على ذلك أو تزوجت فلانة إذا كان هو الزوج وهذا ظاهر مذهب أحمد وعنه رواية ثانية : لا يجوز ذلك إلا للولي المجبر كما زوج أمته أو ابنته المجبرة بعبد المجبر ووجه هذه الرواية أنه لا يعتبر رضى واحد من الطرفين .

(١) أخرجه الترمذى (٤٥٠\٣) وأبو داود (٢٣٧\٣) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨\٢) .

(٩٤/١)

وفي مذهبه قول ثالث : "أنه يجوز ذلك إلا للزوج خاصة فإنه لا يصح منه تولى الطرفين لتضاد أحكام الطرفين فيه" (١) .

— فماذا عن حكمه - صلى الله عليه وسلم - في نكاح الشغار والحلل والمتعة ونكاح المحرم ونكاح الزانية ؟

— الجواب : أما الشغار فأصله في اللغة هو : الرفع ، كأن الرجل يقول : لا ترفع رجل ابنتي حتى أرفع رجل ابنتك ، ويقال : شغرت المرأة إذا رفعت رجلها عند الجماع ، وقد صح النهى عنه من حديث ابن عمر وأبي هريرة ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعاً : "لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ" (٢) ، وفي حديث ابن عمر : (٣) ، وفي حديث أبي هريرة : وَالشَّغَارُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ زَوَّجْنِي ابْنَتَكَ وَأَزَوِّجْكَ ابْنَتِي أَوْ زَوَّجْنِي أُخْتَكَ وَأَزَوِّجْكَ أُخْتِي (٤) .

وقد اختلف في علة النهي فقليل : لأن كل واحد من العقدين شرطاً في الآخر ، وقيل : لأن هذا تشيك في البضع ، وقيل : لأنه أصبح كل واحدة بضع الأخرى فلا انتفاع للمرأة بمهرها .

(١) زاد المعاد (٩٥\٥) بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٩٥/١)

— وأما نكاح الخلل (١) : وهو أن تُطلق المرأة ثلاثاً فتحرّم بذلك على زوجها لقوله تعالى : (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) (البقرة : ٢٣٠) فيؤتى برجل آخر فيتزوج تلك المرأة ليحلها لزوجها الأول لتعود إليه ، وقد ثبت في النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هذا النكاح ، ففي المسند والترمذي من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الْمُحْلِلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ" (٢) ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وفي المسند من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً : "لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ" (٣) . وحكم هذا النكاح الفسخ ، ولا تحل به المرأة لزوجها الأول ، ويثبت لها المهر إن وطئها ، ثم يفرق بينهما .

— وأما نكاح المتعة : وهو أن يتزوج الرجل المرأة إلى أجل مسمى ، يوماً أو يومين ، شهراً أو شهرين ، مقابل بعض المال ونحوه ، فإذا انقضى الأجل تفرقا من غير طلاق ولا ميراث ، والله أعلم . وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عنه عام الفتح ، فروى البخاري ومسلم عن علي - رضي الله عنه - : "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر" .

— وحكم هذا النكاح الفسخ ، ويثبت فيه المهر للزوجة إن دخل بها .

(١) الخلل : هو رجل يتزوج امرأة قد طلقها زوجها ثلاثاً ليحلها له .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٩٣٤) والدارمي (٢٢٥٨) .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٢٧\٢) .

(٩٦/١)

— وأما نكاح المُحَرَّم : وهو نكاح المحرم بحجة أو عمرة ، فثبت عنه في صحيح مسلم من رواية عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لَا يَنْكَحُ الْمُحَرَّمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ" (١) ، أى لا يُعقد له عقد نكاح ، ولا يُعقد لغيره ، فإن وقع فُسخ ، وجدد عقداً جديداً بعد انقضاء الحج أو العمرة .

— وأما نكاح الزانية : فقد صرح الله سبحانه وتعالى بتحريمه في سورة النور وأخبر أن من نكحها فهو إما زانٍ أو مشركٍ ، وأيضاً فإنه سبحانه قال : (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ) (النور: ٢٦) والخبيثات الزواني وهذا يقتضى أن من تزوج بهن فهو خبيث مثلهن .

وهو من أفبح القبائح أن يتزوج الرجل بزانية ، وفيه ظلم لولده من بعده الذى سيعير بأمه ، وهو من سوء اختيار الأب وعدم الإحسان إلى ولده ، والرجل : لا يأمن فيه أيضاً على فراشه إن هو تزوج بزانية .

— فهل هناك أنكحة فاسدة أخرى ؟

— الجواب : نعم : كنكاح المعتدة : وهو أن يتزوج الرجل المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة ، لقوله تعالى : (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ) (البقرة : ٢٣٥) .

— ونكاح المجوسية أو البوذية أو الشيوعية الكافرة عامة ، لقوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ) (البقرة : ٢٢١) .

— ومن أحكام الخلع :

(١) أخرجه مسلم وغيره .

(٩٧/١)

— وماذا عن حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الخلع ؟ وهو من القضايا التى ظهرت على الساحة المصرية فى الأيام الأخيرة ولا يزال الحديث عنها هو حديث الساعة ، مع عمل المحاكم بقانون الخلع وهو "إبراء المرأة زوجها" طلباً للطلاق ، إلا انه لما سُمى البعض هذا العمل بـ "الخلع" جاء الاسم جديداً على الأذان وكأنه غير معمول به من قبل ! نعم قد زادوا عليه شيئاً يسيراً وهو طلب المرأة الخلع ، إلا أن السنة أوضحت لنا هذه القضية وبينتها خير بيان ، فهل لنا بالقاء الضوء على بعض جوانب مسألة "الخلع" ومشروعيته وما يتعلق به ؟

— الجواب : إن الخلع معمول به فى القوانين المصرية منذ زمن بعيد ، ولكن عامة الناس تعرفه بـ

"الإبراء" وهو إبراء المرأة زوجها ، أو تنازل المرأة عن حقها في النفقة أو "المؤخر" أو الأثاث وما شابه ، إلا أنه لما ظهر وصف "الخلع" بدا جديداً على الآذان وكأنه لم يكن معمولاً به من قبل ، وقد أضاف القانون بعض الزيادات على القانون السابق ، كطلب المرأة الخلع ، وضرب مدة في محاولة للإصلاح (٦ أشهر) .

والخلع : هو اختلاع المرأة من زوجها ببدل أو عوض تدفعه المرأة لزوجها ، وهو مأخوذ من خلع الثوب وإزالته ، لأن المرأة لباس الرجل ، والرجل لباس المرأة كما قال تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) (البقرة : ١٨٧) ويُسمى الفداء لأن المرأة تفتدى نفسها بما تبذله لزوجها ، وقد عرفه الفقهاء بأنه : فراق الرجل زوجته ببذل يحصل له .

(٩٨/١)

وقد أخذ الخلع مشروعيته من قوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) (البقرة : ٢٢٩) ، وجاءت "افتدت" نكرة لتدل على الزيادة أو النقصان أو المثل ، وهو المالكية والشافعية : لا فرق أن يخالع على الصداق أو بعضه أو على مال آخر سواء كان أقل أو أكثر ، ولا فرق بين العين والدين والمنفعة ما دام قد تراضيا على ذلك (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فالعوض جزء أساسي في مفهوم الخلع ، وفي الآية دليل على جوازه مطلقاً بإذن السلطان وغيره ، ومنعه طائفة بدون إذنه والأئمة الأربعة والجمهور على خلافه .

وفي الآية دليل على حصول البينة به لأنه سبحانه سماه فدية ولو كان رجعيّاً كما قاله بعض الناس لم يحصل للمرأة الإفتداء من الزوج بما بذلته له ودل قوله سبحانه : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) على جوازه بما قل وكثر وأن له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه ، ومنع الخلع طائفة شاذة من الناس خالفت النص والإجماع .

وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه - : "أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتَبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْبِلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقِيهَا تَطْلِيقاً" (١) .

(١) أخرجه البخاري (٦١\٧) .

(٩٩/١)

وفي سنن النسائي عن الربيع بنت معوذ : " أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ شَمَّاسٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَكَسَرَ يَدَهَا (١) وَهِيَ جَمِيلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَاتِيٍّ أَخُوهَا يَشْتَكِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ خُذِ الَّذِي لَهَا عَلَيْكَ وَخَلِّ سَبِيلَهَا قَالَ نَعَمْ فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا " (٢) .

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس : " أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِدَّتَهَا حَيْضَةً (٣) .

وقد اختلفت الروايات عن الصحابة والتابعين في تجويز أخذ الزيادة أو تحريمها ، ومنهم من كرهها .
والذين قالوا بالجواز احتجوا بظاهر القرآن : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) والآثار :
فقد ذكر عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل أن الربيع بنت معوذ بن عفراء حدثته أنها اختلعت من زوجها بكل شيء تملكه فخصم في ذلك إلى عثمان بن عفان فأجازه وأمره أن يأخذ عقاص رأسها فما دونه (٤) .

وذكر أيضاً عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع أن ابن عمر جاءته مولاة لامرأته اختلعت من كل شيء لها وكل ثوب لها حتى نفسها (٥) .

(١) وقد احتج بعضهم بهذا الحديث على جواز ضرب النساء الضرب المبرح .

(٢) أخرجه النسائي (١٦٨\٦) .

(٣) حسن : أخرجه أبو داود (٢٢٢٩) والترمذي (١١٨٥) والدارقطني (٣٥٩١\٣) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥٠) والبيهقي (٣١٥\٧) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥٣) .

(١٠٠/١)

ورفعت إلى عمر بن الخطاب امرأة نشزت عن زوجها فقال اخلعها ولو من قرطها ذكره حماد بن سلمة عن أيوب عن كثير بن أبي كثير عنه (١) .

والذين قالوا بتحريمها احتجوا بحديث أبي الزبير أن ثابت بن قيس بن شماس لما أراد خلع امرأته قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "أتردين عليه حديثه ، قالت : نعم وزيادة فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أما الزيادة فلا" (٢) ، قال الدارقطني سمعه أبو الزبير من غير واحد وإسناده صحيح .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن ليث عن الحكم بن عتيبة عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لا يأخذ منها فوق ما أعطاها (٣) .

وقال طاووس : لا يحل أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه (٤).
 وقال عطاء : إن أخذ زيادة على صداقها فالزيادة مردودة إليها (٥) .
 وقال الزهري : لا يحل له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه .
 وقال ميمون بن مهران : إن أخذ منها أكثر مما أعطاه لم يسرح بإحسان .
 وقال الأوزاعي : كانت القضاة لا تجيز أن يأخذ منها شيئاً إلا ما ساق إليها .
 ومنهم من قال بكرهتها كما روى وكيع عن أبي حنيفة عن عمار بن عمران الهمداني عن أبيه عن علي
 - رضي الله عنه - : "أنه كره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه" (٦) والإمام أحمد أخذ بهذا القول ونص
 على الكراهة ، وأبو بكر من أصحابه حرم الزيادة وقال : ترد عليها .

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٥١) والبيهقي (٣١٥٧) .

(٢) تقدم .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٤٤) وسعيد بن منصور (٣٧٨١) وإسناده ضعيف .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٣٩) .

(٥) السابق (١١٨٤٠) .

(٦) تقدم من وجه آخر .

(١٠١/١)

وقد ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قال : لى عطاء أتت امرأة رسول الله - صلى الله عليه وسلم
 - فقالت : يا رسول الله إني أبغض زوجي وأحب فراقه قال فتردين عليه حديقته التي أصدقك قالت نعم
 وزيادة من مالى فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما الزيادة من مالك فلا ولكن الحديقة قالت
 نعم فقضى بذلك على الزوج (١) وهذا وإن كان مرسلاً فحديث أبي الزبير مقبول له وقد رواه ابن
 جريج عنهما .

— "وفي تسميته سبحانه الخلع فدية دليل على أن فيه معنى المعاوضة ولهذا اعتبر فيه رضى الزوجين فإذا
 تقايلا الخلع ورد عليها ما أخذ منها وارتجعها في العدة فهل لهما ذلك منعه الأئمة الأربعة وغيرهم وقالوا
 قد بانت منه بنفس الخلع وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال في المختلعة
 إن شاء أن يراجعها فليرد عليها ما أخذ منها في العدة وليشهد على رجعتها قال معمر وكان الزهري
 يقول مثل ذلك قال قتادة (٢) .

وكان الحسن يقول : لا يراجعها إلا بخطبة (٣) .

ولقول سعيد بن المسيب والزهرى وجه دقيق من الفقه لطيف المأخذ تتلقاه قواعد الفقه وأصوله بالقبول ولا نكارة فيه غير أن العمل على خلافه فإن المرأة ما دامت فى العدة فهى فى حبسه ويلحقها صريح طلاقه المنجز عند طائفة من العلماء فإذا تقايلا عقد الخلع وتراجعا إلى ما كانا عليه بتراضيهما لم تمنع قواعد الشرع ذلك وهذا بخلاف ما بعد العدة فإنها قد صارت منه أجنبية محضة فهو خاطب من الخطاب ويدل على هذا أن له أن يتزوجها فى عدتها منه بخلاف غيره .

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١٨٤٢) والدارقطنى (٣٨٢٦\٣) وأبو داود فى مراسيله (١٤٩) عن عطاء مرسلاً ، قال الدارقطنى : خالفه الوليد عن ابن جريح ، أسنده عن عطاء عن ابن عباس ، والمرسل أصح .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١٧٩٧) .

(٣) السابق (١١٧٩٥) .

(١٠٢/١)

— وفى أمره — صلى الله عليه وسلم — المختلعة أن تعتد بحیضة واحدة دليل على حكمين أحدهما أنه لا يجب عليها ثلاث حیض بل تكفيها حیضة واحدة ، وهذا كما أنه صريح السنة فهو مذهب أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالله بن عمر بن الخطاب والربيع بنت معوذ وعمها وهو من كبار الصحابة لا يعرف لهم مخالف منهم ، كما رواه الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر أنه سمع الربيع بنت معوذ بن عفراء وهى تخبر عبدالله بن عمر — رضي الله عنه — أنها اختلعت من زوجها على عهد عثمان بن عفان فجاء عمها إلى عثمان بن عفان فقال له إن ابنة معوذ إختلعت من زوجها اليوم أفنتقل فقال عثمان : لنتقل ولا ميراث بينهما ولا عدة عليها إلا أنها لا تنكح حتى تحيض حیضة خشية أن يكون بها حبل ، فقال عبدالله بن عمر : فعثمان خيرنا وأعلمنا ، وذهب إلى هذا المذهب إسحاق بن راهويه والإمام أحمد فى رواية عنه اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية .

قال : من نصر هذا القول هو مقتضى قواعد الشريعة فإن العدة إنما جعلت ثلاث حیض ليطول زمن الرجعة فيتروى الزوج ويتمكن من الرجعة فى مدة العدة فإذا لم تكن عليها رجعة فالمقصود مجرد براءة رحمها من الحمل وذلك يكفى فيه حیضة كالاستبراء قالوا ولا ينتقض هذا علينا بالمطلقة ثلاثاً فإن باب الطلاق جعل حكم العدة فيه واحداً بآئنة ورجعية .

قالوا : وهذا دليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق وهو مذهب ابن عباس وعثمان وابن عمر والربيع وعمها ولا يصح عن صحابي أنه طلاق البتة ، فروى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد عن سفيان عن عمرو

عن طاووس عن ابن عباس — رضى الله عنهم — أنه قال الخلع تفريق وليس بطلاق (١) .

(١) حسن : أخرجه الدارقطني (٣٨٢٤\٣) والبيهقي (٣١٧\٧) .

(١٠٣/١)

وذكر عبدالرزاق عن سفيان عن عمرو عن طاووس : أن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص سأله عن رجل طلق امرأته تطليقتين ثم اختلعت منه أينكحها ؟ قال ابن عباس : نعم ، ذكر الله الطلاق في أول الآية وآخرها والخلع بين ذلك (١) .

فإن قيل : كيف تقولون إنه لا يخالف لمن ذكرتم من الصحابة وقد روى حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن جهمان أن أم بكرة الأسلمية كانت تحت عبد الله بن أسيد واختلعت منه فندما ، فارتفعا إلى عثمان بن عفان فأجاز ذلك وقال : هي واحدة إلا أن تكون سميت شيئا فهو على ما سميت (٢) .

وذكر ابن أبي شيبه : حدثنا علي بن هاشم ، عن ابن أبي ليلى ، عن طلحة بن مصرف ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة عن ابن مسعود قال : لا تكون تطليقة بائة إلا في فدية أو إيلاء (٣) ، وروى عن علي بن أبي طالب ، فهؤلاء ثلاثة من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم .
قيل : لا يصح هذا عن واحد منهم ، أما أثر عثمان - رضى الله عنه - فطعن فيه الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما ، قال شيخنا : وكيف يصح عن عثمان وهو لا يرى فيه عدة وإنما يرى الاستبراء فيه بحیضة ، فلو كان عنده طلاقا لأوجب فيه العدة ، وجهمان الراوى لهذه القصة عن عثمان لا نعرفه بأكثر من أنه مولى الأسلميين .

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤٨٧\٦) وسعيد بن منصور (٣٨٤\١) .

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه الدارقطني (٣٨٢٧\٣) والبيهقي (٣١٦\٧) فيه جهمان أبو العلاء : مقبول .

(٣) إسناده ضعيف : أخرجه ابن أبي شيبه وعبد الرزاق (٤٨١\٦) وفيه ابن أبي ليلى : ضعيف .

(١٠٤/١)

وأما أثر علي بن أبي طالب فقال أبو محمد بن حزم : رويناه من طريق لا يصح عن علي - رضي الله عنه - ، وأمثلها أثر ابن مسعود على سوء حفظ ابن أبي ليلى ، ثم غايته إن كان محفوظاً أن يدل على أن الطلقة في الخلع تقع بآنية لا أن الخلع يكون طلاقاً بآناً ، وبين الأمرين فرق ظاهر ، والذي يدل على أنه ليس بطلاق أن الله سبحانه وتعالى رتب على الطلاق بعد الدخول الذي لم يستوف عدده ثلاثة أحكام كلها منتفية عن الخلع :

— أحدها : أن الزوج أحق بالرجعية فيه .

— الثاني : أنه محسوب من الثلاث فلا تحل بعد استيفاء العدد إلا بعد زوج وإصابة .

— الثالث : أن العدة فيه ثلاثة قروء وقد ثبت بالنص والإجماع أنه لا رجعة في الخلع ، وثبت بالسنة وأقوال الصحابة أن العدة فيه حيضة واحدة ، وثبت بالنص جوازه بعد طلقتين ووقوع ثلاثة بعده وهذا ظاهر جداً في كونه ليس بطلاق فإنه سبحانه قال : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) (البقرة : ٢٢٩) وهذا وإن لم يختص بالمطلقة تطليقتين فإنه يتناولها وغيرهما ولا يجوز أن يعود الضمير إلى من لم يذكر ويخلى منه المذكور بل إما أن يختص بالسابق أو يتناوله وغيره ثم قال : (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) وهذا يتناول من طلقت بعد فدية وطلقتين قطعاً لأنها هي المذكورة فلا بد من دخولها تحت اللفظ ، وهكذا فهم ترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعلمه الله تأويل القرآن وهي دعوة مستجابة بلا شك .

(١٠٥/١)

وإذا كانت أحكام الفدية غير أحكام الطلاق دل على أنها من غير جنسه فهذا مقتضى النص والقياس وأقوال الصحابة ثم من نظر إلى حقائق العقود ومقاصدها دون ألفاظها يعد الخلع فسخاً بأى لفظ كان حتى بلفظ الطلاق وهذا أحد الوجهين لأصحاب أحمد وهو اختيار شيخنا ، قال : وهذا ظاهر كلام أحمد وكلام ابن عباس وأصحابه ، قال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول : ما أجازته المال فليس بطلاق (١) ، قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي كان يذهب إلى قول ابن عباس ، وقال عمرو عن طاووس عن ابن عباس : "الخلع تفريق وليس بطلاق" (٢) ، وقال ابن جريج عن ابن طاووس كان أبي لا يرى الفداء طلاقاً وبخيره (٣) .

ومن اعتبر الألفاظ ووقف معها واعتبرها في أحكام العقود جعله بلفظ الطلاق طلاقاً وقواعد الفقه وأصوله تشهد أن المرعى في العقود حقائقها ومعانيها لا صورها وألفاظها وبالله التوفيق .

ومما يدل على هذا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر ثابت بن قيس أن يطلق امرأته في الخلع

تطليقة ومع هذا أمرها أن تعتد بحیضة وهذا صریح فی أنه فسخ ولو وقع بلفظ الطلاق .
 وأيضاً فإنه سبحانه علق عليه أحكام الفدية بكونه فدية ومعلوم أن الفدية لا تختص بلفظ ولم يعين الله سبحانه لها لفظاً معيناً وطلاق الفداء طلاق مقيد ولا يدخل تحت أحكام الطلاق المطلق كما لا يدخل تحتها في ثبوت الرجعة والاعتداد بثلاثة قروء بالسنة الثابتة وبالله التوفيق (٤) .
 وتبقى كلمة : وهى قوله - صلى الله عليه وسلم - محذراً كل امرأة تختلع من زوجها في غير ما بأسٍ ،
 قال - صلى الله عليه وسلم - : " الْمُخْتَلَعَاتُ هُنَّ الْمُتَافِقَاتُ " (٥) .
 — فما هو زواج المسيار ؟

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤٨٦\٦) .

(٢) تقدم .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٤٨٦\٦) .

(٤) انظر زاد المعاد (٩٥\٥) بتصرف .

(٥) صحيح : أخرجه النسائي (١٠٤\٢) وأحمد (٤١٤\٢) والبيهقي (٣١٦\٧) .

(١٠٦/١)

— زواج المسيار يتم بنفس أركان الزواج ، غير أن الزوجة تتنازل عن بعض حقوقها ، كالإنفاق ، أو عدم إقامة الزوج معها بصفة دائمة ، وفي صحته نظر .
 — فماذا عن زواج الهبة : يعنى قول الفتاة للشاب : " وهبتك نفسى ، أو وهبت لك نفسى " ويقولون إن الزواج : إيجاب وقبول ، وأنه لم يكن على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا الصحابة "ورقة" قسيمة زواج (١) ، إنما كان الإيجاب والقبول ، فهل هذا الزواج — زواج الهبة — صحيحاً أم لا ؟
 — الجواب : هذا نكاح باطل ، فقد أجمع العلماء على إن هبة المرأة نفسها غير جائز (٢) ، وإن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح ، فهو صورة من صور الزنا ، وقد تقدم الحديث بشأن أركان الزواج ، وهما الإيجاب والقبول ، وشروطه وهى : الصداق ، الإعلان ، الشهود ، والولى .
 — ومن أحكام الزواج العرفى :

— فماذا عن الزواج السرى أو الزواج العرفى كما يطلقون عليه ؟

— الجواب : لا بد أن نفرق بين الزواج السرى الذى استوفى الشروط والأركان التى وضعها الإسلام والشرع الحنيف لتكون معاشرة الرجل للمرأة معاشرة صحيحة ، نكاحاً وليست سفاحاً ، وبين الزنا الذى يريد أن يلبسه البعض عباءة الإسلام ويسمونه بغير اسمه ويصفونه بغير وصفه ورسمه ، فيطلقون

عليه "الزواج العرفي" ، والزواج والعرف منه براء .

(١) نعم ، ولكن أصبحت القسيمة اليوم هامة جداً لحفظ الانساب والميراث وغير هذا من أحكام الزواج وتوابعه .

(٢) انظر : تفسير القرطبي (٢١١\١٤) .

(١٠٧/١)

فالزواج السرى الذى اجتمعت فيه الشروط والأركان ولكنه لم يُعلن لظروفٍ ما ، فهو زواج صحيح ، وإن لم يُقيد ، فالزواج السرى أو أى زواج إذا توافرت فيه أركان وشروط الزواج ، من الإيجاب والقبول ، والمهر والإعلان والشهود والولى فهو زواج صحيح ، سواء قُيد فى عقد أم لا ، فهو من الناحية الشرعية صحيح إذا استوفى شروط وأركان الزواج وكان للأبدية وليس لوقت محدد مع ما يستتبع الزواج الشرعى من أحكام وتبعات .

يلجأ إليه البعض — بعدم الإعلان — لظروفٍ ما ، إلا أنه صحيح فى ذاته ، على خلاف بين أهل العلم فى وجوب الإعلان أو كونه مندوباً .

— سؤال : لقد انتشر فى بلادنا — مصر — خاصة فى الجامعة مسألة الزواج العرفي ، وكذا هو منتشر بين كثير من الطبقات فى مصر ، فماذا عما يسمونه بالزواج العرفي ؟

— الجواب : إن الحديث عن تلك الصورة من الزنا التى فشلت وطفحت بها كثير من الجامعات والتى يسمونها بـ "الزواج العرفي" له موضع آخر نبسط فيه الكلام ، ولكن للصلة بينه وبين موضوع الكتاب نتطرق إليه على إيجاز فى محاولة لبيان حله من حرمة ، ولكن لا بد أن نبين أولاً أن الناس يقعون فى خطأ حينما يطلقون على الزنا اسم "زواج" عرفي ! .

فإنه أولاً : لا بد من تحديد الألفاظ ، فإطلاق البعض — على تلك الصورة من الزنا — الزواج "لعرفي" خطأ ، فالزواج العرفي : أى ما تعارف عليه الناس ، كما تدل عليه لفظة "عرفي" المشتقة من "العُرف" ، والناس فى بلاد الإسلام لم تتعارف على زواج "سرى" يعرفه الفتى والفتاة فقط ويجهله أهل الفتاة أو الفتى ، هذا أولاً .

أما ثانياً : فهو فقده شرطاً هاماً من شروط صحة الزواج وهو "الولى" ، وعليه فهو صورة من صور الزنا ، وهو نكاح باطل إذ لم تتوفر له شروط الزواج الشرعى كاملة .

(١٠٨/١)

— كيف ؟ وقد توفرات فيه أركان الزواج : الإيجاب والقبول ، ثم شروط صحته : المهر "الشرعى" — ربع جنيه ! (١) — والشهود — شاهدين من زملاء الجامعة ! أو الأصدقاء فى الرحلة ! (٢)

(١) لا حد لأقل المهر أو أكثره ، ولا أدنى ما قيمة "ربع جنيه" يأخذه الطفل الصغير لشراء "بسكوته أو مصاصة" ! يكون حداً أدنى للمهر ، فيكون ثمن العقد "مصاصة برع جنيه" وترضى الفتاة بهذه المهانة من أجل عيون الحبيب العاشق الولهان ، رفقاءً بنفسك أختاه ، فالاسلام حفظ لك مكاتك ورفعها ، فلا تحطى أنت من قدرك ، وهوى بنفسك وأسرتك إلى هاوية الزنا — والعياذ بالله تعالى — من أجل الحب الاول ! ولو كان هذا صواباً — الزواج العرفى — ما كان سراً ، وما خشيتى اطلاع أهلك وعلمهم به ، ولا خشية معرفة اهله به ، فإن الإثم ما حاك فى صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس ، رفقاءً بنفسك أخت المسلمة ، واحذرى شبكة الصياد اللعين — الشيطان — ومن يتخذ سبيله سبيلاً .

(٢) كما هو مُشاهد فى أفلام التلفاز ومسلسلاته ، ترى الحبيبان وقد اتفقا على الزواج ، ويأتى الرفض — أو لا يأتى — من الاسرة ، فلا يجدا سبيلاً امامهما "لتطويق" حبهما إلا بالزواج من "ورا" الأهل بالزواج العرفى ، فيعلنا زواجهما فى رحلة ! أو نزهة جماعية ! ويحتال الشاب ويختلس الوقت فى "شقة" أحد أصدقائه وقد خلت من الأب أو الأم أو أهل ، ليمارس مع "زوجته" حقه الشرعى كزوج ، حتى اذا حملت وظهرت بواذر وثمرة هذا "الزواج" هرع الشاب والفتاة إلى الطبيب ليجهض ويقتل هذه الثمرة !!! لماذا ؟ أليس هذا زواجاً اعتقده فى نفسك أنت والفتاة ، أليس من تبعات الزواج أن يتحمل الرجل ثمة "استعمال حقه الشرعى" — من استطاع منكم الباءة — تكاليف وتبعات الزواج — فليتزوج — أن تراه مجرد زواج لممارسة الحق الشرعى فقط ، لماذا اذا كنت تحبها حقاً ! لماذا لا تحافظ على حبيبك فتراعاه حق رعايتها فلا يكون هذه الارتباط "الأبدى" سراً بينكما ، تمهرها "ثمن مصاصة" ربع جنيه ، على "ربع ورقة كراسة" ! لماذا أختي المسلمة ترضين بهذه المهانة لك وقد رفع الاسلام شأنك ، وجعلك "جوهرة" لا يمسه ولا يقربها الا من يعرف قدرها وشرفها ، ومن يتحمل كلفة الحفاظ عليها فلا يضيعها ولا يبخسها حقها .

هل أنت حقاً أختي المسلم تحب فتاتك ولا تستطيع فراقها ورفض الأهل — أهلك أو أهلها — الزواج والارتباط بمن تحب ، هل يكون هذا — الزواج سراً وعرفياً — هو تعبيرك عن حبك لها ؟ ان تبخسها حقها ؟ أن تمارس حقك الشرعى كزوج فى شقة أحد اصدقائك ؟ أو فى حجرة بعيداً عن أعين أهلك وأهلها ؟ ثم اذا ظهرت بواذر الحمل أسرع بها لتجهضها ، هل تضحى بولدك منها حتى لا "ينكشف" أمر زواجكما ؟ ! هل تضحى بحياتها — فقد تموت حال الاجهاض — وتزعم حبك لها . هذا منك عجيب ! .

— هل هانت عليك نفسك أختاه لترضى بزواج سرى لا يعرفه أهلك ، هل يكون هذا هو الإحسان إلى أمك وأبيك ، هل هذه المكافأة التى تقدميها لأملك التى حملت وسهرت وعانت ما عانت ، التى تنتظر

أن تراك عروسة تشرف بها ، هل هذا الإحسان لأبيك الذى ربي وكافح وجاهد من أجلك ، هل يكون هذا رد الجميل ؟ كيف رضيت أن يكون مهرک "مصرف طفل صغير" ، كيف رضيت ألا تزنى زفاف الشريقات العفيفات ؟ كيف رضيت بسكنى ساعة مع الزنا والفاحشة ؟ كيف لك أن تصحى بولدك ثمرة هذا الزواج — الصحيح فى نظرك ، الباطل شرعاً — ولا زالتى تظنين أنه يحبك ، كيف سول لك الشيطان الأنسى صحة هذا الزواج ، رفقا بنفسك وأبيك وأمك ومجتمعك أختاه .

(١٠٩/١)

-
- والإعلان : وقد علم صديقى الجامعة ، أو زملاء الرحلة بزواج فلان من فلانة ؟
- الجواب : نعم ولكنه فقد شرطاً هاماً وهو الولى .
- فما هى الأدلة على فساد النكاح بدون الولى ؟
- الجواب : الأدلة كثيرة جداً — وليس هذا موضع بسطها — ولكنى أسوق اليك بعض كلام أهل العلم حول صحة اشتراط الولى .
- أولاً : من القرآن الكريم : قوله تعالى : (فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) (النساء : ٢٥) .
- قال الإمام القرطبي فى تفسيره (١٤١\٥) : أى بولاية أهلن وإذنهن .
- وقوله تعالى : (وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) (البقرة : ٢٢١) .
- قال الإمام القرطبي فى تفسيره (٧٢\٣) : فى هذه الآية دليل بالنص على أنه لا نكاح إلا بولى .
- وقال الطبرى (٣٧٩\٢) : هذا القول من الله تعالى ذكره دلالة على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .
- وقال ابن عطية (٢٤٨\٢) : إن الولاية فى النكاح نص فى لفظ هذه الآية .
- وقوله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة : ٢٣٢) .
- وسبب نزول هذه الآية كما يقول معقل بن يسار : "زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا فَقُلْتُ لَهُ زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتُهَا ثُمَّ جِئْتُ تَخْطُبُهَا لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) فَقُلْتُ الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَرَوَّجَهَا إِلَيْهَ" (١) .

(١) أخرجه البخارى (١٨٣\٩) والترمذى (٢٩٨١) وأبو داود (٢٠٨٧) .

— قال الإمام الترمذى بعد روايته للحديث : وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى ، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً ، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار .

ويقول الحافظ فى الفتح (١) عند شرحه للحديث : وقد ذهب الجمهور إلى أن المرأة لا تزوج نفسها أصلاً .

— ومن السنة الشريفة قوله — صلى الله عليه وسلم — : "لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ" (٢) .
وفى السنن عنه من حديث عائشة — رضى الله عنها — مرفوعاً : "أَيُّمَا امْرَأَةٍ لَمْ يُنْكَحْهَا الْوَلِيُّ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالْسلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَ لَهُ" (٣) قال الترمذى حديث حسن ، وفيها عنه : "لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا" (٤) .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : البغية هى التى تزوج نفسها .

وقال الإمام مالك — صاحب المذهب المالكى — وقد سئل عن المرأة تزوج نفسها أو تزوجها امرأة

أخرى ؟ قال : يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا ، دخل بها أو لم يدخل (٥) .

ويقول الإمام أحمد بن حنبل — صاحب المذهب الحنبلى — وقد سئل عن امرأة أرادت التزويج فجعلت أمرها إلى الرجل الذى يريد أن يتزوجها وشاهدين ؟

(١) انظر فتح البارى (١٧٨\٩) .

(٢) صحيح : تقدم تخريجه .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) وابن ماجه (١٨٧٩) والترمذى (١١٠٢) والدارقطنى

(٢٢٠\٣) بتحقيقى .

(٤) صحيح دون الشطر الأخير منه : أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢) والدارقطنى (٢٢٨\٣) . والبيهقى

(١١٠\٧) .

(٥) انظر : البيان والتحصيل لابن رشد (٣٧٩\٤) .

قال : هذا ولى وخاطب ! لا يكون هذا ، والنكاح فاسد (١) .
ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى سفره العظيم "الأم" : فإن امرأة نكحت بغير إذن وليها فلا نكاح لها (٢) .

— فماذا عن قول الإمام أبى حنيفة ؟

— الجواب : هذا هو ما اعتمده أصحاب القول بصحة الزواج العرفى ، حيث قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بصحة الزواج دون ولى ، وقد خالف فى هذا القول جمهور أهل العلم ، ومن قبل السنة الصحيحة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - .

— كيف ؟ وهو الإمام الأعظم وأحد الأئمة الأربعة ؟

— الجواب : لا عجب ، فما من أحد قال أن الإمام الأعظم أو غيره من الأئمة أو الناس عامة قد جمع أصول العلم وفروعه ، وما غابت عنه سنة أو حديث من أحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - ، بل قال بعضهم وقد سئل : أين العلم كله ؟ قال : فى العالم كله ، فما من أحد إلا وقد غابت عنه بعض السنة ، بل ما من أحد من الأئمة الأربعة إلا وقد صح عنه الأخذ بالحديث وإن خالف مذهبه .
فهذا الإمام مالك يقول : ليس لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ويؤخذ من قوله ويُرد ، إلا النبى - صلى الله عليه وسلم - .

ويقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأى ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل يقول : رأى الأوزاعى ، ورأى مالك ، ورأى أبى حنيفة ، كله رأى ، وهو عندى سواء ، وإنما الحجة فى الآثار .

ويقول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط .

بل وهذا الإمام أبو حنيفة يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

قلت : وقد صح الحديث ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : "لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ" (٣) .

— إذن فما هو الدليل الذى اعتمده الإمام فيما ذهب إليه ؟

(١) انظر : مسائل الامام أحمد رواية ابن هانئ (١٩٥\١) .

(٢) انظر : الأم (١٣\٥) .

(٣) تقدم .

— الجواب : اعتمد الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى على قوله - صلى الله عليه وسلم - : "الثَّيْبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا" (١) .

وقد رد العلماء تأويل الإمام واعتماده إياه حجة في صحة الزواج بدون ولي ، بل وهذا أبو الحسن ومحمد بن يوسف وهما حملة علم الإمام أبي حنيفة قد خالفا أستاذهما وشيخهما في مسائل عديدة عندما تبينت لهما السنة ، وظهر لهما وجه الحق فيها، وقد روى الإمام الطحاوي في "الشرح" (٢) عن محمد بن الحسن وأبي يوسف : أنه لا يجوز تزويج المرأة بغير إذن وليها .
وقال شراح الحديث كالإمام النووي في شرح مسلم : "قوله : أَحَقُّ بِنَفْسِهَا : يحتمل من حيث اللفظ أن المراد أحق من وليها في كل شيء من عقد وغيره كما قاله أبو حنيفة وأبو داود .
ويحتمل : أنه أحق بالرضا ، أى : لا تزوج حتى تنطق بالإذن ، بخلاف البكر (٣) .
وقد أفاض الإمام ابن حزم في الرد في كتابه "المحلى" (٤) .

— كما اعتمد أيضاً الإمام أبو حنيفة ما روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "خَطَبَ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي تَعْنِي شَاهِدًا فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكَ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ يَا عُمَرُ زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -".

وهذا حديث ضعيف ، أخرجه الإمام أحمد (٢٩٥\٦) والنسائي (٣٢٠٢) بسند ضعيف ، فيه ابن عمر ابن أبي سلمة : مجهول .

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥\٩) والترمذي (١١٠٨) وأبو داود (٩٨-٢) .

(٢) انظر : شرح معاني الآثار (٧\٣) .

(٣) انظر : شرح مسلم للإمام النووي (٢٠٣\٩) .

(٤) انظر "المحلى" (٤٥٧\٩) .

كما تُعَقَّبُ أيضاً بأن الله - عز وجل - قال : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب : ٦) كما أنه لم يكن أحد من أهلها حاضراً كما أخبرت هي ، ويكفي ضعف الحديث كما تقدم فلا يُحتج به .

وهذا حال الإمام رحمه الله تعالى : يعتمد حديثاً ضعيفاً (١) ثم يبنى عليه أصولاً وفروعاً ، كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أبو حنيفة يضع أول المسألة خطأ ، ثم يقيس الكتاب كله .

قال ابن أبي حاتم : لأن الأصل كان خطأ فصارت الفروع ماضية على الأصل (٢) .
— واحتج بعضهم بحديث رواه الطحاوى : أن أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — زوجت حفصة بنت عبد الرحمن بن المنذر ابن الزبير ، وعبد الرحمن غائب بالشام ، فلما قدم عبد الرحمن قال : أمثلي يُصنع به هذا ويُفتات عليه ؟ ووكلت عائشة المنذر فقال : إن ذلك بيد عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن : ما كنت أرد أمراً قضيته ، فقررت حفصة عنده ولم يكن طلاقاً (٣) .

(١) والحق أن الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى مع جلالته وفقهه وعلمه إلا أنه كان ضعيف الحديث ، ولا ينتقص هذا من قدره ويحط منه ، فكما تقدم أن العلم كله في العالم كله ، وما من أحد إلا وتغيب عنه بعض السنة ، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا واجعل القرآن العظيم حجة لنا لا علينا ، آمين .

(٢) انظر : "آداب الشافعي" ومناقبه لابن أبي حاتم (١٧١) .

(٣) أخرجه الطحاوى في "الشرح" (٨٣) .

(١١٤/١)

وهذا متعقب بأنه موقوف ، والمرفوع مقدم على الموقوف (١) ، وهو أيضاً ليس صريحاً في أنها — رضى الله عنها — أنها هي التي تولت التزويج ، فلعلها وكلت آخر ، كما روى الطحاوى أيضاً : "أنها انكحت رجلاً من بنى أخيها جارية من بنى أخيها فضربت بينهما بستر ثم تكلمت حتى إذا لم يبق إلا النكاح أمرت رجلاً فأنكح ، ثم قالت : ليس إلى النساء النكاح" (٢) ، والآثار في هذا كثيرة جداً .

(١) الحديث الموقوف : أى الموقوف على الصحابي ، أى من قوله أو فعله ، ولم يرفع إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — ، أى لم يقل فيه الصحابي : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : كذا وكذا ، والمرفوع أى قوله — صلى الله عليه وسلم — أو فعله أو إقراره .

(٢) أخرجه الطحاوى (١٠\٣) وعبد الرزاق وابن أبي شيبة (١٣٥\٤) وصححه الحافظ في الفتح (١٨٦\٩) .

(١١٥/١)

— وعليه فالزواج العرفي المفتقد لشرط الولي هو نكاح فاسد لا يصح كما تقدم كلام أهل العلم ، وقد خالفهم الإمام أبو حنيفة (١) وتقدم الرد عليه .

— فما الذى يلجئ البعض إلى الزواج العرفي دون الشرعى أو الرسمى إذا توفرت له أسباب الزواج الشرعى ؟

(١) ولا يقول قائل : نحن نأخذ برأى الإمام وهو أحد الأئمة الأربعة المتبعين سلفاً وخلفاً ، نقول له : من اتبع الرخص عند أهل العلم وتبعها فقد أخذ بالشر كله ، هذا وقد تقدم بيان ما اعتمده الإمام والرد عليه ، وبسط هذه المسئلة له موضع آخر ، إنما أردت التنبيه فقط ، ولمزيد من البيان فليُنظر لزماً : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١\٣٢) نيل الاوطار (١٤٣\٦) سبل السلام (١١٧\٣) فيض القدير (٣٧\٦) فتح البارى (١٨٧\٩) عون المعبود (٩٤\٦) شرح مسلم للإمام النووى (٢٠٥\٩) فقه السنة للشيخ سيد سابق (٨٣\٢) ورسالة "الزواج العرفي : باطل" للبطة ، المدونة الذهبية للزواج العرفي للمستشار أحمد كامل ، عقبات الزواج وطرق معالجتها : عبد الله ناصح ، المشكلات العملية في قانون الأحوال الشخصية : أشرف مصطفى كمال وكيل أول نيابة القاهرة للأحوال الشخصية ، الجزء الاول ، أصول المرافعات الشرعية : المستشار أنور العمروسى ، الزواج العرفي من النواحي القانونية والشرعية والاجتماعية : حامد الشريف الحامى ، أحكام الأسرة في الشريعة الاسلامية : الدكتور : زكريا البرى ، الأحوال الشخصية : محمد أبو زهرة .

(١١٦/١)

— الجواب : الأسباب كثيرة جداً ، فمنها وأهمها : المغالاة في المهور وتكاليف الزواج ، ومؤن الزواج كالشقة والأثاث وغير هذا ، وقد يكون خوف الزوج من معرفة الزوجة الأولى — إذ يُشترط إخبار الزوجة الأولى وإعلامها عند إقدام الزوج على الزواج مرة ثانية (قانوناً وليس شرعاً!) ، وإلا فالقانون يعطى الزوجة حق طلب الطلاق إذا تزوج زوجها بغيرها ! مما يؤدى بدوره إلى هدم البيت الأول وتشتت الأولاد ، وقد يكون خوف بعض النساء من (قطع) فقد المعاش ، إذا كانت المرأة قد تزوجت من قبل ولها معاش عن الزوج المتوفى ، أو معاش عن الأب أو الأم ، أو خوف معرفة الناس بزواج الدكتور مثلاً من الممرضة ، أو أستاذ الجامعة من طالبة ، أو المدير من السكرتيرة ، أو غير هذا من الفوارق الاجتماعية والأدبية التى يخشى عليها ، أو تهرباً من الخدمة العسكرية بقيد ولد واحد ، أو فارق العمر بين الرجل والمرأة ، أو زواج المسلم بالذمية — وخشية معرفة أهلها والغضب من ارتباطها بمن هو على غير ديانتها ، أو خوف نزع الأولاد من أحضان الأم بالحضانة إذا علم — الزوج السابق —

بزواجها ، أو التخفف من أعباء الزواج الشرعى ومؤنه كما تقدم إلى غير ذلك الكثير .
— وتبقى كلمة : فليس كل زواج سرى صحيحاً ، وليس كل زواج عرفى صحيحاً .
— فماذا عن تعدد الزوجات ؟

(١١٧/١)

— قال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) (النساء : ٣) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : "الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ" (١) ، وكان عهد السلف الصالح التزوج بأكثر من واحدة ، وكان بعضهم إذا ماتت زوجته لم يبت ليلة دون زوجة جديدة ، فتعدد الزوجات مستحب وهو من هدى النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وعليه سار السلف الصالح ، ولكن فى زمن التلفاز تقوم الدنيا ولا تقعد إذا فكر الزوج - مجرد تفكير - فى "التعدد" جلست الزوجة "تعدد" فى البيت وبدأ التواعد له إن هو تزوج ، وأخذت "تعدد" وتحتال له الحيل ، وتدور المسلسلات من أولها إلى آخرها فى بيان الحيل النسائية التى تحول دون وقوع تلك "المصيبة" التى ستهدم البيت السعيد وتفرق شتات الأسرة ، وكان لهذا التأثير السلبى على فكر ومعتقد كثير من نساء المسلمين .
يجرى هذا فى زمن تدفع فيه بعض الدول - الغير مسلمة - المال لكن من ينجب مولوداً جديداً !! بينما نحن لازلنا نستورد منهم وسائل منع الحمل خشية الانفجار السكانى ، وتنهال على رؤوس الناس الدعوة إلى الاكتفاء بزوجة واحدة ، وولد واحد أو اثنين على الأكثر ، ومن يتعدى هذا فالويل له كل الويل من وسائل الإعلام (٢)

(١) تقدم .

(٢) وفى أثناء كتابة هذه السطور تعرض على مشكلة تفكير زوج مسكين فكر - مجرد التفكير - فى الزواج مرة ثانية ، بالأمس مساءً يحدثنى أن زوجته تركت البيت إلى أهلها عند منتصف الليل رفضاً لهذا الامر ، تاركة له ثلاثة أولاد .

— ثم : وفى الصباح تكلمنى الزوجة هاتفياً تشكو إلى زوجها وأنه يريد أن يهدم البيت بنفسه ، كيف ؟ تقول : يريد ان يتزوج على ، وأنا لم أقصر فى شأن من شئون البيت ، أو فيما يتصل بحقوقه الزوجية ، ولا فى تربية أولاده ورعايتى لأبيه المريض وأخته ، فكيف يكون هذا جزائى ؟، هل شعر منى بالتقصير فى شئ حتى يتزوج غيرى ، لقد جرح كرامتى ، لقد أهاننى ، ماذا يقول الناس عندما يعلمون أن زوجى تزوج بأخرى ! لقد فعلت معه كذا وكذا

— وفي نهاية المكاملة التليفونية كانت الزوجة قد خرجت من بيت أهلها إلى بيت زوجها وأولادها والرضا بالزواج مرة ثانية ، والحمد لله تعالى .

(١١٨/١)

— فماذا عن العيلة والفقير من جراء تعدد الزوجات والأولاد ؟ وقوله تعالى : (ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) (النساء : ٣) .

— "قال الشافعي : أن لا تكثر عيالكُم ، فدل على أن قلة العيال أولى ، قيل : قد قال الشافعي رحمه الله ذلك وخالفه جمهور المفسرين من السلف والخلف وقالوا معنى الآية ذلك أدنى أن لا تجوروا ولا تميلوا فانه يقال عال الرجل يعول عولاً إذا مال وجار ومنه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص ، ويقال : عال يعيل عيلة إذا احتاج قال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) (التوبة : ٢٨) ، وقال الشاعر :

وما يدرى الفقير متى غناه * وما يدرى الغنى متى يعيل
أى متى يحتاج ويفتقر .

وأما كثرة العيال فليس من هذا ولا من هذا ولكنه من أفعل يقال أعال الرجل يعيل إذا كثر عياله مثل ألبن وأتمر إذا صار ذا لبن وتمر هذا قول أهل اللغة .

قال الواحدى في بسيطه ومعنى تعولوا تميلوا وتجوروا عن جميع أهل التفسير واللغة وروي ذلك مرفوعاً ، روت عائشة — رضى الله عنها — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — في قوله : (ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) قال : "أن لا تجوروا" (١) وروى أن لا تميلوا ، قال : وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدى وأبي مالك وعكرمة والفراء والزجاج وابن قتيبة وابن الأنباري .

قلت : ويدل على تعيين هذا المعنى من الآية وان كان ما ذكره الشافعي رحمه الله لغة حكاه الفراء عن الكسائي أنه قال : ومن الصحابة من يقول عال يعول إذا كثر عياله قال الكسائي : وهو لغة فصيحة سمعتها من العرب لكن يتعين الأول لوجوه :

— أحدها : أنه المعروف في اللغة الذى لا يكاد يعرف سواه ولا يعرف عال يعول إذا كثر عياله إلا في حكاية الكسائي وسائر أهل اللغة على خلافه .

(١) أخرجه ابن حبان (١٣٤\٦) والصواب الموقوف .

(١١٩/١)

— الثاني : أن هذا مروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح .

— الثالث : أنه مروي عن عائشة وابن عباس ولم يعلم لهما مخالف من المفسرين وقد قال الحاكم أبو عبد الله : تفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع .

— الرابع : أن الأدلة التي ذكرناها على استحباب تزوج الولود وأخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يكثر بأمرته الأمم يوم القيامة يرد هذا التفسير .

— الخامس : أن سياق الآية إنما هو في نقلهم مما يخافون الظلم والجور فيه إلى غيره فإنه قال في أولها : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) (النساء : ٣) فدلهم سبحانه على ما يتخلصون به من ظلم اليتامي وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوالغ وأباح لهم منه ثم دلهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم في عدم التسوية بينهما فقال : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا) (النساء : ٣) ثم أخبر سبحانه أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور وهذا صريح في المقصود .

— السادس : أنه لا يلتزم قوله : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) في الأربع فانكحوا واحدة أو تسروا ما شئتم بملك اليمين فان ذلك أقرب إلى أن لا تكثر عيالكم بل هذا أجنبى من الأول فتأمله .

— السابع : أنه من الممتنع أن يقال لهم إن خفتهم أن ألا تعدلوا بين الأربع فلکم أن تتسروا بمائة سرية وأكثر فإنه أدنى أن لا تكثر عيالكم .

— الثامن : أن قوله : (ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا) تعليل لكل واحد من الحكمين المتقدمين وهما نقلهم من نكاح اليتامي إلى نكاح النساء البوالغ ومن نكاح الأربع إلى نكاح الواحدة أو ملك اليمين ولا يليق تعليل ذلك بعله العيال .

(١٢٠/١)

— التاسع : أنه سبحانه قال : (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا) ولم يقل : وإن خفتهم أن تفتقروا أو تحتاجوا ولو كان المراد قلة العيال لكان الأنسب أن يقول ذلك .

— العاشر : أنه سبحانه إذا ذكر حكماً منهياً عنه وعلل النهي بعله أو أباح شيئاً وعلل عدمه بعله فلا بد أن تكون العلة مصادفة لضد الحكم المعلل وقد علل سبحانه إباحة نكاح غير اليتامي والاقتصار على الواحدة أو ما ملك اليمين بأنه أقرب إلى عدم الجور ومعلوم أن كثرة العيال لا تضاد عدم الحكم المعلل فلا يحسن التعليل به" (١) .

— هل صبغ المرأة لشعرها للتجمل أمام زوجها جائز ؟

— الجواب : لا حرج فيه ، بل هو مستحب ، على أن تتجنب السواد .

— ما معنى قوله — صلى الله عليه وسلم — : "إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ ؟ قَالَ الْحَمَوُ الْمَوْتُ" (٢) ؟

— قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : المراد في الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة ولا يوصفون بالموت ، قال : وإنما المراد : الأخ وابن الأخ ، والعم ، وابن العم ، وابن الأخت ، وغيرهم ممن يحل لها التزوج به لو لم تكن متزوجة ، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه فشبهه بالموت ، وهو أولى بالمنع من الأجنبي" (٣) .

— قلت : والمراد أن الموت أفضل للزوج والزوجة من الرضى بدخول أخ الزوج في غياب الزوج ، أو : احذروا هذا الأمر حذركم الموت ، أو أن هذا يؤدي إلى وقوع الفاحشة بين أخ الزوج والزوجة مما يؤدي بدوره إلى وقوع حد الزنا للمحصنة وهو الموت ، أو : إن الموت أفضل للحمو من الدخول على زوجة أخيه في غيابه .

(١) تحفة الودود (١١٥) .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) فتح البارى (٢٤٣\٩) .

(١٢١/١)

وهنا قد يقول قائل : ما هذا التعسف والتشكك ، وتقول بعض الأمهات : "أخ الزوج لو وجد زوجة أخيه عارية لسترها بثوبه" !! ، فلما هذا التعنت والتشكك ، أنتم تفتحون الباب بهذا لهذا .

— نقول : هذا الحديث الشريف ليس من وضعنا وليس هو نتاج عقولنا وتجاربنا ، إنما هو حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، والذى خلق الخلق هو أعلم بهم وبنفوسهم وهو الذى حذرنا من دخول أقارب الزوج على الزوجة في غياب الزوج — أنتم أعلم أم الله — على لسان رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، فوجب على المؤمن أن يقول : سمعنا وأطعنا ، لا أن نقول كما قالت اليهود إخوان القردة والخنازير : سمعنا وعصينا ، هذا ووسائل الإعلام المقروءة تخرج علينا في كل يوم بقصص قتل الأخ لأخيه بعد اكتشاف علاقة الأخ بزوجة أخيه علاقة محرمة ، وقصص عشق الصديق لزوجته صديقه والتأمر على قتله أصبحت تفوق الحصر .

— فالحذر الحذر أخته من دخول أقارب الزوج أو أصدقائه في غياب الزوج ، وهو حق من حقوق

الزوج على زوجته .

— فماذا إذا وقع الخلاف والشقاق بين الزوجين ، إلى من يحتكمون ، وقد جرت العادة بقص بعض الأزواج قصة خلافه مع زوجته إلى بعض أصدقائه (المقربين) والدعوة إلى فض تلك المشاحنات بالحديث إلى الزوجة ونحو هذا ؟

— أقول : قد بين تعالى الطريق الذى يجب أن نسلكه عند وقوع الخلاف والشقاق بين الزوجين فقال تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (النساء : ٣٤) .

(١٢٢/١)

— فعلى الزوج والزوجة إذا وقع الخلاف اللجوء إلى الحكامين ، حكماً من أهله وحكما من أهلها ، وليس الصديق (المقرب) لتحكى له الزوجة مدى معاناتها مع زوجها ، فيرت "الصديق" على كتف الزوجة ، وتضع هى رأسها على كتفيه تبكى من سوء معاملة زوجها ، ثم يأخذ هو دوره فى الشكوى ! فيشكو إليها إهمال زوجته له ، وكم كان يتمنى أن يتزوج امرأة فى مثل جمالها وعقلها ووووو ، ثم يقع ما هو معلوم للخاصة والعامة ، فالحذر الحذر أختاه ، والحذر الحذر أيها الزوج من نبد كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فكما تزوجت على كتاب الله وعلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فلتكن حياتك كلها مرجعها إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فى الحب وعند وقوع الشقاق نعوذ بالله تعالى من النفاق والشقاق .

— وهنا يجب أن ننبه إلى فصل النساء عن الرجال عند الزيارات العائلية وغيرها : فكثيراً ما نجد الرجل يصطحب زوجته فى زيارة إلى أحد أصدقائه للتعارف بين الزوجات ، فتجلس النساء مع الرجال وتدور العيون ، وينظر الرجل إلى زوجة صديقه وقد "يتحسر" البعض من قلة جمال زوجته مثلما تتمتع به زوجة صديقه ، فيقع الكره والبغض والكره منه لزوجته ، أو تنظر هى إلى زوج صديقتها وتتحسر على كيفية معاملة هذا الزوج الحنون لزوجته وكيف يدللها ويتغزل بجمالها وحسن معاملته لزوجته ، وكيف لا يقع هذا من زوجها... إلى غير هذا مما هو معلوم للقريب والبعيد .

— هذا إلى وقوع الاختلاط المنهى عنه بين الرجال والنساء (١) ، وإثارة الغيرة بين النساء حينما ترى هذه أن تلك ترتدى أجمل الثياب ، وتضع فى أذنها القرط ، وفى يديها من الذهب ما يزن كذا ، وهذا زوجها الأنيق الحنون اللبق المرح الذى لا يأمر ولا يعلو صوته ، خفيف الظل المثقف ، وهذا... وهذا زوجى.... وهذه ملابسى .

حق الزوج على زوجته

(١) قال أحد الحكماء : العفة حجاب يميزه الاختلاط .

(١٢٣/١)

— فما هو حق الزوج على زوجته ؟

— الجواب : لابد للمرأة أن تعلم عظيم فضل وحق زوجها عليها ، قال تعالى : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (النساء : ٣٤)
وقال - صلى الله عليه وسلم - في بيان حق الزوج على زوجته : "لَوْ كُنْتُ أَمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ (١) لِزَوْجِهَا" (٢) .

— وقال - صلى الله عليه وسلم - : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ" (٣) .

— وعن حصين بن محصن قال : حدثني عمتي قالت : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض الحاجة فقال لي : أى هذه ! أذات بعل ؟ قالت : نعم ، قال : كيف أنت له ؟ قالت : لا آلوه (٤) إلا ما عجزت عنه ، قال : فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك" (٥) .

— وجاء رجلاً بابنته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : "هذه ابنتي أبت أن تزوج ، فقال : أطيعي أباك ، أتدريين ما حق الزوج على زوجته ؟ لو كان بأنفه قرحة تسيل قيحاً وصديداً لحسته ما أدت حقه" (٦) .

(١) تنبيه : ذهب البعض إلى أن المراد هنا هو السجود المجازى أو الانحناء ونحوه ، والحديث على ظاهره ، والمراد السجود المعروف ، وبيان هذا له موضع آخر .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذى .

(٣) صحيح : أخرجه ابن ماجه (٥٧٠\١) وأحمد (٣٨١\٤) .

والقنب : أى الرجل ، وهو رجل صغير على قدر السنام .

(٤) أى لا أقصر في طاعته وتلبية ما يطلبه .

(٥) صحيح : أخرجه الترمذى .

(٦) حسن : أخرجه الدارقطنى (٢٣٦\٣) والبيهقى (٢٩١\٨) .

(١٢٤/١)

— وقال — صلى الله عليه وسلم — : "المرأة إذا صلت خمستها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها ، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت" (١) .

— والمرأة راعية في بيت زوجها : روى البخارى عن ابن عمر — رضى الله عنهما — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (٢) .

وقال — صلى الله عليه وسلم — مبيناً حق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على زوجها : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ (٣) عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ (٤) وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ" (٥) .

(١) حسن : أخرجه أبو نعيم (٣٠٨\٦) .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٩٦\٥) .

(٣) عوان : أى أسيرات عندكم ، ومنه يؤخذ عدم قيام الزوجة بأى عمل إلا بعد إذن سيدها (الزوج) فلا تتصرف فى شئون حياتها إلا من بعد إذنه .

(٤) فلا تحنه .

(٥) صحيح : أخرجه الترمذى .

(١٢٥/١)

— إن أول حقوق الزوج على زوجته أن تعينه على طاعة ربه — عز وجل — ، فتتهيئ له الجو المناسب للطاعة ، ولا ترهقه بطلباتها عامة ووقت عبادته خاصة .

— ألا يطاق فراش زوجها من يكره بخيانة ونحوها .

— ألا تأذن فى بيته لمن يكره لقوله — صلى الله عليه وسلم — : "وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ" . وعند مسلم فى رواية أبى هريرة : "وهو شاهد إلا بإذنه" وهذا القيد خرج مخرج الغالب ، وإلا فغيبة الزوج لا تقتضى الإباحة للمرأة بل يتأكد حينئذ عليها المنع لثبوت الأحاديث الواردة فى النهى عن الدخول على المغيبات أى من غاب عنها زوجها .

وقال النووي في هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم سواء كان حاضراً أم غائباً فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك وحاصله أنه لا بد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً .

— قوله : "إلا بإذنه" أى الصريح وهل يقوم ما يقترن به علامة رضاه مقام التصريح بالرضا فيه نظر .
— وعليه فلا تدخل من يبغض أو لا يرضى دخوله البيت : سواء أكان الأب أو الأخ أو أى من أقاربها إذا لم يرضى زوجها بهذا .

— تنبيه : ولتكن إجابة الزوجة على من يطرق بابها من خلف الباب ، ولا تفتحه إلا لمن تعرف أنه لا حرج في رؤيتها أو دخول بيتها ومملكتها ، لا أن تفتح لكل زاعق وناعق ممن يطرق بابها .
— ومن حقوق الزوج أيضاً :

(١٢٦/١)

— خدمة المرأة زوجها : وهو واجب على الزوجة لقوله تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَى نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ) (البقرة : ٢٢٨) ، وقال — صلى الله عليه وسلم — وقد سأله أحدهم : مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعَمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُفَبِّحَ وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ (١) .

فتبين تعالى أن للرجال على النساء كما للنساء على الرجال حق ، فكما أن على الزوج العمل والكد وإطعام الزوجة والأولاد وهو فرض عليه لازم ، على الزوجة حقوق ، منها خدمة الرجل في بيته وهو واجب كما تقدم ، وليس هو على الاستحباب كما يقول البعض ، كما أن خدمة المرأة أهل الزوج هو على الاستحباب وليس على الوجوب كخدمتها زوجها .

ويقول الإمام ابن القيم : "قال ابن حبيب في "الواضحة" : حكم النبي — صلى الله عليه وسلم — بين على بن أبي طالب — رضي الله عنه — وبين زوجته فاطمة — رضي الله عنها — حين اشتكى إليه الخدمة فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة خدمة البيت وحكم على علي بالخدمة الظاهرة ، ثم قال ابن حبيب : والخدمة الباطنة العجين والطبخ والفرش وكنس البيت واستقاء الماء وعمل البيت كله .

(١) صحيح : أخرجه أبو داود .

(١٢٧/١)

وفي الصحيحين أن فاطمة — رضى الله عنها — أما : "شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى فَأَتَتْ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَ فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَصَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقْرُومُ فَقَالَ مَكَانُكَ فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ إِذَا أُوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا فَكَبَّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ " (١) .

فاختلف الفقهاء في ذلك فأوجب طائفة من السلف والخلف خدمتها له في مصالح البيت وقال أبو ثور عليها أن تخدم زوجها في كل شيء .

ومنعت طائفة وجوب خدمته عليها في شيء ومن ذهب إلى ذلك مالك والشافعي وأبو حنيفة وأهل الظاهر قالوا لأن عقد النكاح إنما يقتضى الإستمتاع لا الإستخدام وبذل المنافع قالوا والأحاديث المذكورة إنما تدل على التطوع ومكارم الأخلاق فأين الوجوب منها .

واحتج من أوجب الخدمة بأن هذا هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه بكلامه وأما ترفيه المرأة وخدمة الزوج وكنسه وطحنه وعجنه وغسيله وفرشه وقيامه بخدمة البيت فمن المنكر والله تعالى يقول : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة : ٢٢٨) ، وقال تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء : ٣٤) وإذا لم تخدمه المرأة بل يكون هو الخادم لها فهي القوامة عليه .

وأيضا فإن المهر في مقابلة البضع وكل من الزوجين يقضى وطره من صاحبه فإنما أوجب الله سبحانه نفقتها وكسوتها ومسكنها في مقابلة استمتاعه بها وخدمتها وما جرت به عادة الأزواج .

(١) متفق عليه .

(١٢٨/١)

وأيضا فإن العقود المطلقة إنما تنزل على العرف والعرف خدمة المرأة وقيامها بمصالح البيت الداخلية وقولهم إن خدمة فاطمة وأسماء كانت تبرعاً وإحساناً يردّه أن فاطمة كانت تشتكى ما تلقى من الخدمة فلم يقل لعل لا خدمة عليها وإنما هي عليك وهو - صلى الله عليه وسلم - لا يحأبي في الحكم أحداً ولما رأى أسماء والعلف على رأسها والزبير معه لم يقل له لا خدمة عليها وأن هذا ظلم لها بل أقره على استخدامها وأقر سائر أصحابه على استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية هذا أمر لا ريب فيه .

ولا يصح التفريق بين شريفة وديئة وفقيرة وغنية فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها وجاءته - صلى الله عليه وسلم - تشكو إليه الخدمة فلم يشكها وقد سمى النبي - صلى الله عليه وسلم - في

الحديث الصحيح المرأة عانية فقال : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ" والعانى الأسير ومرتبة الأسير خدمة من هو تحت يده ولا ريب أن النكاح نوع من الرق كما قال بعض السلف النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته ولا يخفى على المنصف الراجح من المذهبين والأقوى من الدليلين (١) .

— ألا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه : لقوله — صلى الله عليه وسلم — : "وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه" (٢) وقوله — صلى الله عليه وسلم — : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ" (٣) والعانى هو الأسير ، ولا يخرج الأسير من تحت يد سيده إلا بإذنه ، وسواء أكان مدخول بها أم لازالت تعيش في بيت أهلها ولم يُدخل بها بعد .
— ألا تضع المرأة ثيابها في غير بيتها :

(١) زاد المعاد (٩٥\٥) بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) تقدم .

(١٢٩/١)

ولتحذر المرأة من وضع ثيابها في غير بيتها لقوله — صلى الله عليه وسلم — : "مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا هَتَكَتِ السُّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا" (١) .
— ألا تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه :

روى البخارى عن أبي هريرة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : "لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهَ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَيْهِ شَطْرَهُ" (٢) .
— قال الحافظ : قوله : إلا بأذنه : يعنى في غير صيام أيام رمضان وكذا في غير رمضان من الواجب إذا تضيق الوقت ، قال النووى في شرح المذهب وقال بعض أصحابنا يكره والصحيح الأول قال فلو صامت بغير إذنه صح وأثمت لاختلاف الجهة وأمر قبوله إلى الله قاله العمرانى ، قال النووى ومقتضى المذهب عدم الثواب ويؤكد التحريم ثبوت الخبر بلفظ النهى ووروده بلفظ الخبر لا يمنع ذلك بل هو أبلغ لأنه يدل على تأكيد الأمر فيه فيكون تأكده بحمله على التحريم .

قال النووى في "شرح مسلم" : وسبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ولا واجب على التراخي وإنما لم يجز لها الصوم بغير إذنه ، وإذا أراد الاستمتاع بها جاز ويفسد صومها لأن العادة أن المسلم يهاب انتهاك الصوم بالإفساد ، ولا شك

أن الأولى له خلاف ذلك أن لم يثبت دليل كراهته ، نعم لو كان مسافراً فمفهوم الحديث في تقييده بالشاهد يقتضى جواز التطوع لها إذا كان زوجها مسافراً فلو صامت وقدم في أثناء الصيام فله إفساد صومها ذلك من غير كراهة وفي معنى الغيبة أن يكون مريضاً بحيث لا يستطيع الجماع .

(١) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٩٣\٥) ومسلم .

(١٣٠/١)

وحمل المهلب النهى المذكور على التثنيه فقال : هو من حسن المعاشرة ولها أن تفعل من غير الفرائض بغير إذنه ما لا يضره ولا يمنعه من واجباته وليس له أن يبطل شيئاً من طاعة الله إذا دخلت فيه بغير إذنه ، انتهى .

وهو خلاف الظاهر وفي الحديث أن حق الزوج أكد على المرأة من التطوع بالخير لأن حقه واجب والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع" (١) .

— كما أن من حق الزوج على زوجته ألا تنفق من بيته شيئاً إلا بإذنه :

قال - صلى الله عليه وسلم - : "لَا تُنْفِقُ امْرَأَةٌ شَيْئاً مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الطَّعَامَ قَالَ ذَلِكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا" (٢) .

قال الإمام البغوى : أجمع العلماء على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج شيئاً من بيت زوجها إلا بإذنه فإن فعلت فهي مأزورة غير مأجورة .

— وإذا وافق الزوج كان لها وله الأجر : فقال - صلى الله عليه وسلم - : "إِذَا تَصَدَّقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا كَانَ لَهَا بِهِ أَجْرٌ وَلِلزَّوْجِ مِثْلُ ذَلِكَ وَلِلْخَازَنِ مِثْلُ ذَلِكَ وَلَا يَنْقُصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ أَجْرِ صَاحِبِهِ شَيْئاً لَهُ بِمَا كَسَبَ وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ" (٣) ، وهذا يعلم المرأة من أمر زوجها من حب الإنفاق والتصدق ، هو بالإذن العام منه في الإنفاق ، أو أن يكون لها مال خاص بها من إرث ونحوه ، أو أن يكون لها مال خاص من زوجها خاص بها .

(١) انظر فتح البارى (٢٩٥\٩) .

(٢) حسن : أخرجه الترمذى .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذى .

(١٣١/١)

— ألا تطلب الطلاق : وهذه عادة تجرى على السنة الكثير من نساء المسلمين ، فتجد إحداهن إذا طلبت من زوجها أمراً ما ولم يلبه لها يفاجأ الزوج بزوجه تطلب الطلاق ! من غير ما بأس ولا عنت منه ولا شدة ، ثم إذا لبي الزوج طلب زوجته فطلقها ! جلست تندب حظها وسوء حالها ، قال - صلى الله عليه وسلم - : "أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتُ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَأِيْحَةُ الْجَنَّةِ" (١) .

— أن تصبر على فقر الزوج : ولها في أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة الحسنة ، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت لعروة : "إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نَارٌ فَقُلْتُ يَا خَالَةَ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتِ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ (٢) وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا" (٣) .

— وعن أنس - رضي الله عنه - قال : "فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيْفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيْطًا بَعِيْنِهِ قَطُّ" (٤) .

— وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : "مَا عَابَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ" (٥) .

(١) صحيح : أخرجه الترمذی .

(٢) جمع نائح ، وهي الشاة .

(٣) أخرجه البخاری ومسلم .

(٤) أخرجه البخاری .

(٥) أخرجه البخاری ومسلم .

(١٣٢/١)

— ألا تؤذى زوجها لفظاً أو عملاً ، فلا تسفه له رأياً ، ولا تنتقص له عملاً ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه ، قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا" (١) .

— ألا تهجر فراشه :

روى البخاری عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضَبَانِ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ" (٢) .

— قوله : "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ" : قال بن أبي حمزة : الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع ويقويه قوله : "الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ" (٣) أى لمن يطاق في الفراش والكناية عن الأشياء التي يستحى منها كثيرة في القرآن والسنة ، قال وظاهر الحديث اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلاً لقوله : "حَتَّى تُصْبِحَ" وكأن السر تأكيد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه ولا يلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع في النهار وإنما خص الليل بالذكر لأنه المظنة لذلك ، ا هـ .

— وقد وقع في رواية يزيد بن كيسان عن أبي حازم عند مسلم بلفظ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا" (٤) فهذه الإطلاقات تتناول الليل والنهار (٥) .

(١) صحيح : أخرجه أحمد والترمذي .

(٢) أخرجه البخاري (١٩٩٣\٥) ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) انظر فتح الباري (١٩٤\٩) .

(١٣٣/١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ" (١) .

— وتأمل فعل أم طلحة - رضي الله عنها - وقد مات ولدها (٢) فعن أنس - رضي الله عنه - قال : "مَاتَ ابْنُ لَآبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سَلِيمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ قَالَ فَبِجَاءٍ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، فَقَالَ (٣) ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ قَالَ لَا قَالَتْ فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ قَالَ فَعَصِبَ وَقَالَ تَرَكْتَنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرٍ لِيَلْتَكُمَا قَالَ فَحَمَلَتْ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو

(١) صحيح : أخرجه البزار وغيره .

(٢) مات ولدها ! وليس غضباً من أجل جلباب أو طعام فتهجر فراشه وتوليها قفاها ، وتحول حياة الزوج إلى عذاب دائم حتى يُقلع ويعود إليه عقله فيلج .

(٣) أى : أنس - رضي الله عنه - .

(١٣٤/١)

طَلَحَهُ وَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ يَقُولُ أَبُو طَلَحَةَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى قَالَ تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ يَا أَبَا طَلَحَةَ مَا أَجَدُ الَّذِي كُنْتُ أَجَدُ أَنْطَلِقُ فَأَنْطَلِقُنَا قَالَ وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ لِي أُمِّي يَا أَنَسُ لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَعْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلَتْهُ فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مَيْسَمٌ فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ قُلْتُ نَعَمْ فَوَضَعَ الْمَيْسَمَ قَالَ وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلَاحَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَلْمَظُهَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الْأَنْصَارِ التَّمَرِ قَالَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَاءَهُ عَبْدَ اللَّهِ" (١) .

حق الزوجة

— إذن فما هي حقوق الزوجة ؟

— الجواب : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحریم : ٦) ، وقال تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه : ١٣٢) .

(١) أخرجه مسلم وغيره .

(١٣٥/١)

إن أول وأولى حقوق الزوجة بالوفاء هي تعليمها فرائضها (١) ، وبيان حق زوجها عليها ، فإن هي عرفت حق الله تعالى عرفت حق زوجها عليها ، وأول الحقوق بالوفاء لربها "الصلاة" ، وهذا يعنى بدوره أنه لا بد أن يكون الزوج مصلياً ، وأن يأمر أهله بالصلاة ، وهو مع أمره لهم بالصلاة دعوة إلى الصبر

عليهن والاصطبار ، فلا يدعو بغلظة أو شدة ، بل يحب إليها الصلاة ، ويُعلمها ويُعلمها أنه كما يحبها يريد أن يحبها الله تعالى — والله المثل الأعلى — وأنه كما يريد لها زوجة له في الدنيا يريد لها زوجة له في جنة الله تعالى في الآخرة ، فلا يحبها دنيا ويهملها ويحذفها حقها آخرة ! .

يقول — صلى الله عليه وسلم — : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَتَقَطَّ امْرَأَتُهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَتَقَطَّتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" (٢) .

— هل هذا يعنى أن الزوجة التي لا تصلى يفرق بينها وبين زوجها ؟

- (١) وقد تيسرت والحمد لله تعالى وسائل تعليم المرأة أمر دينها عن طريق "شرائط الكاسيت" .
- (٢) صحيح : أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهما .

(١٣٦/١)

— الجواب : ذهب كثير من أهل العلم إلى تكفير تارك الصلاة كفراً أكبر أى يخرج من الملة ، وعليه رتبوا الأحكام ، فقالوا : إذا كان متزوجاً — ولا يصلى — يُفَرَّقُ بينه وبين زوجته ، فلا يحق للمرأة المسلمة المصليّة أن تعاشر الكافر تارك الصلاة — والعكس — وقالوا : تارك الصلاة — إذا مات — لا يُغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا ولاية لتارك الصلاة على ابنته المصليّة عند الزواج ، إلى غير ذلك من أحكام تارك الصلاة ، فالأمر جد عظيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، والأولى بالفتاة إذا تقدم إليها الخاطب أن تسأله أول ما تسأله عن صلاته وعن صلته بربه كما تقدم بيانه .

— وماذا أيضاً من حق الزوجة على زوجها ؟

— الجواب : قال تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة : ٢٢٨) .

فبين تعالى أن للنساء على الرجال حق كما للرجال على النساء ، قال — صلى الله عليه وسلم — وقد سأله أحدهم : يا رسول الله : مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ ، وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُفَبِّحَ وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ (١) ، فيطعمها مما يطعم — وترضى هي بما قسمه الله تعالى لهما من رزق — ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح فعلها أو قولها ، فيسفه رأيها وعملها ، ولا يهجر إلا في البيت .

(١) صحيح : أخرجه أبو داود .

(١٣٧/١)

— وقال — صلى الله عليه وسلم — : "إِنَّ الْمُفْسِدِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا" (١) ، فالعدل مطلوب أخى المسلم ، وكما تحب أن تعاملك زوجتك عاملها ، فلا تطلب حَقَّك وتأبى أن تعطيتها حقها .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : "يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" (٢) .

— قال الحافظ فى الفتح : لا ينبغي له أن يجهد بنفسه فى العبادة حتى يضعف عن القيام بحققها من جماع واكتساب واختلف العلماء فىمن كف عن جماع زوجته فقال مالك أن كان بغير ضرورة ألزم به أو يفرق بينهما ونحوه عن أحمد والمشهور عند الشافعية أنه لا يجب عليه وقيل يجب مرة وعن بعض السلف فى كل أربع ليلة وعن بعضهم فى كل طهر مرة .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٩٥\٥) ومسلم .

(١٣٨/١)

— ألا يهجر إلا فى البيت : لقوله تعالى : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (النساء : ٣٤) وقوله — صلى الله عليه وسلم — : "وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ" (١) ، لا كما يفعل البعض بأن يهجر الفراش والبيت فترى البعض يخرج للسهر والسمير مع الأصدقاء تاركاً خلفه زوجته كما مهملاً ، فيخرج ليمرح ويفرح حتى إذا عاد إلى بيته عاد بالوجه العابس ، ومنهم من يهجر البيت إلى بيت أهله !!!! .

فالسنة أن الرجل إذا أراد الهجر هجر فراشه أو غرفته إلى غرفة أخرى أو مكان آخر فى البيت ، لا

الهجر بالكلية .

— مساعدة الرجل زوجته في شئون البيت : وهو على الاستحباب :

عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : "كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا دخل البيت كأحدكم يخيظ ثوبه و يعمل كأحدكم" (٢) ، وفي رواية : "كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ" (٣) وفي رواية : "كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَرْقِعُ ثَوْبَهُ" (٤) ، وفي رواية : "كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ وَيَخْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ" (٥) .

(١) صحيح : أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه البخارى (٤٦١\١٠ — فتح) .

(٣) السابق .

(٤) أخرجه أحمد .

(٥) أخرجه أحمد .

(١٣٩/١)

فلا حرج على الزوج أن يساعد أهله في بعض شئون البيت ، فيُعد لنفسه الطعام أو الشراب — سواء كانت الزوجة تشعر بالتعب أو المرض أم لا — فإن هذا العمل منه يُدخل على نفسها السرور وتشعر بحب زوجها لها واهتمامه بها والحرص على راحتها وسعادتها ، ولا ينتقص هذا الفعل من "رجولة الرجل" بل يزيد من محبة زوجته لها ، وسيرى منها جزاء هذا أضعاف وأضعاف ، فالمرأة "بئر" من الحنان والعطف والحساس المرفه الجميل ، فقط عليك أن تغترف الغرفة الأول منه وسينبع هذا البئر ويروي لك حياتك بكل عاطفة جياشة تتمناها .

— صبر الرجل وحلمه على زوجته : ولما قال تعالى : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء : ٣٤) دخل في قوامه الرجل أنه الأكثر صبراً واحتمالاً وتؤدة وغير ذلك ، فعلى الرجل أن يكون أكثر صبراً واحتمالاً من المرأة ، وتأمل كيف كان كانت بعض أزواج النبی — صلى الله عليه وسلم — يهجرنه إلى الليل ، وتحدث أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — وعن أبيها وكان بينهما أبو بكر — رضى الله عنه — وكان قد دعاه ليحكم بينهما — فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : تكلمي أو أتكلم ؟ فقالت : تكلم أنت ، ولا تقل إلا حقاً ! فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاهما وقال : أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها ! فاستجارت برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقعدت خلف ظهره ! فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : إنا لم ندعك لهذا ، ولم نُرد منك هذا" (١) .

— فتأمل حال أم المؤمنين وهي تشتكى ثم لا تجد إلا أن تستجير بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من أبيها ! وهي ما استجارت به - صلى الله عليه وسلم - إلا لعلمها برأفته وحبه وحنانه وشفقته - صلى الله عليه وسلم - .

— وهي التي تقول يوماً للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أنت الذي تزعم أنك نبي ؟ !! فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) أخرجه البخارى .

(١٤٠/١)

— كمن تقول لزوجها يوماً : أنت الذي تزعم أنك "ملتزم" بدين الله !! فليصبر وليحتمل وله في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القدوة والأسوة الحسنة

— ألا يلوح لها بالطلاق : وهذا يعنى أن يحذر أمر الطلاق أن يقع منه ، أو يذكره عند كل صغيرة وكبيرة تقع بين الزوجين ، فالتلويح بالطلاق يُشعر المرأة أنها لم تعد تملك هذا البيت ، وأنه لا حق لها فيه ، وهي مجرد ضيف ثقيل سرعان ما يذهب عند أول مشاحنة بينها وبين زوجها ، وكم زلزل التلويح بالطلاق بيوتاً ، وآتى عليها وقوعه .

— ألا يطيل فترة غيابه عنها :

أما المدة التي للرجل الغياب فيها عن زوجته فنسوق هذه القصة التي رواها الإمام مالك في الموطأ قال : "بينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يجرس المدينة ، مر على بيت من بيوتات المسلمين فسمع امرأة من داخل البيت تنشد :

تطاول هذا الليل وازور جانبه وارقتى أن لا ضجيع لأعبه
ألاعبه طوراً وطوراً كأنما.....بدا فمراً في ظلمة الليل حاجبه
يُسِرُّ به من كان يلهو بقربه.....لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه
فوالله لولا الله لاشئ غيره.....لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكننى اخشى رقيباً موكلاً.....بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدنى.....وإكرام يعلى أن تنال مواتبه

فسأل عمر - رضي الله عنه - عنها قيل له : إن زوجها غائب في سبيل الله تعالى ، فبعث إلى زوجها حتى أعاده إليها ، ثم دخل على ابنته حفصة فسألها : كم تصبر المرأة على زوجها ؟ قال : سبحان الله ، مثلك يسأل مثلى عن هذا ؟! فقالت : خمسة أشهر ، ستة أشهر ، فوقف عمر وقال لا يغيب رجل عن

أهله أكثر من ستة أشهر .

— فماذا عن وصايا الزوجين ؟

— الجواب : وصايا الزوجين كثيرة فمنها أولاً : وصية الأب ابنته عند الزواج :

(١٤١/١)

وصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال : إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتاب فإنه يورث البغضاء "أى الكراهية" ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء .
— ثانياً : وصية أم ابنتها عند الزواج : خطب عمرو بن حجر ملك كندة أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني ، ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمانة بنت الحارث فأوصتها وصية تين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء فقالت :
أى بنية : إنك فارقت الجو الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه وقرين لم تألفه ، فأصبح بملكه عليك رقيقاً ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالخضوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتباس بماله والإرعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ، ولا تفشين له سراً ، فإنه إن أفشيت سره أو خالفت أمره أو غرت صدره ولم تأمني غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً .

— ثالثاً : وصية الزوج لزوجته : قال أبو الدرداء لامرأته ناصحاً لها : إذا رأيتني غضبت فرضى وإذا رأيتك غضبي رضيتك وإلا لم نصطحب :

خذى العفو منى تستدعى مودتى.....ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة.....فإنك لا تدريين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالقوى.....ويأباك قلبى والقلوب تقلب

فإني رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى.....إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ
سلوكيات

(١٤٢/١)

— فماذا عن السلوكيات التي على العروسين التحلي بها في بيت الزوجية لتكون الحياة التي يظللها الحب والود والسكن والرحمة كما قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم : ٢١) .

— الجواب : من المقرر أن "مركب" الحياة الزوجية تحتاج إلى مجدا في الرجل والمرأة معا لتصل إلى بر الأمان والحب والوئام ، وهذا يستلزم من الرجل والمرأة المشاركة الدائمة في التعاون معاً ، وألا يطلب طرف أن يأخذ دائماً دون أن يعطى ، بل عليه أن يبادر هو بالعطاء ولا ينتظر الأخذ ، بل يفعل ما يطيق وما يسعه في سبيل إسعاد الطرف الآخر والتخفيف عنه عناء الطريق الطويل ، وعلى الرجل أن يكون أكثر احتمالاً بحكم تكوينه الجسدى وقوامته فيأخذ مجدا في المركب ليسير بها إلى شاطئ الحب والأسرة السعيدة ، ولا تتركه المرأة يجاهد ويكد وهي تشاهد هذا دون أن تبادله الابتسامة وتعطيه اللمسة الحانية والكلمة الطيبة التي تجعله لا يشعر بألم أو تعب من وعناء الطريق ، فهي تجلس أمامه على طرف "المركب" كأمية أو ملكة متوجة يأخذها أميرها ومليكتها إلى جزيرة بعيدة عن أعين الذئاب في الطريق وفي وسائل العلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، لعيشا معاً عمرها الجميل ، فلا بد أن يراها الرجل في أبهى صورها من ملبس وملمس وكلمة طيبة رقيقة حانية .

ولنعلم أن السلوكيات التي على العروسين التحلي بها كثيرة جداً ومنها : حسن العشرة .

فأول هذه السلوكيات التي على الزوجين التحلي بها : حسن العشرة :

(١٤٣/١)

— فعلى العروس — الرجل والمرأة — أن يحسن كل منهما معايشة الآخر ، وقد حث تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - الزوج بحسن العشرة فقال تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء : ١٩) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" (١) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا" (٢) .

— وقال - صلى الله عليه وسلم - : "أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ

مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ (٣) وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ" (٤) .

- (١) صحيح : أخرجه الترمذى والطحاوى ، وتأمل قوله - صلى الله عليه وسلم - ووصفه الزوجة بأنها أهل الرجل ، فهي الأخت والأم والزوجة والقرية .
- (٢) صحيح : أخرجه الترمذى وغيره .
- (٣) فلا تخنه .
- (٤) صحيح : أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما .

(١٤٤/١)

— وقال - صلى الله عليه وسلم - : "كل شئ ليس فيه ذكر الله فهو (لغو) وسهو لعب ، إلا أربع (خصال) : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشيه بين الغرضين (١) ، وتعليم الرجل السباحة" (٢) .

— ومن صور حسن المعاشرة أسوق إليك أيها الزوج الحبيب هذا الحديث الطيب الكثير الفوائد وآداب حسن المعاشرة لمن تدبره وتأمله ، وفيه بعض ما تبغضه النساء في الرجال ، وبعض ما تحبه النساء في الرجال فتأمله وزن نفسك مع أى فريق أنت ، والحديث رواه البخارى ومسلم (٣) عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت (٤) : جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقِدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا .

— قَالَتِ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ .

— تصف زوجها بأنه كلحم الجمل ، وهو من أنواع اللحم غير الخبية إلى الناس ، وهو مع كونه لحما مزهود فيه ، فهو على رأس جبل عالٍ ! وهذا الجبل لا سهل فيرتقى إلى اللحم المزهود ، ولا هو باللحم السمين فأتحمل مشقة صعود وتسلق الجبل .

— قَالَتِ الثَّانِيَةُ : زَوْجِي لَا أَبْثُ خَبْرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرَهُ أَذْكُرَ عُجْرَهُ وَبَجْرَهُ .

— تقول : زوجى لا أنشر خبره ، إني أخاف إن أنا تحدثت عنه ألا أفیکم بیان معایب زوجى ومساوئه ، ولكن ... إن كنت أحدثكم عنه فيكفى أن اذكر عجره ، والعجر : العقد التى تكون فى البطن واللسان ، والبحر : العيوب ، فتحدثت عن عيوبه الظاهرة والباطنة .

-
- (١) الغرض : الهدف .
- (٢) صحيح : أخرجه النسائي في عشرة النساء .
- (٣) أخرجه البخاري (١٩٨٩\٥) ومسلم (١٨٩٨\٤) .
- (٤) أى تحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - وتقص عليه قصة النسوة ، وفيه : حسن استماع الزوج إلى زوجته .

(١٤٥/١)

قال الخطابي : أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة ، قال : ولعله كان مستور الظاهر رديء الباطن .
— قَالَتِ الثَّالِثَةُ : زَوْجِي الْعَشَنُّقُ إِنْ أَنْطِقُ أُطْلَقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أُعْلَقُ .
— تصفه بأنه طويل مذموم الطول ، أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع ، وقد قال ابن حبيب :
هو المقدم على ما يريد ، الشرس في أموره ، وقيل : السيئ الخلق .
تقول : أنها إن ذكرت عيوبه فيبلغه طلقها ، وإن سكنت عنده فإنها عنده معلقة لا زوج ولا أيم ،
فأشارت إلى سوء خلقه وعدم احتماله لكلامها إن شكت له حالها ، وأنها تعلم أنها متى ذكرت له شيئاً
من ذلك بادر إلى طلاقها ، وأنها إن سكنت صابرة على تلك الحال كانت عنده كالمعلقة التي لا ذات
زوج ولا أيم .
— قَالَتِ الرَّابِعَةُ : زَوْجِي كَلِيلُ تِهَامَةٍ لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَآمَةٌ .
— تصف زوجها بأنه لين الجانب ، خفيف الوطأة على صاحب ، ويحتمل أن يكون ذلك من بقية صفة
الليل ، ثم وصفته بالجود ووصفته بحسن العشرة واعتدال الحال وسلامة الباطن ، فكأنها قالت : لا أذى
عنده ولا مكروه ، وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره ، ولا ملل عنده فيسأم من عشرته ، فأنا لذيدة
العيش عنده كلذة أهل قمامة بليلهم المعتدل .
— قَالَتِ الْخَامِسَةُ : زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَّ وَإِنْ خَرَجَ أَسِيدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ .

(١٤٦/١)

— تصفه بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له (١) ، وشبهته في لينه وغفلته بالفهد ، لأنه
يوصف بالحياء وقلة الشر وكثرة النوم ، أو تصفه أنه إذا دخل البيت وثب على وثوب الفهد (٢) ،
وإن خرج كان في الإقدام مثل الأسد ، وأنه يصير بين الناس مثل الأسد ، أو تصفه بالنشاط في الغزو ،

وقولها : ولا يسأل عما عهد : تمدحه بأنه شديد الكرم كثير التغاضى لا يتفقد ما ذهب من ماله (٣) .

-
- (١) وخلق الغفلة عند الرجل خُلُق حسن ، فهو يتغافل عن بعض الأمور في بيته ، فلا يضيق الخناق على زوجه في عمل كذا في البيت ، أو تنظيف كذا ، وتأخيرها لفعل كذا كان قد أمر به من أمور البيت ، فهو يتغافل في بيته عن مثل هذه الأمور الصغيرة ، ولا يكون كالضابط الحارس المتفقد لكل صغيرة وكبيرة في البيت ، حتى لا تكررة الزوجة وجوده وتتحين خروجه .
- (٢) أى يُكثر من مغازلتها ومواقعتها كحال الفهد مع أنثاه إذا دخل عرينه .
- (٣) فلا يتفقد المال عند عودته ، ويسأل أين ذهب المال ، فترى الزوجة وقد أعدت قائمة المصروفات بالدرهم والدينار والفلس ، وأين ذهب وكيف ذهب ولماذا ذهب ؟ حتى تقول الزوجة : أرى عمرى مع هذا الرجل قد ذهب ! بلا عودة !!! .

(١٤٧/١)

— قَالَتِ السَّادِسَةُ : رَوْجِي إِنْ أَكَلْتَ لَفَّ (١) وَإِنْ شَرِبْتَ اشْتَفَّ (٢) وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ (٣) وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ (٤) .

— تصفه بأنه أكل شروب نؤوم ، إن أكل لا يبقى شيئاً من الطعام ، والإشتفاف في الشرب استقصاءه فإن شرب لا يبقى شيئاً من الشراب ، وإن نام رقد ناحية وتلف بكسائه وحده وانقبض عن أهله إعراضاً ، ولا يمد يده ليعلم ما هى عليه من الحزن فيزيله .

-
- (١) ويقع في هذا الكثير من الأزواج ، فلا هو يسمى الله تعالى ، ولا هو يأكل يمينه ، إنما ياليدين ! ولا هو يأكل مما يليه كما صح بذلك الحديث ، إنما "تلف" اللقمة أرجاء الصحيفة خشية هرب بعض الطعام وانفلاته من قبضته ! ولا هو يضع اللقمة في فم امرأته إتباعاً للسنة ، ولا هو ينتظر الزوجة حتى تنتهى من إحضار الطعام وترتيبه ، إنما ما إن يوضع الطعام أمامه حتى يبدأ الصراع والحرب الضروس بين اللقمة والاسنان والضروس ، وهكذا تستبدل الزوجة صحيفة تلو الصحيفة ، وهكذا إذا أكل لف .
- (٢) فلا يسمى الله ، ولا يشرب على ثلاث كما صح بذلك الحديث ، وإنما يشطف الماء حتى نهايته ، ثم تسمع جشأ يرتج له المنزل ! .
- (٣) يلتف فيبدو هو والغطاء كقطعة واحدة ، وتجلس الزوجة بجواره تتحسر على ما بذلت من جهد في إعداد الطعام والشراب وتهيئة الفراش ! والتعطر والتزين لهذا الملتحف ! .

(٤) فلا هو يشكر على الطعام الجيد أو الشراب اللذيذ ، ويشكر لها تعبها وجهدها ومعانتها ، أو يسأل عن حالها وصحتها ، ومن باب أولى فهو لن يسأل عن صلاحها وتقربها إلى ربها .

(١٤٨/١)

— قَالَتِ السَّابِعَةُ : زَوْجِي غَيَّاءُ (١) أَوْ عَيَّاءُ (٢) طَبَاقُ (٣) كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَلِكِ أَوْ فَلَكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ .

— تصفه بالحماقة ، كأنه في ظلمة من أمره ، وانه عيي اللسان (٤) لا يهتدى إلى مسلك ، ووصفته بثقل الروح وأنه كالظل المتكاثف الظلمة الذى لا إشراق فيه ، وتقول أن كل شئ تفرق في الناس من المعايير موجود فيه ، وتصفه بسوء المعاملة لأهله ، إن ضربها فيما أن يشجها أو يكسرها أو يجمع لها الاثني .

— قَالَتِ الثَّامِنَةُ : زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْتَبِ وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْتَبِ .

— تمدح زوجها بأنه لين الخلق ، وحسن العشرة ، فهو في ريح ثيابه ، كالزرنب ، وهو نبات طيب الريح ، وفي لين كلامه ولطف حديثه وحلاوة طباعه كالأرنب في لين الملمس .

— قَالَتِ التَّاسِعَةُ : زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ .

— وصفته بطول البيت وعلوه وكرمه ، أو بنسبه الرفيع ، طويل السيف مما يدل على شجاعته وإقدامه ، وهو مع ذلك سخي كريم الأضياف ، فرماد البيت كثير من كثرة الأضياف ، وهو مع هذه كله زعيم قومه في ناديهم القريب من البيت .

— قَالَتِ الْعَاشِرَةُ : زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَزْهَرِ أَتَقَنَّ أَتَهَنَّ هَوَالِكُ .

(١) أو هو غبي الفهم والمنطق .

(٢) أى تجمعت فيه امراض العالم شماله وجنوبه ، شرقه وغربه .

(٣) يعنى إذا أراد جماعى أطبق على كالسور الذى يقع أصحابه ، أو كالبيت ينهدم على أهله ، فلا يقدم بالقبلة أو اللمسة أو الكلمة .

(٤) ثقیل اللسان .

(١٤٩/١)

— تصفه بالكرم والثروة وكثرة القِرَى والاستعداد له ، والمبالغة في صفاته ، والتقديم له بالسؤال للتنبيه على عِظَم شأنه ، فقولها : وما مالك ؟ تعظيم لأمره وشأنه ، وأنه خير مما أُشير إليه من الثناء والمدح كله على الأزواج السابق ذكرهم ، فمالك هذا له إبل كثيرة ، دائمة البروك بالحظيرة انتظاراً لقدم الضيف ، ولهذا الرجل علامة وإشارة بينه وبين أهله أو خدمه ، فإذا نزل بهم الضيف ، أعطى الرجل الإشارة بالمرهر ، دلالة لإعداد الطعام — فلا يسمع الضيف ندائه بإعداد الطعام فيتخرج — وقد اعتادت الإبل عند سماع الملاهي أن توقن بالهلاك وهو النحر ، ليقدم لحمها طعاماً لضيوفه ، وهذا غاية الكرم .

— قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ ؟ أَنَسٌ مِنْ حُلِيِّ أَذُنِي ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَصْدِي ، وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَانِسٍ وَمُنَقٍّ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبِّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنِّحُ .

أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ ؟ عُكُومُهَا رَدَاخٌ ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ .

ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ وَيُسَبِّحُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ .

بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ ؟ طَوْعُ أَبِيهَا ، وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلَأُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا .

جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ ؟ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا ، وَلَا تُنَقِّتُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا ، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا .

(١٥٠/١)

قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوَطَابُ تُمْخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ شَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيًّا ، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةِ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِّي أُمُّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ ، قَالَتْ : فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرْعٍ .

— قولها "أناس من حلى أذن" أى حلاقي بأنواع الزينة التى تعلقن بأذنى .

— قولها "وبجحنى فبجحت إلى نفسى" أى : سرنى وفرحنى بحسن معاملته فعظمت نفسى فى عينى ، أو عظمنى ورفع من شأنى فعظمت نفسى فى عينى ، حتى شعرت بأنى أميرة الأميرات ، رغم أنه :

— وجدنى فى أهل غنيمة بشق ... أى : وجدنى فى أهل فقراء ، ليس لهم من الغنم إلا قليل ، فانتشلتنى من هذا الحال فجعلنى فى أهل الثراء مع الخيل والإبل والزرع والخدم والدجاج وسائر الأنعام .

— فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأصبح وأشرب فأتنقح : أى أتكلم فلا يقبح قولى أو يسفهه ، وعنده أنام فلا يوقظنى أحد حتى استيقظ من نفسى ، وإذا شربت ارتويت من الشراب .

(١٥١/١)

ثم هي بعد أن وصفت زوجها انتقلت بالثناء إلى أمه وابنه وابنته بل حتى إلى جاريته ، وهذا إنما يدل على مدى تعلق هذا المرأة بزوجها ، فهي لم تكتفى بمدح الزوج حتى اتبعت هذا بالثناء على أمه (حماها) ! تصفها بأن سميحة الجسم واسعة البيت ، وابنه : هادئ الطباع قليل الطعام ، وابنته : سميحة كأمها ، وهي طوع أمر أبيها وأمها ، وهي غيظ جارها : أي جيران أبيها وأمها ، أو غيظ جارها : أي أن زوج البنت كان متزوجاً عليها فكانت هي أفضل أزواجه - جارها - إليه ، ثم إليكم أيضاً وصف جارية وخادمة أبي زرع : فهي كتومة لا تنشر خبر بيتنا والحديث عنه - هذه الجارية أو الخادمة وليست الزوجة ! - ولا هي تهمل أمر طعامنا فهي ليست بالمبدرة ، أو ليست بالتي تسرق من ثمن طعامنا عند شرائه ، وهي مع هذا كله نظيفة ، تحافظ على نظافة بيتنا !!! .

ثم أخذت بالعود مرة أخرى في بيان حال أبي زرع ، تقول : خرج زوجها ذات يوماً - لعله كان غاضباً ، فرأى امرأة جميلة معها ولدان يشبهان البدر في الجمال ، والفهد في الحيوية والنشاط ، يلعبان بثديي أمهما ، اللذين يشبهان الرمانتين ، تقول : فطلقني ونكحها ، تقول : فتزوجت بعده رجلاً سرياً شريفاً ، أعطاني كل ما أريد من أنواع النعم ، ولم ييخل علي بشئ ، وقال لي : تمتعي وأعطي أهلك ما تشائين من أنواع الخيرات ، تقول : فلو جمعت كل شئ أعطانيه هذا الزوج الثاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ، وذلك لشدة حبها وعظم الخير الذي كان عند زوجها الأول (١) .

— قَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ هذه رواية البخاري ومسلم ، وفي رواية للطبراني " كنت لك كأبي زرع لأم زرع ، لكن لا أطلق النساء " .

(١) انظر : فتح الباري (١٦٣/٩) .

(١٥٢/١)

— ومن صور حسن المعاشرة أيضاً : إشاعة المرح والسرور والبهجة والتلطف مع الزوجة ، روى البخاري (١) عن عروة عن عائشة قالت : "رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتُرْنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ فَأَقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهِ" .

— وعن الصديقة بنت الصديق عائشة - رضي الله عنها - أيضاً قالت : "خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ، ثُمَّ قَالَ لِي تَعَالِي حَتَّى أُسَاقِفَكَ ، فَسَاقَفْتُهُ فَسَبَقْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَأْتُ وَنَسِيتُ

خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى حَتَّى أُسَابِقَكَ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ هَذِهِ بَيْتُكَ " (٢) .

— وعنهما أيضاً — رضى الله عنها — قالت : "كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ — صلى الله عليه وسلم — فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرِّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ — صلى الله عليه وسلم — فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ" (٣) .
ومن السلوكيات التي على الزوج التحلي بها أيضاً :
— ألا يطرق أهله ليلاً :

(١) أخرجه البخارى ٥ (١٩٩١\٥) .

(٢) صحيح : أخرجه النسائي في العشرة وأحمد وغيرهما .

(٣) أخرجه مسلم .

(١٥٣/١)

روى البخارى عن جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — قال : "كَانَ النَّبِيُّ — صلى الله عليه وسلم — يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا" (١) ، وعنه أيضاً — رضى الله عنه — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : "إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ وَتَمْتَشِطَ الشَّعْثَةَ" (٢) .
قال أهل اللغة : الطروق بالضم الجئ بالليل من سفر أو من غيره على غفلة ويقال لكل آت بالليل طارق ولا يقال بالنهار إلا مجازاً .

وقال بعض أهل اللغة : أصل الطروق الدفع والضر وبذلك سميت الطريق لأن المارة تدقها بأرجلها وسمى الآتى بالليل طارقاً لأنه يحتاج غالباً إلى دق الباب وقيل أصل الطروق السكون ومنه أطرق رأسه فلما كان الليل يسكن فيه سمي الآتى فيه طارقاً .

— وقول — صلى الله عليه وسلم — في رواية أخرى صحيحة عن جابر — رضى الله عنه — : "إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا" وفيه التقييد فيه بطول الغيبة ، أى يشير إلى أن علة النهي إنما توجد حينئذ فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ، بخلاف من يخرج نهاراً إلى عمله ثم يعود ليلاً ، وإنما المراد من طالت غيبته فلا يطرق أهله ليلاً بدون تنبيه خشية أن تقع عينه على ما يكره من عدم النظافة ونحوها مما قد يسبب له النفرة ، والشرع الحكيم إنما يحرض على السر ، وقد وقع في بعض الروايات : "أَنْ يُخَوَّنَهُمْ أَوْ يَلْتَمِسَ عَشْرَاتِهِمْ" .

— فعلى الزوج عند عودته من العمل مثلاً ألا يهم على أهله ليلاً فيفتح عليها الباب "بالمفتاح" دون

الاستئذان والتوطئة بدق "الجرس" مثلاً لئلا يرى منها ما يكون سبباً في نفرتة منها ، أو يطلع على عورة منها لا تريد منه أن يراها .

(١) أخرجه البخارى (٢٠٠٨\٥) .

(٢) السابق ومسلم .

(١٥٤/١)

وفي حديث الإسراء والمعراج هذا الأدب اللطيف في الاستئذان ويظهر جلياً في دق جبريل - عليه السلام - باب السماء الأولى طلباً للصعود والدخول ، ثم تكرر هذا الأمر في كل سماء ، وسؤال الملائكة الطارق فيرد باسمه ثم سؤلهم عمن معه وهكذا... وفي هذا من الحكم والأدب ما على المسلم من تأمله وتدبره (١)

— ومن السلوكيات التي على الرجل التحلي بها أيضاً : مراعاة غيرة النساء .

روى أنس قال : "كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ (٢) فَأَنْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَقَ الصَّحْفَةَ (٣) ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ غَارَتْ أُمُكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ كُسِرَتْ (٤) صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ كُسِرَتْ " (٥) .

— ففي هذا الحديث التنبيه إلى عدم مؤاخذه الغراء لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

(١) انظر السراج الوهاج في شرح حديث الاسراء والمعراج لكاتب هذه السطور . ط : مكتبة العلم .

(٢) وفيه عدم ترك أو رمي الطعام إذا وقع على الأرض .

(٣) تأمل هذا التواضع والمشاركة من الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

(٤) وفي هذا بيان لحل "العوض" ، وبطلان قول البعض بحرمة العوض .

(٥) السابق .

(١٥٥/١)

وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء لكن إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد عليه تلام وضابط ذلك ما ورد في الحديث الآخر عن جابر بن عتيك الأنصاري رفعه : "إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ - عز وجل - وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ - عز وجل - وَمِنْ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ - عز وجل - وَمِنْهَا مَا يَبْغُضُ اللَّهُ - صلى الله عليه وسلم - فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ - عز وجل - فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّبِّيةِ وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغُضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رَبِّيةٍ ، وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ - عز وجل - اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يَبْغُضُ اللَّهُ - عز وجل - الْخِيَلَاءُ فِي الْبَاطِلِ " (١) .

(١) صحيح : أخرجه ابن حبان (٥٣٠\١) وأبو داود (٥٠\٣) والنسائي .

(١٥٦/١)

— وهنا ننبه "الرجال" الذين قهروا في أجساد نسائهم فأصبحت مرتعاً لأعين الذئاب في كل مكان ، في الطريق ، في العمل ، في وسائل الإعلام ، حتى دخل العرى والنهائون "بالعرض" بيوت المسلمين — إلا من رحم الله — حتى يرى "الرجل" زوجته تجلس أمام "شقتها" مع جارقتها وقد ارتدت ما يكشف كتيهها وبعض صدرها ، وساقها ، أو تجالس أصدقاء الزوج — في الزيارات ! — وقد تعرى صدرها أو ظهرها بعد أن تعرت هي من أوامر ربها ، حتى صارت "الديانة" هي العرف السائد في بيوت وشوارع المسلمين ، حتى أصبحت صاحبة النقاب هي "العفريت" الذي تهدد به بعض الأمهات أبنائهن الصغار! وغدا "الرجل" يرى ابنته تخرج إلى "الدراصة" أو العمل وهي ترتدي "الجيتز أو الاستريتش" وقد بدت عورتها ومفاتن جسدها لكل لذي عينين، تخرج الفتاة بهذا الزى ويراهها الأب وهو يحتسى كوب "الشاي" ولا يتحرك فيه ساكناً ! بل وصل الأمر ببعض الأباء بضرب ابنته إذا شعر الأب بتحول في حياة ابنته من التبرج إلى الالتزام بشرع ربها وستر عورتها ! وقد نسي الأب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" الحديث ، وغاب عن الأب في دنيا الناس أنه سيقف يوماً بين يدي رب السموات والأرض ليسأله عن تلك الذنوب التي تحملها هو وابنته بخروجها متبرجة — وهو يجلس يحتسى شاي الصباح ! — فكل نظرة على المتبرجة بذنب تتحمله هي ومن تركها تخرج بهذا التبرج والسفور — وغاب عن الأب والزوج قوله - صلى الله عليه وسلم - : "لا يدخل الجنة ديوث" (١) وهو الذي يقر السوء في أهله ! .

(١) صحيح : أخرجه الطيالسي (٨٩\١) وغيره .

(١٥٧/١)

لهذا وجب على الزوج التنبيه واستنفار الغيرة فيه على أهل بيته ، روى البخارى عن سعد بن عباد أنه قال : "لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي" (١) .

وعن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "مَا مِنْ أَحَدٍ أَغَيْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ" (٢) .

و عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغَيْرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أُمَّتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا" (٣) .

وعن عروة بن الزبير عن أمه أسماء أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "لَيْسَ شَيْءٌ أَغَيْرُ مِنَ اللَّهِ - عز وجل -" (٤) .

— ومن أبواب حسن العشرة أيضاً : النهى عن الضرب المبرح :

— قال تعالى : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (النساء : ٣٤) وقال - صلى الله عليه وسلم - : "فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا" (٥) .

(١) أخرجه البخارى (٥ \ ٢٠٠٢) .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) السابق .

(٥) صحيح : أخرجه الترمذى وابن ماجه وأبو داود .

(١٥٨/١)

يقع كثير من الأزواج فى خطأ عظيم وهو تعدد حدود الله - عز وجل - فى مراتب تأديب النساء ، فيبدأ أحدهم أول ما يبدأ بالضرب ، وقد أرشد تعالى عباده المؤمنين إلى كيفية تأديب المرأة التى تخاف نشوزها ، فبدأ تعالى بموعظة الزوجة وتخويفها عذاب الله - عز وجل - إن هى عصت زوجها ، وأنه جنة المرأة أو نارها ، وأنه لو كان لأحد أن يسجد لأحد لسجدت المرأة لزوجها من فرط طاعته عليها ، واصحاب هذه الموعظة ببيان مدى حبك لها ، وليكن أمامك قوله تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (المؤمنون : ٩٦)

، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : "لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ" (١) ، والمراد بالقوارير : جمع قارورة وهي الزجاجية ، والمراد : النساء ، وإنما شبههم - صلى الله عليه وسلم - بالقوارير : أى الزجاج : لرقتهن وضعفهن ولطفهن .

فإن هي لم تتعظ وتثب إلى رشدتها انتقل الزوج إلى المرحلة الثانية في التأديب وهي "الهجر في الفراش" فيهجر الرجل زوجته في فراشها ويوليها قفاه ، أو يهجر حديثها إظهاراً لغضبه .

(١) أخرجه البخارى ومسلم بنحوه .

(١٥٩/١)

فإن عادت إلى حظيرة الطاعة فيها ونعمت ، وإلا انتقل إلى المرتبة الثالثة وهي الضرب لقوله تعالى : (وَاضْرِبُوهُنَّ) ، وقوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر حديثاً طويلاً وفيه : "فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ" (١) الحديث ، وفي حديث جابر الطويل عند مسلم "فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ" (٢) أى غير مؤلم (٣) ، وروى البخارى عن عبد الله بن زمعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ" (٤) .

— فضرب النساء لا يباح مطلقاً بل فيه ما يكره كراهة تنزيه أو تحريم ، فهو ضرب تأديب وليس ضرب العبد أو الأمة أو ضرب التعذيب ، وليحذر الوجه .

(١) صحيح : أخرجه الترمذى وابن ماجه وأبو داود .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) كان - صلى الله عليه وسلم - إذا ضرب ضرب بالسواك ! أما أزواج اليوم فلا يكفى أحدهم (شجرة السواك) وإنما يلجأ بعضهم إلى ضرب الزوجة تارة بالعصا الغليظة — وتارة — "الخرطوم" وتارة بكل ما أوتى من قوة ذراع وأرجل ! وكأنه يتعامل مع عبد من عبيد عصر الجاهلية الأولى ، وما يؤسف له أن عادة ضرب الزوجات متفشية جداً لدى الكثير من الأزواج ، والمرأة تقول : أن الرجل حين يضرب زوجته يقوم ببناء جدار عظيم بينه وبينها ، يصبح من الصعب جداً هدم هذا الجدار ، تشعر بإهدار كرامتها واستهانة زوجها بما مما يؤدي إلى النهاية إلى مفترق الطريق بينهما ، إلى الطلاق .

(٤) أخرجه البخارى (١٩٩٧\٥) .

(١٦٠/١)

وقد جاء النهي عن ضرب النساء مطلقاً فعند أحمد وأبي داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب : "لَا تَضْرِبَنَّ إِمَاءَ اللَّهِ فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ ذُبِرَ النِّسَاءُ عَلَى أَرْوَاجِهِنَّ فَأُمِرُ بِضَرْبِهِنَّ فَضْرِبُنَّ ، فَطَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَائِفُ نِسَاءٍ كَثِيرٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَقَدْ طَافَ اللَّيْلَةَ بِآلِ مُحَمَّدٍ سَبْعُونَ امْرَأَةً كُلُّ امْرَأَةٍ تَشْتَكِي زَوْجَهَا فَلَا تَجِدُونَ أَوْلِيَكُمْ خِيَارَكُمْ" (١) وله شاهد من حديث ابن عباس في صحيح ابن حبان وآخر مرسل من حديث أم كلثوم بنت أبي بكر عند البيهقي .

— وقوله : "ذُبر" بفتح المعجمة وكسر الهَمْزة بعدها راء أى نشر بنون ومعجمة وزاى ، وقيل معناه غضب واستب ، قال الشافعي : يحتمل أن يكون النهي على الاختيار والأذن فيه على الإباحة ويحتمل أن يكون قبل نزول الآية بضربهن ، ثم إذن بعد نزولها فيه .

— وفي قوله : "أن يضرب خياركم" دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله وقد أخرج النسائي في الباب حديث عائشة : "ما ضرب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - امرأة له ولا خادماً قط ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا في سبيل الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو تنتهك حرمة الله فينتقم الله" (٢) .

(١) صحيح : أخرجه الدارمي وابن حبان (٣١٩\١) والنسائي في الكبرى (٣٧١ \٥) وغيرهما .

(٢) انظر فتح الباري (٣٠٣\٩) بتصرف .

(١٦١/١)

— فالزوج لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد أن يستنفذ السبل والدرجات التي بينها تعالى في كتابه ، وكلمة ابتعد الزوج عن الضرب كان له أفضل ، وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه أدب لهم" (١) .

قال ابن الأنباري : لم يرد الضرب به لأنه لم يأمر بذلك أحداً ، وإنما أراد ألا ترفع أدبك عنهم (٢) .
— ومن السلوكيات أيضاً : أن يتأدب الرجل بأدب خلعه الحذاء عند ولوجه بيته في المكان المخصص له .

— أن يتأدب بأدب وضع ملابسه عند خلعه في مكانها المخصص لها ، كي لا يرهق زوجته بكثرة

الأعمال في البيت .

— كما على الزوج أيضاً أن يعرف حقوق وواجبات أهل عروسه ، فيكون في استقباليهما بالإبتسامه والترحيب ومجالستهم...

— ومن السلوكيات أيضاً التي على الزوج أن يتحلى بها في بيته :

— الحذر مما يقع فيه كثير من الأزواج حيث ترى بعضهم وقد ظن أنه بزواجه فهو صاحب البيت ومالكه وكأنه يعيش فيه وحده ، فلا تراه زوجه إلا وهو رث الثياب — ما دام داخل البيت !!! — ولا تشم منه إلا أقدر ريح ! سواء كان جالساً أم قائماً ! (٣) .

— ترخيم اسم الزوجة : عن أبي سلمة إن عائشة — رضى الله عنها — قالت : "قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوماً : يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى ، تريد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — " (٤) .

— ومن السلوكيات أيضاً : أن يذكر الرجل زوجه بأنها أجمل هدية قدمتها له فلانة حين عرضتها عليه ، وأنها أجمل من دخل حياته ، وأنه سعيد بهذا الزواج ونحو هذا .

(١) صحيح : أخرجه الطبراني .

(٢) انظر : فيض القدير للمناوى (٣٢٥\٤) .

(٣) من فساء وضراط وجشاء ، بل انى أعرف أحدهم يستحى أن "يقضى حاجته" في بيته ! .

(٤) أخرجه صحيح البخارى (١٣٧٤/٣) ومسلم (١٨٩٦\٤) .

(١٦٢/١)

— أن يطعمها : بأن يضع اللقمة في فيها — وله فيها أجر — أثناء الأكل ، وأن يكثر من المزاح (١) والابتسام خفيف الظل ، أثناء الطعام ، "وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً" ، أخرجه مسلم .

— ومن السلوكيات أيضاً : ما يفعله بعض الأزواج بمحادثة زوجته من عمله ليطمئن عليها ، وما أجمل أن يحدثها في الهاتف بعد خروجه من البيت أو في عمله أو قبل عودته فيقول لها : أحبك ... ، وما أروع هذه الكلمة وأوقعها عند الزوجة ، وما أجمل هذا الفعل أيضاً من الزوجة لزوجها .

— ومنهم من يعود إلى بيته ومعه هديته : زهرة ، شيكولاته ، مصاصة ! نعم مصاصة ، فقط تشعر الزوجة أنك تتذكرها دوماً ، علبه حلوى ، شئ تحبه الزوجة ويعرف الزوج هذا منها ، إلى غير ذلك ، فسبل التعبير عن حبك لزوجتك وأنها معك دائماً وتفكر فيها دوماً كثيرة ، فقط أطرق الباب ، وستجد أضعاف هذا من زوجتك .

(١) وهنا ننبه : إلى مزاح البعض من الأزواج مع نسائهم "سخيفاً" قد يؤدي في بعض الأحيان إلى "الطلاق !" نعم إلى الطلاق ، كمن كان يمزح مع زوجته — وكانت سمينة — ويقول : زوجتي لو دخل الحرامي جلست عليه حتى يحتق — تفتسه — فجرح الزوجة أيما ألم وجرح ، وكان الطلاق ! ، ومنهم من يقول : أنا مجوز راجل ما يتخاف عليها ، وهذا كسابقه ! ومن النساء من تمزح مزاحاً يعلوه السخرية وإن كانت لا تعي هذا ، كمن قالت لزوجها — وكان نحيفاً — ده مفيهوش نفس !! ، ومنهم من تشعره بضعفه جنسياً مزاحاً بدون قصد منها .

والمراد : أن يكون الزوج على حذر حتى في مزاحه مه زوجته فيحافظ على مشاعرها الرقيقة ، فلا يضاحكها بما يجرح شعورها ، فهي كالغشاء الرقيق الذي يتأثر بصغير الأمور من حب أو كره ، وكذا الزوجة لتكن على حذر من مزاح الزوج بما يؤلمه أو يحط منه .

(١٦٣/١)

— ومن السلوكيات أيضاً : تزين الرجل لزوجته : فعلى الرجل أن يتزين لأهله كما يجب أن تتزين هي له (١) ، وقد كان — صلى الله عليه وسلم — يتزين لأهله ، وكان من خير زينته السواك ، كما سئلت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — عما كان يبدأ به — صلى الله عليه وسلم — عند دخوله بيته ؟ قَالَتْ : بالسَّوَاكِ (٢) .

وقد قال تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة : ٢٢٨) ، وقال — صلى الله عليه وسلم — : "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" (٣) فكما أن للمرأة أن تتزين لزوجها ، على الرجل أيضاً أن يتزين لزوجته ، وكما يجب منها أن تستحم وتمشط شعرها وتنظف ونحو هذا قبل الجماع ، فعليه أيضاً مثل هذا ، فكما يريد أن لا يشم منها إلا أطيب ريح ، فلها أيضاً مثل ذلك ، فعليه أن لا تشم منه إلا أطيب ريح ، وكما يريد منها ألا يراها في ثياب رثة ، فلها أيضاً وعليه أن لا تراه في ثياب رثة ، وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أنه قال : إني لأتزين لإمرأتي كما تتزين لي .

— سلوكيات الزوجة :

ومن السلوكيات التي على المرأة التحلي بها في البيت :

— تحريم إفشاء سر الإفشاء :

(١) ومثل هذا هو من باب "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك" .

(٢) أخرجه مسلم ، فيتنفق الرجل ثغره ، وكذا المرأة .

(٣) أخرجه مسلم . وانظر : شرح الاسم في كتاب "القول الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى" ط : مكتبة العلم ، الطبعة الثانية .

(١٦٤/١)

وليحذر الزوجان من إفشاء أسرار الجماع كما يجرى على السنة كثير من الشباب غير الملتزم بدينه من التفاخر والتباهى بما يجرى بين وبين أهله وأنه ظل يمارس العملية الجنسية فترة كذا وكذا ! لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "إِنَّ مِنْ أَشْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا" (١) وعن أسماء بن يزيد - رضى الله عنها - : "أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَقْلَنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ ، قَالَ : فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَعَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ" (٢) .

ففى هذا بيان حرمة نشر وإفشاء أمور الاستمتاع ووصف تفاصيله ، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لأنه خلاف المروءة ، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : "وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (٣) وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها أو تدعى عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك فلا كراهة في ذكره .

(١) تقدم .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد .

(٣) أخرجه البخارى (٢٢٤٠\٥) ومسلم (٦٨\١) .

(١٦٥/١)

— وما يؤسف له أن ظاهرة إفشاء أسرار الجماع أصبحت فاشية وظاهرة بين كثير من النساء ، حتى إذا اجتمع بعضهن فلا يكون الحديث إلا عن الجماع وما ترتديه كل منهن لزوجها عند الجماع ، وتروى هذه ، وتحكى تلك ، ماذا ترتدى وماذا تفعل ؟ وفى هذا استشارة لمن لا تملك مثل ما تملك المتحدثة من ملابس ، مما يثير الضغائن بين النساء وأزواجهن ، بل وصل الأمر ببعضهن أن يكون الحديث عن مدة فترة الجماع ، فتروى هذه أن زوجها يعاشرها فترة كذا ، وتلك تتباهى أن زوجها أشد منه وأقوى إذا تكون معاشرته لها تستمر فترة كذا ، مما يجعل بعضهن يستن الظن بأزواجهن وأنهم غير كفء هن !! وما

يجعل المرأة اللعوب تنظر إلى زوج تلك الذى يطيل فترة الجماع كذا وكذا فترمى شباكه عليه فتكون قد جنت على نفسها براكش .

— فالحذر الحذر أخته من نشر وإفشاء سر الجماع بينك وبين زوجك حتى تحفظي عليك بيتك وزوجك .

— عدم إستقبال الرجل بعد عودته من عمله بـ "دخول الحمام" !!! :

فان بعض من النساء يقعن فى هذا الخطأ الفاحش ، وذلك حينما تستقبل الزوجة زوجها بعد عودته من عمله بتزيين نفسها ، فتبدأ أول ما تبدأ بدخول الحمام لقضاء حاجتها !!! ، ثم الاستحمام ١٠٠ الخ ، مما يؤدى إلى نفور الرجل ، خاصة إذا كانا يعيشان فى مكان غير متسع ، فيشم الرجل من المرأة ما يكره ، فينفّر منها .

وإنما عليها "قضاء حاجتها" والتزين لزوجها قبل موعد عودته إلى البيت ، فيرى منها أول ما يرى عند ولولجته بيته أجهل ما يريده من زوجته .

— التحذير من كفران العشير :

(١٦٦/١)

روى البخارى عن عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — : "قَالَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — وَالنَّاسُ مَعَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَاكَ تَنَاولْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْتَاكَ تَكَعَّكَعْتَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاولْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرُونَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" (١)

(١) أخرجه البخارى (١٩٩٤\٥) ومسلم (١٥١٢) .

— العشير : أى الزوج ، من المعاشرة ، وهذا هو حال المرأة إذا أحسنت إليها الدهر كله ، قولاً وفعلاً ، ثم أنت لم تلبى لها طلباً من ملبس أو مأكّل أو تنزه ونحو هذا ، قالت : ومتى رأيت منك الخير منذ زواجنا ، ومتى كنت حانياً رقيقاً شقيقاً مرحاً جواداً ، هذه هى حياتى معك : شقاء وعناء منذ أول ليلة من زواجنا التعيس

— ويرتبط بالسابق : الحذر من ذكر المرأة مساوئ ومعايب الزوج عند الشجار أو الخلاف والشقاق ، له أو لغيره ، وهذا الفعل من الزوجة يوغر صدر الرجل جداً ، فلتكن منه المرأة على حذر .
— وماذا إذا كان الزوج بخيلاً ؟

وأما إذا كان الزوج بخيلاً فلزوجته أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها أن كان لها ولد ، فقد روى البخارى أن هند امرأة أبى سفيان جاءت يوماً إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت له : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَاحْتِاجُ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ قَالَ خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَكَذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ (١) .
— فكيف تُظهر المرأة غضبها ؟

— إن للمرأة فى إظهار غضبها من زوجها أنواعاً وطرقاً شتى ، فمنهم من تحيل حياة زوجها جحيماً لا يطاق ، تارة بالصوت وتارة بالفعل ، أو تجمع كلاهما !! ومنهم من تهجر الفراش ، ومنهم من تهجر البيت كله مخلفة ورائها كل "فضاء" فى حياتها وبيتها ، ومنهم من تشتكى الجارات والجيران
ولك أن تتأمل عمل أم المؤمنين عائشة فى بيان وإظهار غضبها : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعائشة يوماً : "إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكَ وَرِضَاكَ ، قَالَتْ : قُلْتُ : وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّكَ إِذَا كُنْتَ رَاضِيَةً قُلْتُ بَلَى وَرَبُّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتَ سَاخِطَةً قُلْتَ لَا وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَتْ : قُلْتُ : أَجَلٌ لَسْتُ أَهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ (٢) .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

— ففيه استقرار الرجل حال زوجته من فعلها أو قولها ، والعمل على إصلاح ما بينه وبينها ليعود الحب والوئام إلى حياتهما ، وتأمل قول أم المؤمنين — رضى الله عنها — التى لم تهجر البيت أو الفراش أو تفعل

كذا وكذا من فعل نساء المسلمين اليوم ، إنما فقط كانت تهجر اسم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اسم إبراهيم - عليه السلام - ! .

— وليكن الزوج صبوراً حليماً عند غضب الزوجة أو تدللها !! .

وللزوجة أسوق إليها هذا الحديث الطيب : عن عائشة رضى الله عنها : قالت " ما غرت للنبي - صلى الله عليه وسلم - على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها ، وما رأيتها قط " ، وتقول أيضاً : " استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرف استئذان خديجة (١) فارتاح لذلك فقال : اللهم هالة بنت خويلد (٢) فغرت ، فقلت : وما تذكر من عجوزٍ من عجائز قريش ، حمراء الشدقين ، هلك في الدهر فأبدلك الله خيراً منها" (٣) .

— فماذا عن الزوجة التي لا تحمد زوجها ، مما يؤدي إلى وقوع كثير من المشاكل بين الزوجين ؟

(١) أى : يشبه استأذان خديجة رضى الله عنها .

(٢) أى : اللهم اجعلها هالة بنت خويلد .

(٣) متفق عليه ، وفي رواية : والله ما بدلى الله خيراً منها .

(١٦٩/١)

— الجواب : أسوق للزوج هذا الحديث الشريف : "عن عائشة قالت : " لَمَّا نَزَلَ عَذْرِي مِنَ السَّمَاءِ (١) جَاءَنِي النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ فَقُلْتُ نَحْمَدُ اللَّهَ - عز وجل - لَا نَحْمَدُكَ (٢) ، ولعلم الزوج أنه لا توجد امرأة كاملة الخصال والأوصاف ، وإنما خلقت المرأة من ضلع أعوج ، وإن أعوج الضلع أعلاه ، فإن أنت ذهبت تُقيمه كسرته وكسر المرأة طلاقها ، وإذا أردت أخى الحبيب "فاطمة" فكن أنت "علياً" ، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ " (٣) ، وقال تعالى : (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (البقرة : ٢١٦) .

فكم من خلق طيب كريم في زوجتك ، إن ذهبت تحصيه وجدته يفوق ما تنقمة منها ، وكفاك أنك تجد المصرف الحلال لشهوتك ، وكفاك وضع رأسها على كتفك وصدرك ، وكفاك أن تجد منها اللمسة الحانية الرقيقة ، وكفاك أنهما من تقوم على شئون بيتك وشئونك ، وكفاك ... ، وكفاك ، وكفاك

قال بعضهم :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وقال آخر :

من ذا الذى ترضى سجايه كلها كفى بالمرء نبلاً أن تعد معاييه

وقال آخر :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره.....ويعمى عن العيب الذى هو فيه
فيرى الزوج "القذلة" فى عين زوجته ، ويغفل عن "الخشبة" فى عينه !!! .
وللزوجة أقول : قال - صلى الله عليه وسلم - : " لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا
تستغنى عنه" (٤) .

— بماذا تنصح كل زوج ليستديم محبة زوجته له ، غير ما تقدم من سلوكيات ؟
— الجواب : أقول له : هناك أموراً كثيرة بما تستطيع أن تستديم محبة زوجتك لك ، فإلى ما تقدم :

(١) فى قصة حادثة الإفك .

(٢) صحيح : أخرجه مسند أحمد (٣٠\٦) .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) صحيح : أخرجه النسائي فى " العشرة" .

(١٧٠/١)

١- أكثر من مغازلة زوجتك فى البيت — خاصة فى شهور الزواج الأولى ، فإن ذكريات الأيام والشهور الأولى ستطبع فى ذاكرتها إلى الأبد ، وبها ومن أجلها تتحمل الزوجة الكثير والكثير .
ومغازلة الزوجة : تارة تكون بأن تمتدح ملبسها وشعرها ومأكلاها ومشربها ، وتارة إذا دخلت لتعد لك الطعام — مثلاً — اذهب خلفها واحتك بها من خلفها مزاحاً ، وتارة بمغازلتها بالكلام الفاحش فى أثناء النهار دون أن تكون هناك معاشرة جنسية ، وتارة بالنظر إلى مفاتها ومدحها ، إلى غير ذلك .
وهناك من الأزواج من تكون له ولزوجه "كلمة سرّ" أو إشارة أو علامة اتفقا عليها كناية عن الجماع !!! — فى أيام الزواج الأولى — فما أن يقولها الزوج — مازحاً معها — فى حضور الأهل مثلاً — إلا ويضحك الزوجان معاً ، ولا يدرى الحضور — مثلاً — عما يتحدثان ، والمراد : أن هناك وسائل شتى لإشاعة جو المرح وبيان حب الرجل زوجته .

٢- لا تنسى السؤال عن صحتها يومياً (١) .

٣- لا تنم إلا بعد أن تمسك يدها وتحدثا معاً ولو قليلاً ، فهناك من يحرص على ألا ينام — وجد الجماع أم لا — إلا بعد يمسك بيد زوجته — وقد ناما على ظهرهما — ويتحدثا قليلاً ، وإن لم يكن الزوج يفعل هذا تفعله الزوجة (٢) حتى يكون أحد الطقوس المعمول بها دوماً قبل النوم ، وهذا مما يزيد جداً فى زيادة الحب والارتباط بين الزوجين .

- ٤- لا تنسى شكرها — بالكلمة أو باللمسة — على ما تعانیه في أعمال البيت .
٥- تأدب في الحديث معها ، مبتدئاً بكلامك بـ "لو سمحت" منتهياً بـ "جزاك الله كل خير" أو "شكراً" ، فإنه إذا كان هذا حديثك مع زميلتك في العمل أو صديقك ، فالزوجة أولى بهذا .

- (١) ولا تكن كالزوج الذى قيل فيه في حديث أم رزق المتقدم : "ولا يولج الكف ليعلم البث" .
(٢) والصواب أن تبدأ بها الزوجة وتعلمه زوجها حتى "يتعود" هذا قبل النوم ، فهى "الأم" أى التى تجمع الحنان والحب والود وتبدأ به .

(١٧١/١)

- ٦- لا تنسى قبلة الصباح قبل الخروج إلى العمل ، وقبلة المساء عند النوم .
٧- ضع القواعد في بداية الحياة الزوجية التى تسيرا عليها معاً دون إحفاف لها ، ككيفية النقاش واحترام كل طرف رأى الطرف الآخر ، وعدم ارتفاع الأصوات عند النقاش ، وإذا ارتفع صوت طرف خبا صوت الطرف الآخر ، ومتى يبدأ النقاش وكيف ، ومتى لا يكون هناك نقاش ، كيفية التعامل مع الأهل والزيارات ،
٨- أخرج معها إلى التزه كلما استطعت هذا .
وللزوجة :
٩- لتكن غاية كل منكما إسعاد الآخر .
١٠- لا تجعلا نهاركما يمر بجفاء ، دون أن يتخلله الحب والغرام .
١١- ليتساهل كل طرف أمام قرينه .
١٢- لا يكرر أحدهما طلباً رفضه الآخر من قبل .
١٣- لا تكرر حديثاً عن مشاحنة أو شقاق كان ، حتى لا تعيدا الأحران والمضايقات .
١٤- لا تتقابلا إلا والابتسامة تملو الوجه (١) .
١٥- لا تغضبا معاً في وقت واحد ، ولتكن أنت — صاحب القوامة — أكثر صبراً واحتمالاً ، ولا تنسى أنك تتحدث إلى حبيبك وزوجتك .
١٦- استمع إليها وإلى حديثها ، وإياك من تسفيهه رأيها ، أو الاستهانة بعقلها ، ولك في رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الأسوة الحسنة كما تقدم في حديث أم زرع ، وكما استمع إلى رأى زوجته عند النحر .
١٧- الحذر من مرض "الخرس الزوجي" بعد الزواج ، وهذا المرض كثيراً ما يصيب الرجال بعد الزواج

مما يؤدي بكثير من الزيجات إلى الموت بمرض "السكتة الكلامية" !! .

(١) ويكفيك قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح : "وتبسمك في وجه أخيك صدقة" فالزوجة أحق بهذه البسمة لها من صديق أو زميلة العمل ، وزوجك أختاه أحق من تهديه ابتسمتك الرقيقة .

(١٧٢/١)

— قاعدة هامة : وهذه قاعدة هامة جداً لو وضعها كل زوج موضعها لوجد فيها الراحة الزوجية التي يفقدها الكثير من الأزواج ، وهى : أن يتعامل الزوج مع زوجته على أنها لم تنزل بعد الخطبة لا الزوجة ومن المقرر أن — أكثر الخطاب — فترة الخطبة وزمانها يحاول جاهداً أن يظهر أفضل وأحسن ما يتحلى به ، وأن "يتكلف" (١) بعض الأخلاق وإن لم يكن يتخلق بها ، فترى بعضهم لا يستطيع — مثلاً — أن يتحمل مداعبة طفل ، ولكنه عند وجوده في بيت خطيبته تراه يلعب الأطفال ويلعب معهم ويضاحكهم كطفل صغير ، فيرسم البسمة على وجه خطيبته ، وتري فيه الزوج العطوف على الأطفال المحب لهم — وان كان الأفضل والأولى أن يكون الخاطب على سجيته ولا يتكلف من الأخلاق ما ليست فيه حتى لا يدخل في باب الغش والخداع — والمراد : أن الرجل إذا تزوج تراه يكون في بيته رث الهيئة قبيح المنظر ، تشم منه زوجته ريح غير الطيبة ، يصاب كما يقال بـ "الخرس الزوجي" فتراه وقد أهمل الحديث مع زوجته ، وأهمل مداعبتها ومغازلتها — وقد ذهب منه "إذا دخل فهد" وقد كان هذا شغله الشاغل من قبل ، بينما تراه خارج بيته يضحك مع أصدقائه ويمزحهم ، فإذا عاد إلى بيته حمل الهموم وذهب الضحك والمزاح أدارج الرياح ودخل بيته بالوجه العابس وقلة الحديث والسؤال عن حال الزوجة وصحتها "فلا يوج الكف ليعلم البث" .

— فماذا عن طاعة المرأة زوجها ، إذا طلب منها مالا يقره الشرع من عدم ارتداء الحجاب الشرعى مثلاً ، والخروج متبرجة سافرة ، أو مجالسة أصدقائه أو أى فعل أو قول يخالف الشرع ؟
— الجواب : اعلمى أختاه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) وفي هذا التكلف نوع غش للزوجة ، فلتأمل .

(١٧٣/١)

— هذا ومن الأخطاء التي تقع فيها بعض النساء : نعتها لصديقة أو جارة لزوجها كأنها يباشرها ، روى البخارى عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : " لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا " (١) .

— وماذا عن قوله - صلى الله عليه وسلم - أن : "النساء ناقصات عقل ودين" ؟
— الجواب : لفظ الحديث كما جاء عند الإمام البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال : " خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نَصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا " ، هذا لفظه وشرحه - صلى الله عليه وسلم - للحديث .

ويظن الكثير من الرجال أن : "النساء ناقصات عقل ودين" يعنى أن النساء مجموعة من البله الأغباء المفرطات في أمور دينهن ، فيعامل الرجل مع المرأة من هذا المنطلق الغريب ، فلا يعتب عليها إذا أمرها بأمر شرعى فلم تأتمر به ، أو تنهون في صلاتها وحجابها ومعاملاتها مع جاراتها دون حدود شرعية وأصول دينية ، فترى الكثير من الرجال يتهاون في الأمور الشرعية مع زوجته بدعوى أن النساء ناقصات عقل ودين .

(١) أخرجه البخارى (٢٠٠٧\٥) .

(١٧٤/١)

— وترى فريق آخر يتعامل مع المرأة وكأنها طفل صغير لا عقل له ، فيتهاون بعقل المرأة وتفكيرها ورأيها ، واضعاً رأيها في ذيل القائمة ، حتى يقول لزوجها "انتي هتعملى راسك براسى" ! لا تضعى عقلك مساوياً لعقلي ! ، ولم يتذكر أنه حين تقدم لخطبتها اشترط أن تكون الفتاة التي سيرتبط بها تصغره بسنوات خمس أو عشر أو أكثر أو أقل ، وأنها مع هذا الفارق في السن بينهما إلا أنها استطاعت أن "تحتوى" عقل الرجل وتساييره وتتعامل مع هذا العقل الذى يفوقها سناً وخبرة وتعاملاً مع الناس ، استطاعت أن تكون على قدم المساواة مع هذا العقل ، وأعجب الخاطب وقتها بعقل فتاته ونظرها الثاقبة ، وعقلها الذى احتوى عقله وساييره وعائشه ، ثم ما لبث بعد الزوج أن استهان بعقلها ونظرها واستهان

بزوجته أيما استهانة ، وهذه الاستهانة بعقل المرأة إنما هو سهم قاتل يغرسه الرجل في قلب المرأة دون أن يدري ، فلتكن على حذر أخى المسلم من أن تستهين أو تحط من قدر زوجته في حديثك معها أو عنها .

(١٧٥/١)

— ويكفى في بيان قدر المرأة وشرفها قوله— صلى الله عليه وسلم — : "النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ" (١) ، وقوله— صلى الله عليه وسلم — : "من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة ، فقال له : واثنتين يا رسول الله ؟ قال : واثنتين" (٢) ، "وكفاها شرفاً أن من قُتل دون الدفاع عن شرفه وعرضه كان شهيداً" ، قال — صلى الله عليه وسلم — : "من قتل دون أهله فهو شهيد" (٣) ، وكفاها شرفاً أن أول المؤمنين برسول الله — صلى الله عليه وسلم — كانت امرأة وهي أم المؤمنين خديجة — رضى الله عنها — ، وكفاها شرفاً أن أول شهداء الإسلام كانت امرأة وهي "سمية" زوج عمار بن ياسر ، وكفاها أن النبی— صلى الله عليه وسلم — نحر بناء على رأى زوجه ، إلى غير ذلك الكثير من الأحاديث التي تبين فضل المرأة وكرامتها وإكرم الإسلام لها.

يقول وائلة بن الأسقع : إن من يمن المرأة — يعنى البركة — تكبرها بالأنثى قبل الذكر ، وذلك أن الله — عز وجل — يقول : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) (الشورى : ٤٩) . ومن طريف ما روى : أن أميراً عربياً يكنى أبا حمزة ، تزوج امرأة ، وتمنى أن تلد له "ذكراً" فولدت له بنتاً ، فهجرت منزلها لشدة غيظه ، فصار يأوى إلى بيت آخر ، فمر بجنباتها يوماً ، فسمعها تداعب ابنتها قائلة :

ما لأبى حمزة لا يأتينا.....يظل بالبيت الذى يلينا

غضبان أن نلد البنيناليس له من أمرنا ماشينا

وإنما نأخذ ما أعطيناونحن كالأرض لزراعينا

نبيت ما قد زرعه فينا

وما أن سمع أبا حمزة هذا منها ، حتى أخذه الحنان إليها وإلى ابنته ودخل بيته يقبلهما (٤) .

(١) صحيح : أخرجه الترمذى (١٩٠\١) وأبو داود (٦١\١) والبيهقى (١٦٨\١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى في الأدب (١٤) .

(٣) صحيح : أخرجه الشاشى (٢٥١\١) .

(٤) انظر : البيان والتبيين (١٨٦\١) .

(١٧٦/١)

— فماذا عن الزواج في بيت الأهل سواء كان بيت أهل الزوج أو الزوجة ؟

— وصية أوصى بها كل زوج يبدأ حياته الزوجية ألا يبدأها في بيت أهله أو أهلها ، وليكن له ولزوجته بيتهما الخاص بهما ، وإن كان قليل الأثاث والمساحة ، إلا أنه سيجنبه الكثير من المشاكل التي تنشأ من زواجه في بيت أهله أو أهلها ، فإن كان أهل بيت أهل العروس مفتقدين للوعي الديني والالتزام بحلال الله وحرامه فإن الزوج سيعاني أشد المعاناة ، خاصة إذا كان أهل العروس شديدي المعاملة فلن يستطيع الزوج حينئذ أن تكون له الكلمة العليا على زوجته ونحو هذا مما هو معروف ومشهور ، وأن كان أهله مثل ذلك فكذلك ، وإن كان أحدهم يلتزم بشرع الله وحلاله وحرامه فسيعانى الزوج أيضاً في دخوله وخروجه بل وحتى جلوسه مع أهله ، وسيجد الحرج الشديد من هذا ، وإذا كان أهله مثل ذلك فكذلك ، خاصة إذا كان له اخوة يدخلون ويخرجون مما هو معروف ومشهور ، ولذلك فإني أنصح كل زوج أن يكون له بيته المستقل وإن كان قليل الأثاث والمساحة ، إلا أنه أفضل له بكثير من زواجه في بيت أهله أو أهلها .

— هل يجوز كذب الرجل على زوجته ؟

— الجواب : نعم يجوز ، للرجل أن يكذب على زوجته في إصلاح ما بينهما ودوام العشرة بينهما ، كأن يقول لها : أنت أجمل من رأيت عيني — على قلة جمالها مثلاً — أنت كذا وكذا ، أو الوعد بتلبية طلبها لكذا وكذا إن يسر الله تعالى له جاء به ، يريد دوام الحب والمعاشرة بينهما .

— روى مسلم عن أم كلثوم قالت : ما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : "الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها" .

— إذن هل يجوز كذب المرأة على زوجها ؟

(١٧٧/١)

— الجواب : في إظهار الود لزوجها كما سبق عند الرجل ، فتقول له أنت أجمل من رأيت عيني — على قلة وسامته مثلاً — فلا تعصى الله تعالى فتخون زوجها — عياداً بالله تعالى — ثم تكذب عليه ! فالمرأة التي تكذب على زوجها على كل صغيرة وكبيرة لا يأمن الرجل جانبها ، لتحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - من الكذب كما روى البخاري ومسلم ، قال : "إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " فالمرأة التي تتخذ الكذب وسيلة

للخروج وعمل ما يحلو لها فإنها للحديث تصيح فاجرة ، ولا يرضى الرجل أن يعاشر فاجرة عياداً بالله تعالى ، وكم هدم الكذب بيوتات كثيرة .

— ما هي مواصفات فتى الأحلام ؟

— الجواب : يختلف وصف فتى الأحلام باختلاف الفتاة ، فمنهن من ترى أن فتى أحلامها صاحب الشهادة العليا ، ومنهن من تراه صاحب المال دون النظر إلى "المؤهل" الدراسي ، ومنهن من ترى فتى أحلامها اللبق خفيف الظل ، ومنهن من تراه الوسيم دون النظر إلى المال أو المؤهل الدراسي ، إلى غير ذلك ، فكل فتاة لها مواصفات تختلف عن مثيلاتها من الفتيات .

— وكيف أعرف أن هذا الفتى هو فتى الأحلام الذى يسعدنى أن أنا ارتبطُ به ؟

(١٧٨/١)

— الجواب : لا سبيل لك إلى هذا ، فأنت لك معرفة فتى الأحلام ، أمن خلال الهاتف (١) ؟! أم من خلال الجامعة ؟! أم من خلال الجيرة ؟! وهل أباح لك الشرع مثل هذا التعارف ، فلا سبيل إلى معرفة فتى الأحلام إلا أن يتقدم إلى خطبتك ، فالمرأة "جوهرة" مكنونة ، و "درة" غالية لا يطلع عليها إلا من يعرف قدرها وعزها وشرفها ، والمقياس كما تقدم هو مدى تمسك هذا الخاطب بدينه وبما أمره به الشرع الحنيف .

— فكلم من فتى غرّ الفتيات ملبسه وحسن حديثه ومعسول كلامه ، فى الهاتف أو مدرج الجامعة أو لكونه جارٍ لها ، ثم هو عند الزواج كسرّاب فى صحراء لا وجود له .

— هل هناك ما يسمى بالزوجة النكدية ؟

— الجواب : نعم ، والزوجة النكدية هى نكدية بنكد زوجها عليها ! وإلا فما من زوجة ترضى بتعاسة بيت الزوجية ، وترفض أن ترفرف أجنحة السعادة والحب على عرشها .

— والزوج النكدى ؟

— الجواب : كذلك لا يوجد زوج يأبى أن تكون حياته الزوجية سعيدة هادئة هانئة ، إنما يتحول إلى الزوج النكدى "بنكد" زوجته عليه ! .

— عند تعريفك ألفاظ النكاح والتزويج تعرضتُ — فى الهامش — إلى بيان الفرق بين لفظي النكاح والزواج ، وربطاً بهذا البيان اللطيف فأنا عندما أقرأ فى كتاب الله تعالى فأجد تارة يصف الزوجة بأنها "زوجة" وتارة بأنها "امرأة" فهل هناك فرق بينهما ؟ .

— الفرق بين الزوجة والمرأة :

لا تجد فرقاً يُذكر بين لفظ "الزوج" و "المرأة" فى كتب الفقه ، بينما تجد القرآن العظيم قد فرقَ بينهما ،

فاستعمل لفظ "الزوج" في حق أهل الإيمان ولفظ "المرأة" في حق أهل الشرك والكفران .

(١) تنبيه هام : دعوة إلى كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتجنب ما وسعها الهاتف ، فما أكثر الأحلام التي تكسرت على سماعة التليفون ، وما أكثر الأعراض التي انتهت بعد لقاء من حديث التليفون ، وما أكثر الحياء الذي ذهب مع كلمات التليفون ، فالحذر الحذر أختاه من كيوييد التليفون .

(١٧٩/١)

"وأما الأزواج فجمع زوج وقد يقال زوجة والأول أفصح وبها جاء القرآن (١) ، قال تعالى : (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (البقرة : ٣٥) ، وقال تعالى في حق زكريا - عليه السلام - (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) (الأنبياء : ٩٠) .

ومن الثاني قول ابن عباس - رضى الله عنهما - في - عائشة رضى الله عنها - : "إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة" (٢) .
وقال الفرزدق :

وإن الذى يبغي ليفسد زوجتى * كساع إلى أسد الشرى يستبيلها
وقد يجمع على زوجات وهذا إنما هو جمع زوجة وإلا فجمع زوج أزواج ، قال تعالى : (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِيُونَ) (يس : ٥٦) ، وقال تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ) (الزخرف : ٧٠) .

وقد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفرداً وجمعاً كما تقدم .
وقال تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب : ٦) ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ) (الأحزاب : ٥٩) .
- والإخبار عن أهل الشرك بلفظ المرأة :

قال تعالى : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) إلى قوله : (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (المسد : ١ - ٤) وقال تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ) (التحريم : ١٠) فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة وقال في فرعون : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ) (التحريم : ١١) لما كان هو المشرك وهى مؤمنة لم يسمها زوجاً له .

(١) لم يأت في القرآن لفظ "زوجة" إنما هو من اصطلاح الفقهاء .

(٢) أخرجه البخارى (٢٦٠١٦) .

وقال في حق آدم : (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (البقرة : ٣٥) وقال للنبي : (إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) (الأحزاب : ٥٠) ، وقال في حق المؤمنين : (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) (البقرة : ٢٥) . فقالت طائفة منهم السهيلي وغيره إنما لم يقل في حق هؤلاء الأزواج لأنهم لسن بأزواج لرجلهم في الآخرة ولأن التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط .

ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا عليه السلام : (وَكَاثِبِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) (مريم : ٥) وقوله تعالى عن إبراهيم : (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ) (الذاريات : ٢٩) .

وأجاب بأن ذكر المرأة أليق في هذه المواضع لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة فذكر المرأة أولى به لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجاً .

قلت : ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة

والجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه فإن الزوجين هما الشيطان المتشابهان المتشاكلان أو

المتساويان ومنه قوله تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) (الصفات : ٢٢) .

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أزواجهم أشباههم ونظراؤهم ، وقاله الإمام أحمد أيضاً ، ومنه

قوله تعالى : (وَإِذَا الثُّفُوسُ زُوِّجَتْ) (التكوير : ٧) أى قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب ،

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في هذه الآية : الصالح مع الصالح في الجنة والفاجر مع الفاجر

في النار ، وقاله الحسن وقتادة والأكثر .

وقيل زوجت أنفس المؤمنين بالخور العين وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول .

قال تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) الأنعام ١٤٣ ثم فسرهما : (مَنْ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ) (الأنعام :

١٤٣ - ١٤٤) فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد ، ومنه قولهم : زوجا خف وزوجا حمام ،

ونحوه .

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى قطع المشابهة والمشاكلة بين الكافر والمؤمن ، قال تعالى : (لَا يَسْتَوِي

أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) (الحشر : ٢٠) ، وقال تعالى في حق مؤمنى أهل الكتاب

وكافرهم : (لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) الآية (آل عمران : ١١٣) وقطع المقارنة سبحانه بينهما في

أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه فكما انقطعت الوصلة بينهما في المعنى

انقطعت في الاسم فأضاف فيها المرأة بلفظ الأنوثة الجرد دون لفظ المشاكلة والمشاكلة .
وتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن ومعانيه ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ المرأة دون الزوجة تحقيقاً لهذا المعنى والله أعلم .
وهذا أولى من قول من قال إنما سمي صاحبة أبي هب امرأته ولم يقل لها زوجته لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام فإن هذا باطل بإطلاقه اسم المرأة على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح .
وتأمل في هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة كما في قوله تعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ) (النساء : ١٢) إيدانا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجة المقتضية للتشاكل والتناسب والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب فلا يقع بينهما التوارث .
وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين (١) .

(١) جلاء الافهام للإمام ابن القيم (٢٢٩) .

(١٨٢/١)

نخلص مما سبق أن القرآن أوقع اسم "المرأة" إذا كانت مسلمة متزوجة بكافر ، أو كافرة متزوجة بمسلم ، أو يكون مشركين .
وزاد بعضهم (١) على ما سبق أن القرآن أوقع اسم "المرأة" إذا شابت الحياة الزوجية ما يعكر صفوها ، بأن تكون "المرأة" عاقراً ، أو يحدث بين الزوجين خلاف وصل إلى الطلاق أم لا .
ومن الأول قوله تعالى : (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ) (الطلاق : ١) وهي جمع امرأة ، وجمع زوج أزواج كما تقدم بيانه .
فمن الأول قول زكريا - عليه السلام - : (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) (مريم : ٥) رغم كونهما مسلمين ، إلا أن الحياة الزوجية لا تسير في مسارها الطبيعي لكونها عاقراً ، فأوقع القرآن عليها لفظ "المرأة" ، ومثله : (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) (آل عمران : ٤٠) قول زكريا - عليه السلام - في موضع آخر ، ثم تأمل الوصف القرآني بعد أن رزقه الله تعالى الولد قال تعالى : (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) (الأنبياء : ٩٠) ولم يقل : امرأته ، فتأمل .
ومن الثاني : وهو أن تشوب الحياة الزوجية ما يعكر عليها صفوها من خلاف وشقاق كما في قوله تعالى : (وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) (النساء : ١٢٨) فهذه خمسة وجوه في إيقاع اسم "المرأة" في كتاب الله تعالى .

(١) من محاضرات إذاعية لفضيلة الشيخ عبد العظيم المطعني بارك في عمره وعلمه ونفع به ، وانظر
لكاتب السطور "معترك الأقران في ألفاظ القرآن" .

(١٨٣/١)

— فإن قيل : فماذا تفعل في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ) (التحریم : ١) ؟ فقد أطلق تعالى لفظ "الزوج" على "المرأة" مع وجود الخلاف والشقاق ؟
وقوله — صلى الله عليه وسلم — لزيد : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) (الاحزاب : ٣٧) مع وجود الخلاف
، وقول عزيز مصر كما أخبر تعالى عنه : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ (يوسف : ٢١) ؟
الجواب : الأول : إن الخلاف القائم ليس خلافاً دائماً ، إنما كان خلافاً وقتياً لم يستمر كثيراً كما جاء في
كتب السير والتاريخ .

— أما الثاني : فهو من باب التفاؤل بالألا تستمر الخلافات وأن تسير الحياة الزوجية في مجراها الطبيعي .
— والثالث : إن امرأة العزيز كانت عاقراً كما أخبر عنها القرآن قولها : (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ
وَلَدًا) (يوسف : ٢١) .

وبعد ما تقدم لك أن تتأمل هذه الآيات البينات : قال تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ
فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (يوسف : ٣٠) ، وقوله تعالى : (قَالَتِ امْرَأَةُ
الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) (يوسف : ٥٢) ، وقوله تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ)
(القصص : ٩) ، وقوله تعالى : (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) (هود :
٨١) ، وقوله تعالى : (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) (الحجر : ٦٠) وقوله تعالى : (إِنِّي وَجَدْتُ
امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) (النمل : ٢٣) ونحو هذا في كتاب الله تعالى .

(١٨٤/١)

...قلت : وقد يأتي اسم "المرأة" لبيان الجنس كما في قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَأَمْرَأَتَانِ) (البقرة : ٢٨٢) ، وقوله تعالى : (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) (القصص : ٢٣)
وقوله تعالى : (وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ) (الاحزاب :
٥٠) . هذا والله اعلم بمراده .

— فهل من فرق بين لفظي البعل والزوج ؟

— الجواب : كما إستخدم القرآن الكريم منهجا خاصاً في استعمال لفظي : البعل والزوج ، ويبدو للوهلة الأولى أن لا فرق بينهما ، ولكن القرآن المعجز قد فرق بينهما كما ستري بفضل الله تعالى وحده .

فالقرآن الكريم استخدم لفظ "البعل" بدلاً من "الزوج" إذا شابت الحياة الزوجية ما يعكر عليها صفوها من خلاف قد يصل بالحياة الزوجية إلى حد الانفصال ، أو أن تكون "الزوج" عاقراً كما تقدم فسمها "امراًة" .

ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا) (النساء : ١٢٨) فلما وقع الخلاف بين الزوجين أوقع تعالى اسم "المرأة" على الزوج — كما تقدم — وأوقع اسم "البعل" على الرجل .

وكقوله تعالى : (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) (البقرة : ٢٢٨) .
— يرد على هذا قوله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة : ٢٣٢) فأوقع تعالى اسم "الزوج" وليس "البعل" مع وجود الخلاف .

— والجواب : قالوا : إن هذا في مقام الطلاق الرجعي ، والله أعلم بمراده .
ومن أبواب الجماع

(١٨٥/١)

— فماذا عن أحكام الجماع ؟ وهلا شرحت لنا قول الله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِي شَيْئُكُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ) (البقرة : ٢٢٣) ؟ على أن يكون الشرح وافياً يوافق العصر الحديث ومستجداته ، فإننا دائماً إذا قرأنا شرح هذه الآية أو شرح حديث عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — لا نفهمه جيداً لاستعجام بعض ألفاظه علينا ، مع افتقاد الشرح الذى يوافق هذا العصر ومستجداته .

— الجواب : أما عن أحكام الجماع فهي كثيرة جداً ، نحاول أن نأتى على بعضها ، وذلك لأهميتها ، وجهل الكثير بها مما يؤدي إلى تعثر الحياة الزوجية ، بل سوربما يؤدي بها إلى مفارق الطريق ، وكما يُقال : "المشاكل الزوجية تبدأ من الفراش" أى أن أكثر المشاكل أو أن منشأً جُلَّ المشاكل الزوجية هو الفراش ، فمتى كان الفراش سعيداً كانت الحياة الزوجية سعيدة ، وكما يقال : "فتش عن المرأة" أقول : "فتش عن الفراش" عند حدوث المشاكل الزوجية ، في عالم أصبح فيه الكل مشغول بعضوه التناسلي ، والبحث عن سبل إشباع الغريزة الجنسية ، في زمن التلفاز والفيديو والدمش والإنترنت ، في زمن انتشار

العرى في كل مكان (في الطريق ، في المواصلات ، في العمل ، في وسائل الإعلام المرئية منها والمقروءة) في زمن سيطرة الأفلام على عقول الناس وتحول الناس من اتخاذ القدوة الصالحة من سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام وتابعيهم وتابعي التابعين ، إلى اتخاذ القدوة من أصحاب العهر والفسق والمطربين والمطربات والممثلين والممثلات .

(١٨٦/١)

في هذا الزمن (زمن الغربية) والتغريب والتجهيل التعليمي ، وقصر التعليم الديني على مدارس ومعاهد قليلة بعينها ، حتى أصبح التعليم العام هو الهدف والمراد ، وتغيب أمور الفقه والطهارة والحيض والغسل ونحوها ، والتي تتطرق بدورها إلى الحديث عن مس العورة مثلاً للرجل والمرأة ، وأحكام هذا ، والحيض والزواج وآدابه وأحكامه في مراحل التعليم الهام ، حتى أصبح هذا الأمر غير مطروق بالمرة لدى أكثر الشباب والفتيات - وهي سياسة غربية بذرت بذورها وها هي تجنى ثمرتها اليوم - واستتبع هذا الجهل بها ، ووضعها في قائمة المحظورات والمنوعات ، والحياء من الحديث عنها وفيها "والممنوع مرغوب" حتى ذهب الكثير إلى تعلم تلك الأمور بطريقة خطأ ، عن طريق الجلات الجنسية ، ثم شرائط الفيديو ، ثم الدش ! وأخيراً الإنترنت ، كل هذا بحثاً عن ذلك العالم الخفي الذي يجهله الكثير من الشباب والفتيات مع حصول الكثير على أعلى الشهادات والدرجات العلمية ! ، بينما كان هذا الأمر مدروساً مطروحاً لدى السلف ، حتى أصبحت المعلومات - اليوم - لدى الكثير مغلوطة خيالية! بينما لم نرى هذا فيمن سبق ، بل كان عندهم العلم الشرعي يمثل هذه الأمور ، ولذا لم نجد في سيرهم "خطف" الفتيات واغتصابهن ، من أجل نشوة لحظات ، تودى بصاحبها - والعياذ بالله تعالى - إلى الإعدام ! فالممنوع دائماً مرغوب ، من أجل هذا وغيره نرى العود إلى كتب من سبق فيما يتصل بالمعاشرة الزوجية ، وفنون الفراش والمداعبة والملاعبة و "الأشكال" التي قد يراها البعض في أفلام الجنس المبتوثة عبر شبكة الإنترنت أو الفيديو أو الدش ، متعجبين من ذلك الكم من الأشكال وفنون الجنس ، والتي أخذها الغرب من مخطوطات العرب وكتبهم سرقة وانتحالاً ، وما أكثر ما يفعله الغرب من فنون الجنس والاستمتاع وهو مدون في كتب من سبق ، فهي دعوة إلى كل من يوسوس له شيطانه بمشاهدة تلك الأفلام الخبيثة (للتعلم) أن يعلم أن في كتب من سبق

(١٨٧/١)

غنى عن مشاهدة تلك الأفلام أو التعلم منها ، وسيجد فيما يأتى من كلماتهم ما يشفى غليله ، ويحقق مأربه .

— فنقول : أولاً لا بد وأن نعلم أن قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) على إطلاقه ، فالزوجة كل الزوجة مباحة للزوج — والرجل كل الرجل مباح للزوجة — له أن يأتيها كيفما شاء وقتما شاء ، ففى قوله تعالى : (أَنَّى شِئْتُمْ) للكيفية وليس للزمن ، وله أن يستمتع بها — وتستمتع به — كيفما شاء دون حظر أو قيد ، له أن يستمتع بها — وتستمتع به — كيفما شاء ، وتأمل قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن حكم النكاح فى الدبر (١) : "فأما التلذذ بغير إبلاغ الفرج بين الإليتين وجميع الجسد فلا بأس به إن شاء الله تعالى" .

فهذه الآية الكريمة تفتح الباب أمام الزوجين وتضع أمامها كل سبل الاستمتاع ، وهى تغلق الباب أمام الكثير من الأسئلة التى تلح وتعن لكثير من الأزواج ، هل له أن يفعل كذا أو يستمتع بالطريقة كذا ، إلى غير ذلك الكثير والكثير مما يطرحه الأزواج .

وكذا فى قوله — صلى الله عليه وسلم — وقد سئل عن أحكام الحيض : "اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِ النَّكَاحِ" وفى رواية : "إلا الجماع" (٢) يعطى الزوجان حق الاستمتاع كل الاستمتاع ، ولم يأتى مخصص ليخصص أو يحرم أو يحظر نوع استمتاع إلا فى قوله — صلى الله عليه وسلم — : "اتق الدبر والحيضة" (٣) .

فهذا هو التخصيص الوحيد الذى خصص أو قيّد كيفية الاستمتاع أو زمانه ، أما الكيفية ففى قوله — صلى الله عليه وسلم — : "اتق الدبر" وأما الزمان ففى قوله — صلى الله عليه وسلم — : "واتق الحيضة" فإذا اتق الزوج مكان الدبر وزمن الحيضة له أن يصنع ما يشاء كيفما شاء وقتما شاء .

(١) سيأتى إن شاء الله تعالى .

(٢) سيأتى .

(٣) سيأتى .

وإنما قدمت هذه المقدمة حتى لا يخرج علينا أدعياء العلم (١) ومدعى الفضيلة (٢)

(١) بالتحريم .

(٢) بعدم جواز الكلام فى مثل هذا الشأن أو بهذه الكيفية ، وقد تحدث فيها رسول الله — صلى الله

عليه وسلم - ، ومن بعده ابن عباس - رضى الله عنهما - ، ومن بعدهما الأئمة ، كما سيمر بك إن شاء الله تعالى ، فمن أراد تعقيباً فليعقب وليستدرك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم على ابن عباس ثم على الإمام الشافعى ومالك وأبى حنيفة وابن القيم والقرطبي وغيرهم ، وكفى مدعى الفضيلة "نظرة سريعة" على أفلام السينما والمسرحيات وما فيها من ألفاظ يندى لها الجبين ، وتلميحات يتلمحها الصغير قبل الكبير ، ولا معترض ، وكفى نظرة سريعة على "أفيشات الأفلام" ، وكفى "نظرة سريعة" على إعلانات التلفاز وفتياته الحسنات العاريات ، وكفى إعلانات "الشامبو والصابون" وكأن الإعلان لن يأتى بثمرة إلا إذا تكشف كتف وذراع وصدر الفتاة ، وكفى نظرة علي أغاني " الفيديو كليب" لتشاهد السوءات والأرداف والحركات الخليعة التي قد لا يجدها أكثر الرجال نت زواجهم ، وكفاهم "نظرة عابرة" أيضاً على إعلانات الصحف المقرؤة والتي تزين صفحاتها العاريات "وليس شبه العاريات" ولا معترض ، واضرب لك مثلاً واحداً ، ففي جريدة "الجمهورية" وهى إحدى الجرائد القومية (٢٠٠١/٤/٥) إعلان مجلة شاشتي ، وانظر صورة الغلاف ! ، وكفى أن تُعرض ملابس للمرأة الداخلية في "الفتريينات"! ولا أدري كيف ترضى المرأة بهذا .

هذا بخلاف من يخرج على الناس وهو يغنى : "أشهد أن لا امرأة إلا أنت" !!! .

— ولا حرج ، فقد أصبح الدين مرتعاً للجميع دون سؤال أو حساب — إلا من رحم الله — كما نشرت جريدة "المساء" الأسبوعية في عددها الصادر بتاريخ : (١٠ / ٢ / ٢٠٠١) أن مطرباً سعودياً يغنى آيات قرآنية !! وما الحرج في هذا ! وفي نفس الأسبوع تخرج مجلة "روزاليوسف" بعنوان يقول : " لا طاعة لوزير في معصية القانون" ! هذا هو حال إحدى المجلات التي لا شغل لها سوى محاربة الإسلام وإلصاق التهم بأهل اللحية ، وهذه (عقيدتي) بتاريخ (٢٠ / ٣ / ٢٠٠١) تنشر مقالاً للدكتور عبد العظيم رمضان يقول فيه : الخلفاء الراشدون : علمانيون ! مانعي الزكاة على عهد أبى بكر - رضى الله عنه - ليسوا مرتدين ! لم يصح من الحديث الشريف والسنة النبوية سوى أحد عشر حديثاً ! (انظر : رسالة أمثالنا الشعبية ، لكاتب السطور ، ط : مكتبة العلم) .

(١٨٩/١)

! بتحريم ما أحل الله تعالى للزوجين من الاستمتاع ، وعلى كل من "يفتى" بتحريم ما فليأتنا بدليله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وها أنا أسوق إليك بعض ما قاله أهل العلم في هذا الشأن العظيم ، كالإمام الشافعى والإمام مالك وأبى حنيفة وابن حزم والقرطبي وابن القيم وغيرهم كما سيمر بك إن شاء الله تعالى بعض كلماتهم ، وأقدمه بحديث النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) .

فللرجل أن يأتي امرأته كيف شاء مقبلة ومدبرة ، محببة (١) وعلى حرف (٢) ، قائمة وجالسة وقاعدة ، على أن يحذر الدبر والحیضة .

ففي الصحيحين عن جابر - رضي الله عنه - قال : "كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَتَزَلَّتْ (نِسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتُكُمْ أَلَى شَيْئُمْ) (البقرة : ٢٢٣) وفي لفظ لمسلم : "إِنْ شَاءَ مُجَبِّبَةً وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مُجَبِّبَةٍ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ" (٣).

-
- (١) محببة : أى على وجهها ، وقال عياض : المتجبية تكون على وجهين : أحدهما : أن تضع يديها على ركبتيها وهى قائمة ، منحنية على هيئة الركوع ، والآخر : تنكب على وجهها باركة .
- (٢) على حرف : أى على جنب .
- (٣) أخرجه البخارى (١٥٤\٨) ومسلم (١٥٦\٤) .

(١٩٠/١)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ أَهْلُ وَثْنٍ مَعَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلِهِمْ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَأْتُوا النِّسَاءَ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ وَذَلِكَ أَسْتَرُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ فَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ وَكَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ شَرَحًا مُنْكَرًا وَيَتَلَذُّونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَذَهَبَ يَصْنَعُ بِهَا ذَلِكَ فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ وَقَالَتْ إِنَّمَا كُنَّا نُوْتِي عَلَى حَرْفٍ فَاصْنَعِ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي حَتَّى شَرِي (١) أَمْرُهُمَا فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عز وجل - (نِسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتُكُمْ أَلَى شَيْئُمْ) أَيِ مُقْبِلَاتٍ وَمُدْبِرَاتٍ وَمُسْتَلْقِيَاتٍ يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ " (٢)

— تقدم قولك أن هناك كتب ومخطوطات قد دونت في السابق تتحدث عن فنون الجماع وأشكاله ، فلا مثلت لنا بأمثلة ؟

-
- (١) اشتهر وانتشر .
- (٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٧٧\١) وغيره .

(١٩١/١)

— الجواب : قبل ضرب الأمثلة يلزم أن ننبه أولاً أن الكتب التي تتحدث عن الجنس أو فنون الجماع كانت منتشرة مشتهرة لدى من سبق ، وتحدث العلماء والفقهاء في مسائل الجنس وفنونه ، والكل كان يمارس الجنس زواجاً أو بملك اليمين (الإماء) ، وكثرت الاسئلة حوله ، فدون بعضهم كتباً تصول وتجول في هذا الفن ، وتمحو الجهل وتنشر الثقافة الجنسية ، فكانت تتحدث عن أحوال الرجال والنساء حال الممارسة الجنسية ، أو تصف لهم الأدوية المتعلقة بالقوة الجنسية ، أو تصف أخلاق الرجال الحبيبة لدى النساء ، أو العكس ، أو تتحدث عن أنواع وطرق الممارسة ، وقد تصدى بعض العلماء بعدهم لمثل هذه الكتب ، إما للغتها الفاضحة ، أو لألفاظها التي قد تخدش الحياء ، إلا أن الجميع اتفقوا على نبد الجهل الجنسي لدى الأزواج .

— وكان ممن كتب في هذا الفن والباب : أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا (١) ، فصنف كتباً أسماه (رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه) بإشارة من السلطان سليم خان ، وقد دافع عن كتابه بقوله : "ولم أقصد بتأليفه كثرة الفساد ، ولا طلب الإثم ، ولا إعانة المتمتع الذي يرتكب المعاصي ويستحل ما حرم الله تعالى ، بل قصدت به إعانة من قصرت شهوته على بلوغ أمنيته في الحلال ، الذي هو سبب لعمارة الدنيا بكثرة النسل" (٢) .

— ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد النفزاوي قاضى تونس (٣) ، وله كتاب (الروض العاطر في نزهة الخاطر) والذي أشار الوزير محمد بن عوانة الزواوي عليه بتصنيفه ، وله رسالة أيضاً بعنوان (تنوير الوقاع بأسرار الجماع) .

— ونلاحظ أن الدافع وراء تأليف الكتابين "السلطان والوزير" مما يلقي بظلاله إلى مدى اهتمام العامة والخاصة بتلك المسائل .

— منهم أيضاً : نعمة الله الجزائري (٤) ، وله رسالة (الأيك) .

(١) المتوفى سنة (٩٤٠) .

(٢) وأقول مثل ما قال .

(٣) المتوفى سنة (٧٢٥) .

(٤) المتوفى سنة (١١١٢) .

— ومنهم أيضاً : أبو الفرج الأزرق ، وله رسالة بعنوان (تسهيل المنافع في الطب والحكمة) .

— أشكال الجماع :

— وللجماع أشكال كثيرة يجهلها كثير من الأزواج ، وقد تشكو بعض النساء من مرور السنوات ولا يتغير شكل الجماع عند الرجل مما يصيب المرأة بنوع من الملل والرتابة في العملية الجنسية ، وتفتقد المتعة عندها ، وقد تقدم الحديث عن عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — في بيان بعض أشكال الجماع ، ولا حرج في بيان وشرح هذه الأشكال بنوع تفصيل وبيان ، فإنه إذا لم يجد الشاب والزوج المسلم شرح هذا الحديث وتفصيله في كتاب إسلامي فأين يجده ؟ وأين يسأل الشاب المسلم المقبل على الزواج الذى يجهل مثل هذه الأمور ، الذى يصون نفسه عن "الدش" والمجلات والأفلام الجنسية ، أنى لهذا الشاب أو الزوج أن يعرف مثل هذا الأمور ؟

— وهذ طائفة من أقوالهم في هذا الشأن ، التى تشرح الأشكال المتقدمة في حديث عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — ، فمما قالوا (١) :

— قالوا : فأول ذلك وهو الباب العام الذى تستعمله أكثر الناس ومنهم من لا يعرف غيره ، وهو الإستلقاء ، وهو أن تستلقى المرأة على ظهرها وترفع رجليها إلى صدرها ويقعد الزوج بين فخذيها مستوفزاً قاعداً على أطراف أصابعه ولا يهمز على بطنها بل يضمها ضمّاً شديداً ويقبلها ويمص لسانها (٢) وبعض شفتيها ويولج فيها ويسله — يخرجها — ويدفعه ، ولا يزال فى رهز (٣) ودفع حتى يفرغا .
— الثانى : ومن الإستلقاء أيضاً : أن يضع الزوج فخذه الواحد بين فخذيها ويجمعهما .
— الثالث : أن تستلقى المرأة ويضع رجليها على كتفيه ثم يدخل الزوج يده تحت فخذيها ويجمعهما ويشبك أصابعه .

(١) وقد تصرفت في بعض النصوص بحذف الكلمات الإباحية .

(٢) روى أحمد في مسنده أن النبى — صلى الله عليه وسلم — : "كان يُقبّل أم المؤمنين عائشة ويمص لسانها" .

(٣) الرهز : أى الاهتزاز .

(١٩٣/١)

— الرابع : أن يجمعهما ورجلاها مبسوطتان للأمام — أو لأعلى ممسكاً بركبتها مضموتين — وتضع إحدى قدميها على الأخرى .

— الخامس : أن تستلقى المرأة ثم تضع باطن قدميها على صدره وتجمع يديها في فقاها فتجذبه إليها حتى تنثنى هى فتصير ركبته ملتصقة بصدرة وذكره في فرجها .

— السادس : أن تستلقى المرأة وتبسط إحدى رجليها فيجلس الزوج على فخذه المبسوط وترفع

رجلها الأخرى منصوبة إلى أعلى ما استطاعت .

— السابع : أن تستلقى المرأة ثم تضع قدمها على خاصرة الزوج ويأخذ هو عنقها إليه .

— الثامن : أن يستلقى الزوج على ظهره ويثنى ركبتيه قليلاً ثم تأتي هي فتجلس على ذكره وظهرها إليه وقد فرّجت بين فخذيها ووضعتهما خارج فخذيها وتستند بيديها من وراء ويد الزوج على خصرها ليساعدها، فتقوم عنه وتزل .

— التاسع : وهو كالسابق إلا أن المرأة تفرج بين فخذيها وتضع باطن قدميها على أعلى ركبتي الزوج .

— العاشر : وهو أن تضع المرأة تحت عجزها (١) مكدتين حتى يرتفع حرها (٢) ثم يجلس الزوج على صدرها وظهره مقابل وجهها ، ثم تأخذ المرأة إبهامي رجلها بيديها وتجذبهما إلى نفسها جذباً شديداً نحو رأسها حتى يصير الزوج جالساً على رجلها ، فإنها إذا رفعت رجلها رفعاً عظيماً برز فرجها كله ، فيولج الرجل إيره (٣) فيها وهو يشاهد عجزها ، وهذا مما يزيد في قوة شهوته .

— الحادي عشر : وهو أن تنام المرأة بصدرها على شيء مرتفع يصل إلى وسطها (كالمكتب مثلاً) ، ثم ترفع إحدى رجلها عليها وتقف على الأخرى ، ويجامعها الزوج وهو من خلفها ، في محل الجماع .

— الثاني عشر : وهو يستلقى الزوج على ظهره ويمد ساقيه مدّاً مستويّاً ، ثم تأتي المرأة فتجلس على فخذيها وبطنه متربعة وتولج فيه مع الحركة للأمام والخلف ، يميناً ويساراً .

(١) أردافها .

(٢) فرجها .

(٣) أى : ذكره .

(١٩٤/١)

— الثالث عشر : وهو أن يستلقى الزوج كالسابق ، ثم تأتي المرأة فتجلس على الذكر ، كجلوسها لقضاء الحاجة ، ثم تفعل كالسابق .

— في القعود :

الأول : وهو أن تقعد المرأة والزوج متقابلين متواجهين ثم يحل الرجل سراويل المرأة بيده ويخليه في خلخالها ثم يلفه ويرميه فوق رأسها على رقبتها ، فتبقى مثل الكرة ثم تستلقى على ظهرها ، فيبقى فرجها ودبرها متصدرين ، ثم يجامعها .

— الثاني : وهو أن يقعد الزوج ويمد رجله مدّاً مستويّاً ، وتأتي المرأة مواجهة له فتجلس على أفخاذها ويدخل إيره فيها .

— الثالث : أن يتربع الزوج ويقوم إيره وتقع المرأة عليه ووجهها إليه وفمها إلى فمه ويرشف ريقها أو يقبل عينيها وأذنيها ويضمها إليه .

— الرابع : أن يقعد الزوج ويمد رجله الواحدة مستوية والأخرى قائمة وتأتي المرأة فتقعد عليه وهي مستديرة بوجهها وتمد رجلها وهي قائمة عنه قاعدة عليه .
— في الاضطجاع :

الأول : أن تضطجع المرأة على جنبها الأيسر وتمد رجلها مداً مستويًا وتدير وجهها إلى ورائها ويأتيها الزوج من خلفها ويلف ساقه على فخذيها ويمسك صدرها بيده ، وتحت بطنها بيده الأخرى .
— الثاني : أن تنام المرأة على جنبها الأيسر وتمد رجلها مداً مستويًا وتدير وجهها إلى ورائها ، ثم تجعل فخذيها بين فخذيها ويحكه بين شفريها ثم يولجها فيها .

— الثالث : أن تضطجع المرأة وتدير وجهها ويضطجع الزوج خلفها ورجله الواحدة مثنية والأخرى بين فخذيها .

— الرابع : أن تضطجع المرأة على الجنب الأيمن وتمد رجلها مداً جيداً والزوج كذلك على إحدى فخذيها والأخرى بين فخذيها ويبل إيره ويحكه حكاً جيداً إلى أن يحس بالإنزال فيطبقه قوياً .
— الخامس : أن تنام المرأة وتمد رجلها والزوج كذلك على جنبه الأيمن ويخالف بين رجلها ثم يولجها فيها فإذا قارب الإنزال يخرجها قليلاً ثم يولجها فيها .

(١٩٥/١)

— السادس : أن يتكى الزوج على جنبه الأيسر وتتكى المرأة على جنبها الأيمن وتضع عجزها في حجر الزوج وتجعل رجلها الشمال من فوق ورجلها اليمنى من تحت إبطها الأيسر ويولجها إيلاجاً عفيفاً .
— في الانبطاح :

الأول : ترقد المرأة على وجهها وتمد رجلها مستويًا ويجلس الزوج على فخذيها ثم يولجها فيها .
— الثاني : ترقد المرأة على وجهها ثم تثني ركبتيها الواحدة إلى صدرها وترفع عجزها جيداً ويأتيها من خلفها .

— الثالث : تلصق خدها بالفراش ويأتي الزوج فيمسك خصرها ويولجها فيها .
— الرابع : تنبطح على وجهها وينبطح الزوج عليها ويجعل ساقه بين ساقها ويده في خصرها والأخرى في بطنها وفمه في فمها .

— الخامس : تنبطح على وجهها وترفع عجزها — وتلصق صدرها بالأرض تارة ، وتارة ترفعه — ويأتي الزوج فيجلس من خلفها ويولجها فيها ، ويمسك رؤوس أكتافها تارة ، وذوائب شعرها بقوة تارة وبرفق

أخرى ، وتارة يقبل فمها ، وتارة يضرب على مؤخرتها فيزيد من إثارتها ، وتارة اعلى مؤخرتها ليعجل بإنزالها .

— فى الانحاء :

الأول : تنحنى المرأة على أربع كأنها راكعة ثم يأتى الزوج فيمسك بيده اليمنى خاصرتها اليمنى واليسرى باليسرى ويجذبها بخواصرها قليلاً قليلاً .

— الثانى : أن تنحنى المرأة على ركبتيها ويلزمها الزوج من خلف وتلتفت إليه وتعطيه لسانها يمسه (١) ثم تقبض إيره وتولجه .

— الثالث : تنحنى المرأة على الفراش بصدرها وركبتيها على الأرض ثم يأتى الزوج من خلفها ويجامعها .

— الرابع : تنحنى المرأة وتلصق بطنها بفخذيهما ويجامعها زوجها ويمسك ذوائبها .

— الخامس : تنحنى المرأة وهى قائمة حتى تمسك المرأة بأصابع قدميهما ويأتى الزوج من خلفها ويولج فيها .

(١) ومص لسان الرجل زوجته — والعكس — مما يزيد فى شهوة الرجل والمرأة ويؤدى إلى النعاط الذكر ، ويزيد فى شهوتها .

(١٩٦/١)

— السادس : تنحنى المرأة على أربع وتفتح ساقيهما ويدخل الزوج ساقه الواحدة بين فخذيهما ويمد الأخرى وراءه .

— السابع : تنحنى المرأة على أربع وتشبك على صدرها وتضم ركة وتمد أخرى ويأتيها الزوج .
— فى القيام :

الأول : أن تقوم المرأة والزوج فيضم كل منهما صاحبه إلى صدره ضمّاً شديداً ثم تتعلق المرأة به وتمد يدها فتأخذ إيره وتريقه بريقها وتولجه فى فرجها إيلاجاً حسناً بلطافة وهو مع ذلك يمر فى أعكافها وهودها وتقبله ، وترفع إحدى رجليها وتمكنه من نفسها .

— الثانى : أن تقوم المرأة وظهرها إلى الحائط فيأتيها الزوج فيرفع إحدى رجليها حتى تبقى أعلى منه ويبين فرجها ويدخله بين أفخاذها ويسند فخذها الواحد على الحائط .

— الثالث : أن تقوم المرأة على قدميهما وتستند إلى الحائط دائرة بوجهها إليه وتبرز عجزها حتى يبدو ما بين رجليها ويأتيها الزوج ويمسك بيده اليمنى صدرها ويده اليسرى على بطنها .

— الرابع : أن تقف المرأة والزوج وجهاً لوجه ويقبلها ويمص لسانها ، ثم يرفع الرجل إحدى رجليها إلى خصره ثم يولجها فيها ، ثم يرفع رجلها الأخرى على خصره الثاني ويديه تمسك بخواصرها ، أو تحت إلتها ، ويديها على رقبته .

— الخامس : أن تجعل وجهها إلى الحائط وتبرز عجزها وتستند على الحائط بيدها وتفتح ساقها ويقف الرجل بين ساقها ويأتيها .

— السادس : أن تقف المرأة وظهرها إلى الحائط ويقف الرجل ووجهه إليها ثم يثنى ركبتيه ويلصقهما بالحائط والمرأة بينهما ، ثم تخرج المرأة رجلها خارج ركبتيه ثم تجلس عليهما فيجامعهما وهي على تلك الحالة (١) .

(١) علامات النساء لأحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) بتصرف ، والروض العاطر للقاضي النفزاوى .

(١٩٧/١)

— فهذه بعض أقوالهم فى أشكال الجماع ، وقد تصرفت فيها بالتقديم والتأخير ، بالزيادة أو النقصان ، والحذف للألفاظ الفاضحة والتي قد تخدش الحياء ، وسيأتى بعض ما ورد فى كتبهم فى ثنايا الكلمات الآتية ، مع الإشارة وإسناد كل قول إلى قائله ، هذا وليختار الزوج مما تقدم ما يناسبه ، ولا يتقيد بهذه الأشكال فقط بل له أن (يبتكر) ويجدد من حياته الجنسية ، وكلما جدد الرجل فى العملية الجنسية دفع الملل والرتابة عنها (١) .

— فإن قيل : لما كل هذه الإطالة وكان يكفيك التلميح دون التصريح كما فى بعض الكتب الفقه ونحوها ؟

— الجواب : تقدم أن البعض إذا قرأ شرح الآية أو الحديث استعجمت عليه بعض ألفاظه ، ولا يفهم منها معنى وتفسير "محبية" أو "مدبرة" أو "مقبلة" أو "من دبرها فى قبلها" .

— فإن قيل : إنما نخاف عليك أن يقال أن هذا الكلام لا يحق له أن يحتويه كتاب إسلامى ، وأولى به كتب الجنس ؟

— الجواب : أقول : إذن هى دعوة لكل شاب يلتزم بدين الله تعالى قد صان نفسه عن "الدش" وأفلام الجنس أن يشتري تلك الكتب الجنسية (المصورة أو المرسومة ، التى عجت بها الأرصفة) ليتعلم منها فن المعاشرة الجنسية عند إقدامه على الزواج ! فهل يقول هذا قائل ؟ ، وهل كانت كتب الفقه كتب جنس وقد حوت مثل هذا الكلام وأكثر ، وهل كان الإمام الشافعى أو القرطبى أو ابن القيم أو الإمام مالك

والإمام الأعظم وغيرهم ليسودوا كتبهم بمثل هذا الكلام إلا لحاجة الناس إليه ، وما اهتمهم أحد بأن كتبهم جنسية ! ، إلا أنها منشورة فجمعت بعضها في مكان واحد لحاجة الكتاب إليه وصلته به .
— فإن قيل : إننا لم نر مثل هذا في كتب من تكلم في أحكام الزواج والزفاف من المعاصرين ؟

(١) ولا أقول أن على الزوج أن يقوم بكل تلك الأشكال أو يتقيد بها ، ولا يعنى أن من يقوم بها كلها أو بعضها قوى أو ضعيف جنسياً .

(١٩٨/١)

— الجواب : ولذلك عزف الشباب عن شراء مثل تلك الكتب التي عجت بها المكتبات وطفحت بها الأرصفة ، وإذا ابتاع أحدهم كتاباً يتحدث عن أحكام الزواج لم يجد فيه ما يشفى علته من بحث مستفيض في هذا الأمر ، وكم عانينا من مشكلات منشأها الفراش والجهل بهذا الفن في الحياة الزوجية ، وقد تقدم بيان من ألف في هذا الشأن من سبق ، وتقدمت بعض كلماتهم .
هذا وافتقاد البعض للثقافة الجنسية ، واعتبار أن المسألة الجنسية من المسائل التي لا يجب الخوض فيها ، واعتبارها من المناطق المسورة المحرمة عند الكثير ، فلا يجب الاقتراب منها ، واستحياء الزوجين الرجل والمرأة (خاصة) من الحديث في هذا المسألة ، والخجل من الإفصاح عن المشكلة الجنسية عندهما أو أحدهما ، ومحاولة التكنم عليها ، فيظهر التوتر في العلاقة الجنسية بين الزوجين ، وتظهر بعض المشاكل على السطح دون الخوض في المسألة الجنسية بينهما ، كل هذا وغيره أدى بدوره إلى سقوط الزوجين في شباك الطلاق دونما أن يفصح أحدهما عن السبب الأصلي للمشكلة (فن الجنس) سواء كان للحرص أو لفقد الثقافة الجنسية .

(١٩٩/١)

— الله يعلم إنى استمعت إلى الكثير والكثير من شكاوى الرجال والنساء الزوجية ، وأكثرها أو جلّها منشأها الفراش والحياة الجنسية بين الزوجين ، وهو ما حدا بي إلى الحديث بهذه الكيفية (١) ، وأنا لا أرى حرجاً في هذا ، وقد تقدم حديث عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — في بيان شرح الآية (٢) ، إلا أنى زدت الأمر بياناً وتفصيلاً من كتب من تكلم في هذا الشأن .

(١) كما أن من أهم الدواعي إلى الكتابة بهذه الكيفية والإتيان ببعض كلمات من سبق في الشأن ما

يعانيه الكثير من أهل العلم ، أو من يتوسم الناس فيهم هذا ، فيطرح الرجل السؤال على الشيخ أو الداعية — أو هاتفيًا — فيتصعب وجه الشيخ عرقاً خجلاً وحياءً — ولم يرد في حديث ابن عباس رضی الله عنهما ، أن أحداً الصحابة أو بعضهم تصيب وجهه عرقاً فضلاً عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو يشرح الآية ، وإنما نشأ هذا من السور المضروب حول هذه المسائل ، " والأمية الدينية " حتى إذا تكلم فيها بعضهم اقم في دينه ! ، وكم عانينا من هذه الأمور وكم من حرج وقع فيه البعض ، وكم تممة الصقت ببعضهم ، لأنه شرح آية أو حديث أو أجاب السائل بنوع تفصيل — والسائل إنما يسأل لحياته وسعادته وحفاظاً على بيته وأسرته ، كما لم نجد حرجاً وقع فيه بعض الأئمة ممن تحدثوا في مثل هذه الأمور — كالإمام مالك في جوابه عن النخري ، وأبي الحسن بن القطان وابن عباس في الضرب على فرج المرأة وغيرهم كما سيمر بك — ، فلذلك وغيره أردت أن أغلق باب الحرج الذي يقع فيه بعضهم بهذه الكلمات التي تشفى علة الرجل والمرأة وتتنا بالجميع عن السؤال ، فسيرى في هذا الكتاب إجابة كل سؤال يرد عليه .

(٢) ولا يكاد يمر على يومان أو أكثر إلا وأجد السؤال (من الحرفي أو أستاذ الجامعة أو المقدم على الزواج) حول تفسير الآية أو الحديث مكتوباً أو مسموعاً .

(٢٠٠/١)

— "وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشاً لها بعد الملاعبة والقبلة وبهذا سميت المرأة فراشاً كما قال — صلى الله عليه وسلم — : "الولد للفراش" (١) وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة كما قال تعالى : (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء : ٣٤) ، وكما قيل :

إذا رمتها كانت فراشاً يقلني * وعند فراغي خادم يتملق

وقد قال تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) (البقرة : ١٨٧) ، وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال فإن فراش الرجل لباس له وكذلك لحاف المرأة لباس لها فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر ، وفيه وجه آخر وهو أنها تنعطف عليه أحياناً فتكون عليه كاللباس قال الشاعر :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها * تثنت فكانت عليه لباساً (٢)

— أردأ أشكال الجماع :

"وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة ويجامعها على ظهره ، وهو خلاف الشكل الطبيعي الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة ، بل نوع الذكر والأنثى ، وفيه من المفاصد أن المنى يتعسر خروجه كله فربما بقي في العضو منه فيتعفن ويفسد فيضرب ، وأيضاً فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج ، وأيضاً فإن الرحم لا

يتمكن من الاشتغال على الماء واجتماعه فيه وانضمامه عليه لتخليق الولد ، وأيضاً فإن المرأة مفعول بما طبعاً وشرعاً وإذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع ، وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون هو أيسر للمرأة ، وكانت قريش والأنصار تشرح النساء على أفقائهن فعابت اليهود عليهم ذلك فأنزل الله - عز وجل - : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) .

(١) تقدم .

(٢) زاد المعاد : (٢٤٩\٤) .

(٢٠١/١)

وفي الصحيحين عن جابر قال : "كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ فَتَزَلَّتْ (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) ، وفي لفظ للإمام لمسلم : "إِنْ شَاءَ مُجَبِّبَةً وَإِنْ شَاءَ غَيْرَ مُجَبِّبَةٍ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ" (١) .
والجبية المنكبة على وجهها ، والصمام الواحد الفرج ، وهو موضع الحرث والولد (٢) .

— فماذا إذن عن مقدمات الجماع ؟

قال تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) : قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ) أى : بالقبلة واللمسة والكلمة والمداعبة ، وفي حديث أم زرع تقول إحداهن : "زوجي عيائاً طبقاء" ومما قيل في تفسير "طبقاء" : أن زوجها كان يأتيها كالبيت يقع مطبقاً على أهله دون تقديم بالقبلة أو اللمسة أو الكلمة .

— "ذكر الهندي من الحادثة والمزاح فقال : الجماع بلا مؤانسة من الجفا، فإنه يجب على الرجل أن يتحلى بالفضيلة التي خصه الله بها وزينه بكمالها في النكاح ليميز عن البهائم وينفرد عنها ويباينها في انهماكها عليه ، وتهجمها في فعله ، فلو لم يكن في الحادثة والمزاح إلا هذه الفضيلة لوجب استعمالها ، فكيف وهما يزيلان الخجل ويسيطان بشرة الوجه ويبعثان الأنس ، وفيهما ما هو أجل من ذلك وهو أن الإنسان إذا مد يده إلى من يريد الدنو منه وهو مخاطب له وذاك مستمع له كان أنقص لحياته وأنفى للخجل عن صاحبه ، لاشتغال فكرته بما يورده عليه من الخطاب ، ولأنه غير مخلى مع فكرته فتتوفر على تأمل ما يدعى له ، والتفقد لما يراد منه فيستحي لذلك ويخجل ، وهذا أمر ليس بصغير الفائدة" (٣) .

— القبلة يريد الجماع :

(١) أخرجه البخارى (١٥٤\٨) ومسلم (١٥٦\٤) .

(٢) زاد المعاد (٢٥٤\٤) بتصرف .

(٣) علامات النساء لأحمد بن سليمان .

(٢٠٢/١)

واعلم أن القبلية أول دواعى الشهوة والنشاط وسبب الإنعاض والإنتشار ، ولا سيما إذا خلط الرجل ما بين قبلتين بعضه خفيفة وقرصة ضعيفة واستعمل المص والنخرة والمعانقة والضممة ، فهناك تتأجج الغلتمان وتتفق الشهوتان وتلتقى البطنان وتكون القبل مكان الاستئذان ، واستدلوا بالطاعة على حسن الانقياد والمتابعة ، وذلك أن السبب فى شغف الإنسان بالتقبيل إنما هو لسكون النفس إلى من تحبه وتهواه ، فلذلك قالوا : القبلية بريد الجماع .

وقالوا أن ألد القبل قبلية ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ، ولسان المرأة فم الرجل ، وذلك إذا كانت "المرأة" نقية الفم طيبة النكهة ، فإنها تدخل لسانها فى فم الرجل فيجدد بذلك حرارة الريق وتسرى تلك الحرارة والتسخين إلى ذكر الرجل وإلى فرج المرأة فيزيد ذلك شبقهما وغلتهما ويقوى شهوتهما ، فيزداد لونهما صفاء وحسناً .

وقيل أن ذلك الريق والحرارة يتحفان الجسم ويزيدان فيه كزيادة الزرع المزروع فى الأرض الزكية ويروى من الماء العذب بعد العطش .

وقيل : إن المنفعة فى التقام "الزوج" لسان "الزوجة" شد عصب الباه وكثرة وزيادة فى شبق "زوجه" وغلتهما وانتشارها .

(٢٠٣/١)

وقال آخر : أن المنفعة فى التقام "الزوج" لسان "زوجه" وشده ومصه إياه وعضه عليه أن يصيب لسان "الزوج" نداوة وحرارة فتتحدر تلك النداة وحرارة من لسانه إلى إيره ، وتنفع المرأة بهذا الصنع كانتفاع الرجل بالنساء وعشقه لهن ، فإنه يدعو به إلى إفراط الشهوة وشدة الشبق وغلبة الحرص إلى أن لا يرضى بالتقبيل دون أن يدخل لسانها فى فمه ثم يمص ريقها ، ولا يرضى حتى يشم حرها (١) ويدخل لسانه فيه (٢) .

— قالوا : التدبير فى الجماع على وجهين : أحدهما : علوى والآخر سفلى .

فأما العلوى : فالمعانقة والتقبيل والعض والمص والغمز .
وأما السفلى : إدخال الأصابع فى الفرج وجس ما حوله ، وكذلك فى السرة وتغدغة أعلى الفخذين .
وقال الحكيم : لا تجماع امرأتك أول ما تلقيها ، بل ربّضها ساعة ولا عبها وشمها واحضنها ، فإنك إن فعلت هذا حين الإلقاء كان ذمّاً ونقصاً .
— فائدة : قالوا : أما محل التقبيل فالخدان والشفتان والعينان والجيبة والعجز والصدر والثديان .
وأما موضع الشم : فطرف المنخرين ، وحوالى العينين ، وباطن الأذنين ، والسرة وباطن الفرج فالخاصرتان .
وأما موضع العض : فالودجان والأذنان وباطن الشفة والأرنبه والجيبة .
وأما موضع الحك بالأظفار : فباطن القدمين وباطن الفخذين ، والساعدين ، وفيما بين السرة والفرج ، ولا يفعل ذلك إلا بامرأة بطينة الإنزال .

(١) فرجها .

(٢) السابق ، وقال القرطبي فى تفسيره (٢٣٢\١٢): وقد قال "أصبغ" من علمائنا : يجوز له أن يلحسه بلسانه ، وفى "كشاف القناع" (١٨٩\٥) : " وليس لها أى الزوجة استدخال ذكره وهو نائم فى فرجها بلا إذنه لأنه تصرف فيه بغير إذنه ، ولها أى الزوجة لمسه وتقبيله بشهوة ولو نائماً ، وقال القاضى يجوز تقبيل فرج المرأة قبل الجماع ، ويكره بعده لتعذره إذن " .

(٢٠٤/١)

وأما المص : فشفتها وأعلى وجنتها وموضع خالها وحوالى ثدييها ولا يفعل ذلك إلا وهى مفرجة الرجلين فإن ذلك أسرع لإنزالها (١) .

— فما هى الأحوال التى يُستطاب فيها الجماع ؟

— أما الأحوال التى يستطاب فيها الجماع : "فاعلم أن للنساء أحوالاً توافق الرجال مجامعتن فيها ولها فضل على سائر الأوقات ، قال علماء الباه : أن أوفق الأشياء للنساء الجماع عند السقم ، فإن فيه صلاحاً لأجسامهن ومدواة لها وهو أشدّ لمن ملائمة من الحقن وأخلاط الأدوية الشافية ، وهو يكسب المرأة زيادة فى العمر ، ومنها أن يجامع المرأة إذا فرغت بأمر دهمها ترتاع له فيسكن عند ذلك ويزول . وقال أصحاب علم الباه : إذا طهرت النفساء وتنظفت مما تجد عند الولادة فاعجل بمواقعها فإنه أصلح لها وأصحّ لنفسها ولما تعبت وجاهدت فى ولادتها وأنفع ، وفى صحتها أبلغ وأنجع .
زعمت الهند أن "المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسنها وأدق وأعتق صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفى

البطن الثاني من حملها" (٢) .

— فما هي أنفع أوقات الجماع (٣) ؟

— أنفع أوقات الجماع : "وأنفع الجماع ما حصل بعد الهضم وعند اعتدال البدن في حره وبرده ويؤسته ورطوبته وخلاته وامتلائه ، وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة وعند حرارته أقل منه برودته وإنما ينبغي أن يجامع إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف ولا فكر في صورة ولا ونظر متتابع ولا ينبغي أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلفها ويحمل نفسه عليها وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المنى واشتد شبقه .

(١) علامات النساء لأحمد بن سليمان المتوفى سنة (٩٤٠) ، بتصرف .

(٣) ومن أنفع أوقات الجماع ما كان بعد الاستيقاظ من النوم خاصة بعد صلاة الفجر .

(٢٠٥/١)

وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي لا يوطأ مثلها والتي لا شهوة لها ، والمريضة ، والقيحة المنظر ، والبغيضة، فوطء هؤلاء يوهن القوى ويضعف الجماع بالخاصية ، وغلط من قال من الأطباء : إن جماع الشيب أنفع من جماع البكر وأحفظ للصحة ، وهذا من القياس الفاسد حتى ربما حذر منه بعضهم ، وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة .

— وفي جماع البكر من الخاصية وكمال التعلق بينها وبين مجامعها وامتلاء قلبها من محبته وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره ما ليس للشيب ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لجابر : "أَلَا تَزَوَّجْتَهَا بِكَرًّا ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ" (١) ، وقد جعل الله سبحانه من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين أنهن لم يطمثن أحد قبل من جعلن له من أهل الجنة وقالت عائشة للنبي - صلى الله عليه وسلم - : "أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا وَوَجَدَتْ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيَّهَا كُنْتَ تُرْتَعُ بِعَيْرِكَ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعُ مِنْهَا تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرًّا غَيْرَهَا" (٢) .

وجماع المرأة المحبوبة في النفس يقل إضعافه للبدن مع كثرة إستفراغه للمنى وجماع البغيضة يحل البدن ويوهن القوى مع قلة إستفراغه وجماع الحائض حرام طبعاً وشرعاً فإنه مضر جداً والأطباء قاطبة تحذر منه (٣) .

— هل هناك جماع ضار ؟

(١) أخرجه البخارى (٢٠٠٨\٥) ومسلم (١٧٦\٤) .

(٢) تقدم .

(٣) انظر : زاد المعاد (١٤٩\٤) .

(٢٠٦/١)

— الجواب : نعم "الجماع الضار نوعان : ضار شرعاً وضار طبعاً ، فالضار شرعاً : محرم وهو مراتب بعضها أشد من بعض والتحریم العارض منه أخف من اللازم كتحریم الإحرام والصيام والاعتكاف وتحریم المظاهر منها قبل التكفير وتحریم وطء الحائض ونحو ذلك ولهذا لا حد في هذا الجماع .

وأما اللازم فنوعان : نوع لا سبيل إلى حله البتة كذوات المحارم فهذا من أضر الجماع وهو يوجب القتل حداً عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره .

والثاني ما يمكن أن يكون حلالاً كالأجنبية فإن كانت ذات زوج ففي وطنها حقان حق الله وحق للزوج فإن كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق فإن كانت ذات محرم منه صار فيه خمسة حقوق فمضرة هذا النوع بحسب درجاته في التحريم .

— وأما الضار طبعاً فنوعان أيضاً : نوع ضار بكيفيته كما تقدم ، ونوع ضار بكميته كالإكثار منه فإنه يسقط القوة ويضر بالعصب ويحدث الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر وسائر القوى ويطفىء الحرارة الغريزية ويوسع المجارى ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية .

وأنتفع أوقاته ما كان بعد انقضاء الغذاء في المعدة وفي زمان معتدل لا على جوع فإنه يضعف الحار الغريزي ولا على شبع فإنه يوجب أمراضاً شديدة ولا على تعب ولا إثر حمام ولا استفراغ ولا انفعال نفساني كالغم والهم والحزن وشدة الفرح .

وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انقضاء الطعام ثم يغتسل أو يتوضأ وينام عليه وينام عقبه فتراجع إليه قواه وليحذر الحركة والرياضة عقبه فإنها مضرة جداً" (١) .

— فما هي مضار الجماع ؟

(١) زاد المعاد (٢٥٤\٤) بتصرف .

(٢٠٧/١)

— "اعلم يرحمك الله أن مضرات الجماع كثيرة قيدنا هنا ما دعت إليه الحاجة وهى : النكاح واقفاً يهدّ الركائب ، ويورث الرعاش ، والنكاح على جنب يورث عرق النسا ، والنكاح على الفطر قبل الأكل يقطع الظهر ، ويقلل الجهد ويضعف البصر ، والنكاح فى الحمام يورث العمى ويضعف البصر ، وتطليع المرأة على الصدر حتى يتزل المنى وهو ملقى على ظهره يورث وجع الصلب ووجع القلب ، وإن نزل شئ من ماء المرأة فى الإحليل أصابه الأرقان وهى التقلّة ، وصد الماء عند نزوله يورث الحصى ويعمل الفتق ، وكثرة الحركة وغسل الذكر بقوة عاجلاً بعد الجماع يورث الحمرة ، ووطء العجائز سم قاتل من غير شك .

وكثرة الجماع خراب لصحة الأبدان ، لأن المنى يتزل من خلاصة الغذاء كالزبد من اللبن ، فإذا خرج الزبد فلا فائدة فى اللبن ولا منفعة ، والمتولع به يعنى النكاح من غير مكابدة لأكل المعاجين والعقاقير واللحم والعسل والبيض وغير ذلك يورث له خصائل :

الأولى : تذهب قوته .

الثانية : يورث له قلة النظر إن سلم من العمى .

الثالثة : يربى له الهزال .

والرابعة : يربى له رقة القلب ، إن هرب لا يمنع وإن طارد لا يلحق وإن رفع ثقلًا أو عمل شغلًا يعنى فى حينه .

وتدبير ابن آدم ومنافعهم ومضراتهم مجموعة على سبيل الاختصار فى هذه الأبيات :

توقّ إذا ما شئت إدخال مطعم.....على مطعم من قبل فعل المواضع

وكل طعام يعجز السن مضغه.....فلا تبتلعه فهو شر المطاعم

ولا تشربن على طعامك عاجلاً.....فتفقد نفسك للبلوى بزمايم

ولا تحبس الفضلات عند اجتماعها.....ولو كنت بين المرهفات الصورام

ولا سيما عند المنام فدفعها.....إذا ما أردت النوم الزم لازم

وجدد على النفس الدواء وشربه.....وما ذاك إلا عند نزول العظام

ووفر على النفس الدماء لأنهما.....لصحة الأبدان أشد الدعائم

ولا تك فى وطاء الكواعب مسرفاً.....فإسرافنا فى الوطاء أقوى الهوام

ففى وطننا داء ويكفيك أنه.....لماء حياة مورق فى الأراحم

وإياك إياك العجوز ووطئهافما هي إلا مثل سم الأرقام
وكن مستحماً كل يومين مرة.....وحافظ على هذى الخصال وداوم
بذاك أوصاك الحكيم بيادقأخو الفضل والإحسان خير الأعاجم(١)
— فهل هناك فوائد للجنس ؟

— نعم ، يخطئ كثير من الناس عند ظنهم أنه لا يتأتى من الجنس إلا الضرر فقط ، ولا فائدة فيه ، كيف
وقد شرع الله تعالى الجماع ؟! وهو تعالى إنما يُشَرِّع لعباده ما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة
، وقد دخل الجنس معامل التحاليل وخضع للتجارب والفحوصات في محاولة من العلماء للبحث عن
فوائد الجنس ، ولقد خرجت علينا التحاليل والأشعات تبين لنا ما هي فوائد الجنس المتعددة ، وما أغرب
ما كشفت عنه الأبحاث : يقول الدكتور مايكل كريجليانو الأستاذ بكلية طب بنسلفانيا عن العملية
الجنسية : أنها نوع من التمارين الرياضية ، ويصف كل حركة على حدة ، وكيف أنها حركة عضلية
مفيدة ، ويقول : إن مجموع هذه الحركات هو بمثابة جهد رياضي ممتع ، ويمثلها بالأهرامات ، وكيف
إذا نظرنا إلى كل حجر من أحجار الأهرامات منفرداً على حدة لن ينبهر به الرائي ، ولكن إذا نظرنا
إليها نظرة شاملة كاملة انبهرنا بهذا التنظيم وغمرنا الإعجاب .

يقول الدكتور مايكل : إن من يمارس الجنس ثلاث مرات إسبوعياً بصفة منتظمة : يحرق (٧٥٠٠) سعر
حرارى كل عام ، وهو ما يعادل المشى مسافة (٧٥) ميلاً ! .

وهذا هو سرّ تسمية الفرنسيين للحظة النشوة بـ "الموت الصغير" قالوا : لأنه يؤجل الموت الكبير
ويطيل العمر ، بعكس الاعتقاد السائد بين الناس أن الجنس يعجل بالشيخوخة والمرض والضعف ،
وذلك لأن الجنس يقلل من نسبة الكولسترول قليل الكثافة والذي يمثل خطراً على الشرايين ، وهو —
الجنس — يكثر من نسبة الكولسترول العالى الكثافة ، فهو الميزان الذى يعالج النسبة بينهما .

(١) الروض العاطر للنفراوى .

(٢٠٩/١)

ويقول الدكتور كارين دونهاى بكلية طب جامعة نورث ويسترن : إن أى نوع من الجهد البدنى يسبب
زيادة فى هورمون "التستسترون" والجنس ليس استثناء من ذلك وهذا الهورمون يساعد مساعدة فعالة
فى بناء العظام والعضلات ، بعكس ما يظنه الكثير أن للجنس آثاره الجانبية على "العظام" وخاصة
"المفاصل" ! .

وهذا "هورمون" إذا زاد بالممارسة الجنسية عند المرأة فإنه يحمي القلب ويحافظ على أعضائها التناسلية

ويؤدي إلى حيوية الأعضاء عامة ونشاط الدورة الدموية عندها ! بل وهو يخفف من الألم المصاحب للدورة الشهرية ! .

ويقول الدكتور بفرلى وهيبيل الأستاذ المساعد بكلية التمريض جامعة روتجرز : توجد دلائل كثيرة على أنه أثناء الجنس تنطلق مواد فعالة تُسمى "قاتلي الألم" ! وفي لحظة النشوة تزداد درجة احتمال الجسم للألم ، كما أن الجنس يساعد على تخفيف ألم المفاصل (١) ! والصداع ! وقال البعض عن تخفيف الجنس للصداع : أن "مواد الإندورفين" ومخففات الألم التي تنطلق أثناء الجماع هي المسئولة عن تخفيف الصداع ، وقال بعضهم : إن الدم المتدفق أثناء الجماع وسرعته هي التي تخفف الضغط عن المخ وهو المسئول عن تخفيف الصداع ! .

وقالوا : ليس صحيحاً أن الجنس هو المسئول عن ألم البروستاتا ، بل العكس هو الصحيح ، ففي لحظة النشوة تضغط العضلات المحيطة بالبروستاتا عليها وكأنها تعصرها عصاراً لتفرغها من السائل الذي سيصاحب السائل المنوي ! فهو — الجنس — عامل مساعد لتحسن عمل البروستاتا وليس إضعافها . إلى غير ذلك الكثير مما كشفه العلم الحديث عن أثر الجنس في حياة الناس وفوائده الكثيرة . — هل هناك أمور يستحسن الأخذ بها عند الجماع ؟ — فوائد عند الجماع :

(١) وليس كما يقال أنه يؤدي إلى ألم المفاصل وتعبها.

(٢١٠/١)

— "اعلم يرحمك الله أنك إذا أردت الجماع عليك بالطيب ، وإن تطيبتما جميعاً كان أوفق لكما (١) ، ثم تلاعبها بوساً ومصاً وتقبلياً وتقليباً في الفراش ظهرأً وبطناً حتى تعرف أن الشهوة قد قربت في عينيها (٢) ، ثم تدخل بين أفخاذها وتولج أيرك في فرجها وتفعل ، فإن ذلك أروح لكما جميعاً وأطيب لمعدتك .

قال بعضهم: إذا أردت الجماع الق المرأة إلى الأرض ولزها إلى صدرك مُقبلاً فيها ورقبتها مصاً وعضاً وبوساً في الصدر والبزازيل والأعكان والأخصار (٣) ، وأنت تقلبها يميناً وشمالاً ، إلى أن تلين بين يديك وتحلّ ، فإذا رأيته على تلك الحالة أولج فيها أيرك ، فإذا فعلت ذلك تأتي شهوتكما جميعاً . وذلك مما يقرب الشهوة للمرأة ، وإذا لم تفعل ذلك لم تنل غرضاً ولا تأتيها شهوة ، فإذا قضيت حاجتك وأردت التزول فلا تقع قائماً ولكن انزل عن يمينك برفق . ولا تشرب عند فراغك من النكاح شربة من ماء السماء فإنه يرخي القلب ، وإن أردت المعادة فتطهرا

جميعاً فإن ذلك محمود ، وإياك أن تطلعها فوقك ، فإن أخاف عليك من مائها ودخوله في إحليلك ، فإن ذلك يورث المرض (٤) ، ولا تصدن الماء فإن ذلك يورث الفتق والحصى ، والحذر بعد الجماع من شدة الحركة ، فإنها مكروهة ، ويستحب الهدوء ساعة ، وإذا أخرجت الذكر من الفرج فلا تغسله حتى يهدأ قليلاً ، فإذا هداً فاغسل عينه برفق رفقاً ، ولا تكثر غسل ذكرك ولا تخرجه عند الفراغ من الجماع فتدلكه وتغسله وتفركه ، فإن ذلك يورث الحمرة (٥) .

-
- (١) والطيب من السحر المباح الذي يغفل عنه كثير من الأزواج .
 - (٢) أى أخذت في الزوغان ، وكأنها تدمع .
 - (٣) المراد جسم المرأة كله أعلاه وأسفله .
 - (٤) وهذه الصورة من الجماع تستلذ بها المرأة جداً ، ولكن لا تكثر منها وكن على حذر مما تقدم .
 - (٥) الروض العاطر للنفراوى .

(٢١١/١)

— وصية أم لابنتها : أوصت أم ابنتها — قد جفاها زوجها وملأها وهجر فراشها — : "إني أوصيك بوصية إن قبلتها سعدت ، قالت : وما هي ؟ فقالت : انظري إن هو مد يده إليك فانخري واشخري (١) وأظهري له إسترخاء وفتوراً .

وإن قبض على جارحة من جوارحك فارفعي صوتك عمداً وتنفسي الصعداء وبرقي أجفان عينيك ، فإذا أوج إيريه فأكثري الغنج (٢) والحركات اللطيفة ، واعطيه من تحته رهزاً (٣) موافقاً لرهزه ، ثم خذي يده اليسرى فأدخلي حرفها بين اليتيك ، وضعي رأس إصبعه الوسطى على باب إستك ، ثم تحركي من تحته ، ثم أعيدى النخير والشخير ، فإذا أحسست بإفضائه فاضبطيه وعاطيه الرهز من أسفل بنخر وزفير ، وأظهري من الكلام الفاحش المهيج للباه ما يدعو إلى قوة الإنعاظ ، والصقي بطنك إلى بطنه وترافعي إليه .

(١) وهذا الخلق تفتقده كثير من النساء ، والشخير والنخير بلطافة وبصوت خافت مما يثير الرجل ويزيد في شهوة الرجل وغلمته ، وفي "كشاف القناع" (١٩٤\٥) : "وقال أبو الحسن بن القطان في كتاب أحكام النساء لا يكره نحرها للجماع ولا نخره ، وقال الإمام مالك بن أنس : لا بأس بالنخر عند الجماع ، وأراد سفهاً في غير ذلك ، يعاب على فاعله" اهـ . قلت : فهذا هو الإمام مالك على جلالته يتحدث في أدق أمور الجماع ، والمراد أنه لا بأس في نخر الرجل أو المرأة عند الجماع ، ومن فعل ذلك

في غير موضعه فقد يوصف بالسفه .

(٢) الكلام بالصوت الخافت الناعم .

(٣) الرهز : الاهتزاز .

(٢١٢/١)

وإن دخل عليك يوماً وهو مغموم فتلقه في ثوب رفيع مطيب يُظهر بدنك من تحته ، ثم اعتنقيه (١) والزميه وقلبيه ودغدغيه واقرصيه وعضيه برفق ، وشمى صدره ، وتقاصرى (٢) تحت إبطيه ، والصقى تهديك بجسده وأكثرى النخير ، وخذى يده وأدخلها في كمك ، وضعيها على بطنك ، ثم ارفعها إلى سنبله صدرك ، إلى بين ثدييك ، ودعيه يدغدغهما ، ثم أنزليه إلى بطنك ، ومرى بها على سرتك وخواصرك ، ثم أنزليها إلى فرجك ، ودعيه يلعب به كلعبك بإيره ، حتى تتجامع حركته وتهيج شهوته ، ثم أدخلى حرفها بين اليتيك ، فإن شعرت منه بالشهوة فبادرى إلى الفراش واستلقى على ظهرك واكشفي بطنك وفرجك وابرزى له عجيزتك ، واضربى بيدك على فرجك (٣) وعلى ردفك (٤) فإنه لا يملك نفسه ولا يهوى شيئاً غير مقاربتك .

وعليك يا بنية بالماء فتتظفى به وبالغى في الاستنطاف ، وكونى أبداً معدة له متى رأته نظر إليك أو قبلك فافعلى ما أوصيتك به .

(١) اعتناق المرأة للرجل من الخلف والصاقها ثدييها بظهره مما يزيد في شهوته .

(٢) أى : تجنبي .

(٣) عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس : إني تزوجت ابنة عم لى جميلة فبنى لى في رمضان فهل لى بأبى أنت وأمى إلى قبلتها من سبيل ؟ فقال له : ابن عباس هل تملك نفسك ؟ قال : نعم ، قال : قبل ، قال : فبأبى أنت وأمى هل إلى مباشرتها من سبيل ؟ قال : هل تملك نفسك ؟ قال : نعم ، قال : فبأبى أنت وأمى هل إلى أن أضرب بيدى على فرجها من سبيل ؟ قال : وهل تملك نفسك ؟ قال : نعم ، قال : اضرب . وهذه أصح طريق عن ابن عباس "الخلى" (٢١٢\٦) .

(٤) الضرب على أرداف المرأة مما يزيد في شهوتها ويشيرها ، كما أن الضرب أعلى مؤخرتها (نهاية العمود الفقري) يعجل بانزال ماءها ليتوافق مع انزال الرجل ماءه .

(٢١٣/١)

تفقدى موضع أنفه وعينه ، فلا يشم منك إلا ريحاً طيبة ، ولا يقع عينه منك على قبيح يُعاب ، فإذا أدخل إيرته فأكثرى الغنج ، ثم انخرى واشخرى وارهنزى فإن هو أمسك عن الرهنز فأكثرى أنت الرهنز (١) .

— فإن قيل : إن هذا يشبه فعل الغانيات (٢) ، وهل هناك من النساء من تفعل هذا ؟
— دائماً ما نقول : لا حرج أن تكون المرأة غانية لزوجها ، فإذا لم يجد الزوج المتعة مع أهله فأين يبحث عنها ، عند بائعات الهوى ؟ أم يتخذ لنفسه عشيقاً تروى ظمأه وشبقه ، إن هناك كثير النساء ممن يفترقن فن الجماع مما ينفر الزوج ويدفعه إلى البحث عن عشيقاً أو بائعة هوى ، هل هناك حرج في فعل المرأة كل ما يزيد في شهوة زوجها واستمتاعه بأهله ، وقد أفضى بعضهم إلى بعض ، واطلع الرجل منها على ما لا يطلع منها أبوها أو أخوها ! .

— فإن قيل : هناك من تشعر بالخرج من هذا أو تخاف أن يظن بها زوجها الظنون إن هي فعلت ما جاء — مثلاً — في وصية الأم السابقة لابنتها ، أو أظهرت لزوجها هذا النعج والمتعة أثناء الجماع من تأوه وشخير ونخر وغير هذا مما تقدم .

— أقول : ولم أخرج وقد تقدم أن الرجل يطلع من زوجته على ما لا يطلع عليه الأب أو الأخ ، وإن ظن الزوج بها الظنون كما يقال فهذا مرجعه إلى الزوج وسوء طويته ، فالرجل يتزوج الفتاة وهو يعرف أنها لا تدرى شيئاً عن أمور الجماع ، فيقوم هو بتعليمها وتدريبها على فن الجماع — ليستمتع كل منهما بالآخر — وهو لا يبحث عن متعته فقط فيحيف على حقها ، فإن ظن بها الظنون كما يقال فلضيق أفقه ونفسه الغير سوية .

— فماذا عن رقص الزوجة لزوجها ؟

(١) الروض العاطر ، بتصرف .

(٢) لقد استعملت اللفظة المشهورة على الألسنة وهي "الغانية" وإن كان الصواب أن يقال "البغى" فهناك فرق بينهما كبير . انظر لكاتب السطور : "معتك الأقران في ألفاظ القرآن" .

(٢١٤/١)

— لا حرج في رقص المرأة لزوجها إذا لم يصاحب هذا الرقص "الموسيقى" فهي حرام ، ولها أن تستخدم "أشرطة" الكاسيت التي يطلقون عليها "أشرطة إسلامية" ، ففيها الغناء بالدف ، كما قيل لى ، وهو أفضل من استخدامها لكاسيت يحتوى على الموسيقى المحرمة ، وهو يفي بالغرض المطلوب ، فلا تتركه إلى حرام .

— هل حقاً يأثم الرجل إذا جامع امرأته ونظر إلى المرأة — أو هي — في غرفة النوم مثلاً أثناء الجماع ؟
— الجواب : هذا كلام لا يصح .

— سألتني زوجة مرة أن زوجها — متزوج غيرها — يشتكى من برودها الجنسي — على قوله — فجامع إحدى نسائه أمامها حتى يثيرها ! وتتعلم كيف تُمتع الزوجة الأولى زوجها ، فتفعل مثلها ، فهل هذا يجوز؟ (١)

— الجواب : لا يجوز .

— زوج يشتكى برود زوجته أثناء الجماع ، فهل من حرج في مشاهدة الزوجين لبعض أشرطة الفيديو "الجنسية" حتى تستجيب الزوجة لزوجها أثناء الجماع ، أو لتعليمها ؟

— الجواب : حادثني إحدى النساء يوماً — هاتفياً — أن زوجها يشتكى برودها الجنسي فأشار عليها بإحضار "شريط جنسي" لتشاهده الزوجة !! فسألت : هل يباح لها هذا ؟

فقلت لها : هل لك ولزوجك أن تشاهدي جارتك — مثلاً — وهي في أحضان زوجها أثناء العملية الجنسية ، فتشاهدي أنتِ وزوجك ذلك منهما ؟

قالت : لا ، لا نستطيع عمل هذا .

(١) ثم رأيت في كتاب المبدع (٢٠٢\٧) مثلها : "مسألة يجوز نوم الرجل مع زوجته بلا جماع بحضرة محرمها لفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يجامع إحداها بحيث تراه الإخرى أو غيرها غير طفل لا يعقل أو يسمع حسهما ولو رضيتا وذكر المؤلف أن ذلك حرام لأن فيه دناءة وسقوط مروءة وربما كان وسيلة إلى وقوع الرائية في الفاحشة لأنها قد تنور شهواتها بذلك قال أحمد في الذي يجامع امرأته والأخرى تسمع قال كانوا يكرهون الرجس وهو الصوت الخفي ولا يحدثهما بما جرى بينهما لأنه سبب لإثارة الغيرة وبغض إحداها الأخرى" وانظر : الكافي (١٢٦\٣) .

(٢١٥/١)

فقلت لها : إذا كان هذا منكما ، والرجل والمرأة زوجين ، قد أحل الله تعالى لهما ذلك ، فكيف لكما أن تشاهدا ذلك من رجل وامرأة سفاحاً وزناً؟! بل والرجل والمرأة من أهل الكفر ! .

فإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز من زوجك أن يشير عليك بمثل ذلك الأمر الشنيع ، هذا إلى غير الأضرار الناتجة عن مشاهدة المرأة لتلك الأفلام التي تُعد أحد أسلحة محاربة الإسلام والمسلمين ، فالمرأة تشاهد الرجل "الوسيم" الجميل المفتول العضلات التي يطيل العملية الجنسية مع المرأة "المحترفة" الدعارة فترة كذا أو كذا ، فتتقم على زوجها ضعفه مثلاً أو عدم اطالة زمن العملية الجنسية كما شاهدت في

تلك الأفلام (ويخفى عليها أن تلك الأفلام كغيرها من الأفلام التي تُصور على — شوطات — وفيها "المونتاج" قص ولصق تلك المناظر حتى تصبح الفترة الجنسية طويلة زمن كذا أو كذا) ناهيك عن مشاهدة الرجل أيضاً لنساء تلك الأفلام "الحسنات" اختبرات الداعرات "الكافرات" مما قد يدعو إلى الزهد في زوجته لقلّة جمالها مثلاً أو جهلها بما تفعله نساء تلك الأفلام .

وضرر تلك الأفلام أكبر وأشد وأخطر مما يظنه الكثير من الناس ، فمشاهدتها — والعياذ بالله تعالى — ينسحب من بين يديه خُلُق "الحياء" فتراه ينظر إلى كل فتاة أو امرأة يتخيل منها مواضع الفتنة كما شاهد فيشتهيها ، فإما أن يقع في المعصية والزنا ، أو يتحول إلى الاستمنااء وله أضراره الكثيرة ، أو "يقذف" أثناء مشاهدة تلك الأفلام دون أن ينتصب القضيب الانتصاب السليم مما يؤدي بالجسم إلى "الاعتیاد" على القذف في حالة معينة وعند حدٍ معين ، فلا ينتصب القضيب انتصاب من هو في مثل سنه ممن لم يشاهد تلك الأفلام أو يمارس تلك العادة ، ناهيك عن أضرار تلك العادة السيئة ، كما سيأتي الحديث عنها وبيان بعض أضرارها .

— فماذا عمن يقول أني أشاهد تلك الأفلام للتعلم أو للترفيه ، كما أنها لا تؤثر في ؟

(٢١٦/١)

— الجواب : نقول له : دعك من التبرير الأجوف ولا تضحك على نفسك ، ولا تدع الشيطان يضحك منك ، وإليك هذه القاعدة الهامة العظيمة والتي يجب أن تنقش بماء الذهب ويضعها كل إنسان أمام عينه وهي قوله — صلى الله عليه وسلم — : "مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ" (١)، فلا تقترب من النار وتقول : لن أحترق ! .

يجب عليك أخى المسلم الابتعاد عن مشاهدة تلك الأفلام ولا تدع الشيطان يوسوس لك بمشاهدتها من أجل التعليم أو لبرود الزوجة أو لأي من الواسوس الشيطانية .

— ويسأل بعضهم : لقد وقعت في الزنا — قَبِلْتُ وغمزْتُ حتى وقعت على المرأة ، وأريد أن أتطهر ، فما هو الحد ، علماً بأنني لم أتزوج بعد ؟

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (١١٦\٤) وأحمد (٤٣١\٤ ، ٤٤١) والطبراني وغيرهم .

(٢١٧/١)

— الجواب : لا حد على من قَبِلَ أو غامر أو فاخذ ، إنما الحد على من وقع في الزنا وباشر مباشرة كاملة ، روى البخارى : عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : "لَمَّا أَتَى مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيِّ — صلى الله عليه وسلم — قَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ قَبَلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ ، قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَنْكُتَهَا (١) — لَا يَكْنِي — قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ" (٢) .

وحد المحصن (٣) هو الرجم ، وغير المحصن : الجلد .

ولكن عليك التوبة النصوح بشروطها (٤) .

— سرعة القذف بين العلة والعلاج :

(١) قال الأزهري في تهذيب اللغة قال : الليث النيك معروف والفاعل نايك والمفعول به منيوك ومنيك والأنتى منيوك . تهذيب الأسماء (٣٥٠\٣) ، "وعند النسائي على ما قال الحافظ : هل أدخلته وأخرجته ؟ قال : نعم ، كما يغيب المروء — بكسر الميم — الميل في المكحلة ، قال في القاموس : المكحلة ما فيه الكحل وهو أحد ما جاء من الأدوات بالضم ، والرشاء بكسر الراء ، قال في القاموس : الرشاء ككساء الحبل ، وفي هذا من المبالغة في الاستثبات والاستفصال ما ليس بعده في تطلب بيان حقيقة الحال فلم يكتف بإقرار المقر بالزنا بل استفهمه بلفظ لا أصرح منه في المطلوب وهو لفظ "النيك" الذي كان يتحاشى عن التكلم به في جميع حالاته ولم يسمع منه إلا في هذا الوطن ، ثم لم يكتف بذلك بل صورته "تصويراً حسياً" ولا شك أن تصوير الشيء بأمر محسوس أبلغ في الاستفصال من تسميته بأصرح أسمائه وأدناها عليه" ، "عون المعبود" (٧٢\١٢) .

(٢) أخرجه البخارى (٢٥٠٢\٦) ، ولم يستعمل النبي — صلى الله عليه وسلم — هذا اللفظ إلا هذه المرة وفي هذا الموضع لدرء الحد ، فتأمل

(٣) المتزوج .

(٤) انظر : "القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" لكاتب السطور "اسم الله تعالى : التواب" ط : مكتبة العلم .

(٢١٨/١)

— يعاني كثير من الأزواج من علة سرعة القذف ، وهو مما يقلل من استمتاع الزوجين معاً ، بل قد يؤدي في بعض الأحيان إلى مفترق الطريق ، فهل لهذا من علاج ؟

— الجواب : يعاني كثير من الشباب حديثي الزواج — بل وكثير من المتزوجين — من علة سرعة القذف مما يسبب — إن لم يكن من أهم الأسباب الرئيسية في فشل الحياة الزوجية عند الكثير — متاعب همة

للرجل والمرأة على حد سواء ، فالرجل لا يستمتع بالمعاشرة الزوجية لفترة طويلة تروى ظمئه وعطشه وتغنيه عن النظر إلى الحرام ، ثم هو يترك زوجته ولم تقضى وطرها بعد فيتركها دون قضاء شهوتها مما يؤثر كثيراً على نفسيتهما وحياتهما .

فبعض الرجال يقذف بمجرد تلاقى الختانان ، حتى إن زوجته — وبعد سنوات من الزواج — إذا طلبا منها أحد أشكال الجماع رفضت ، لأنها وعيت أنه بمجرد التلامس سيقذف فكأنها تقول : ولما الشكل الفلاني مادام بمجرد الملامسة للفرج سيقذف ، وهذا بدوره يثير الكثير من المشاكل الجنسية ويتبع هذا وينعكس على حياتهما الزوجية بصفة عامة .

وقد يكون هذا ناتجاً من علة مرضية أو نفسية ، فإن كان من علة مرضية فعليه بالطبيب ، وإن كان من علة نفسية كالأرق أو الهمّ مثلاً ، فعليه أن يصرف ذهنه عن هذا أثناء الجماع ، وليعلم أن لزوجته عليه حق ، فليعط كل ذي حق حقه .

— وقد لجأ بعضهم إلى بعض الحيل لإطالة فترة الجماع :

— فمنهم من يصرف ذهنه أثناء المداعبة أو المعاشرة إلى التفكير في شئ آخر كمن يقوم بالعد من واحد إلى مائة عكسياً ، أو حلّ المسائل الحسابية المعقدة .

— ومنهم من يصرف نظره عن النظر إلى جسد زوجته .

— ومنهم من يستعمل بعض المراهم المخدرة — كمرهم ترونفال — على عضو الذكورة ليقفل الإحساس به أثناء الإيلاج مما يطيل حتماً فترة الجماع ، وهذا من أفضل الطرق لإطالة فترة الجماع .

(٢١٩/١)

— ومنهم من يدع زوجه تداعب عضوه وتلاعبه حتى إذا انتصب وشعر بقرب الإنزال طلب منها التوقف ، فإذا هدأ قليلاً بعد لحظات عاودت الزوجة مداعبة العضو مرة أخرى وهكذا حتى يتعود الجسم والعقل على هذا فيكون سبباً في تأخر القذف مما يطيل حتماً فترة الجماع .

— ومنهم أيضاً من إذا شعر بقرب الإنزال أثناء الإيلاج توقف عن الحركة ، فيهدأ العضو قليلاً ، ثم يعاود .

— ومنهم من إذا شعر بقرب الإنزال أثناء الجماع بدأ في تغيير شكل الجماع ، ثم عاود ، ثم إذا شعر بقرب الإنزال مرة أخرى ، توقف وتغير شكل الجماع ، وفي أثناء هذا يكون العضو قد نال بعض الراحة فيقلل من تدفق الدم إليه مما يطيل حتماً فترة الجماع ، ويكثر من تغيير شكل الجماع مما يزيد من متعة للزوجين معاً .

فإن أهم أسباب سرعة القذف هو تدفق الدم إلى الأوعية والشرابين بالعضو وامتلأته بها من الاحتكاك

الناتج من المداعبة أو الإيلاج .

— ومنهم من يكثر من مداعبة الزوجة وتقيلها بدءاً بشفتيها ثم لا يكتفى بهما ... مما يثير المرأة ويجعلها على أهبة الاستعداد للإنزال فإذا شعر منها هذا أولجّه فيها ، وعندها طالت الفترة أم قصرت لا تعرها كثير من النساء اهتماماً فإنها تقضى وطرها مع زوجها ، بل سيكون سبباً في إنزالها معاً مما يشعرهما بالسعادة والمتعة .

— ومنهم من يكثر من مداعبة بظر المرأة — وهو من أهم المناطق حساسية عند المرأة وإثارة لها — وباطن الفخذين ، والضرب على أعلى مؤخرة المرأة (نهاية العمود الفقري وأعلى المؤخرة) ، أو يكثر من التقبيل وهو يلصق عظمة ساقه بفرج المرأة فيزيد في غلمتها ، مما يجعل لها بالإنزال ، فتكون في شوق إلى المعاشرة والجماع .

— ومنهم من يطيل المداعبة والتقبيل والغمز — من الرجل والمرأة معاً — ثم يتوقف قليلاً للحديث معها بكلمات الحب والإعجاب ، ثم يعاود مرة أخرى .

(٢٢٠/١)

— ومنهم من يستعمل الغشاء الواقى مما يقلل من حساسية الجلد (لعضو الرجل) مما يزيد في فترة المعاشرة الجنسية .

— ومنهم من يلجأ إلى النسبة والتناسب ، أى أنه يعلم من نفسه أنه يقذف بعد خمس دقائق — مثلاً — بينما زوجته تصل إلى شهوتها بعد عشر دقائق — مثلاً — فيأخذ في المداعبة والملاعبة والضم والتقبيل خمس دقائق مثلاً ، حتى إذا وصلت المرأة إلى حالة الشوق إلى المعاشرة بدأ الإبلاج ، ثم بعد خمس دقائق تلتقى شهوة الرجل والمرأة معاً فيكون الاستمتاع والإنزال معاً .

— فماذا عن التقاء الشهوتين للرجل والمرأة ، اذ يشكو الكثير وقد مرت عليه سنوات الزواج ، ولم تلتق الشهوتان معاً رغم مرور السنوات ، وقد لا يتفق الزوجان في الإنزال معاً ؟

الجواب : من المقرر أن المرأة أسرع إثارة وإنزالاً من الرجل ، وقد تقذف قبل الرجل ، ومنهن من تقذف الماء مرة أو أكثر أثناء الجماع ، ومنهن من تتأخر في الإنزال ، ومن الرجال من يعانى سرعة القذف كما تقدم ، فيتزل قبل أن تاتى المرأة شهوتها ، فيقضى شهوته ثم يتركها ، دون مراعاة منه لمشاعر زوجته ، ومن كمال استمتاع الرجل وزوجته توافق التزول ، ويمكن لهما هذا اذا شعر الزوج بقرب الإنزال أوحى إلى زوجته بهذا ، ضرباً كما تقدم على مؤخرتها مثلاً أو نحو هذا ، أو همساً ، فتأهب الزوجة لهذا وهو يؤدى بدوره إلى إثارتها مما يجعلها تقذف معه ، وقد تطلب من زوجها التأخر قليلاً في الإنزال فيتوقف الزوج عن الحركة — كما تقدم — ثم يعاود حتى تتفق الشهوتان ويكمل الاستمتاع .

— ما هي أماكن الإثارة عند المرأة ؟

— الجواب : إن أكثر المواضع إثارة عند المرأة : الشعر وأطرافه خاصة ، الشفاه ، الثدي ، السرة وما حولها ، أسفل السرة ، البظر ، وباطن الفخذين ، والأرداف .

— فما هي مواضع الإثارة عند الرجل ؟

(٢٢١/١)

— الجواب : أما مواضع الإثارة عند الرجل فهي : خلف الأذن ، أسفل الرقبة ، الشفاه ، حلمة الصدر ، أسفل السرة ، أعلى الفخذ من الداخل، والأرداف .

— فإذا أراد العود للجماع ؟

— الجواب : الوضوء لمن أراد أن يعاود الجماع :

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال : "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ" (١) ، وعن أنس : "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ" (٢) .

— يقع كثير من الرجال في خطأ الصمت والخرس بعد الجماع ، فماذا تقول لهم ؟

— الجواب : إن الحديث بعد الجماع له أهمية عظيمة ، فكثير من الأزواج إنما يتحدث فقط قبل الجماع ، وأما استعمال ذلك بعد قضاء الوطر فهو في النهاية القصوى في الظرف ، لأن السكوت عقب ذلك ربما يُخجل ويُमित النشاط ، وفيه دليل على الندم ، وليس من الخلق الجميل والأدب الشريف أن يرى المعشوق عاشقه (الزوجين) نادماً على ما ناله منه ، وإذا كان ذلك على ما وصفناه فعود الإنسان على ما كان عليه من الفكاهة والملق والأنس والاستبشار أكمل لأدبه وأدب على ظرفه وأحسن لعقله ، فإن زاد في الثاني على ما كان عليه أولاً كان أزيد لفضله (٣) ، وقد قال الشاعر :

استرحنا من الحجل إذا فرغنا من العمل

ذهبت حشمة العدا رى من الخمش والقُبل

(١) أخرجه صحيح مسلم (٢٤٩/١) .

(٢) السابق .

(٣) وهذا الخلق يكاد أن يكون مفقداً تماماً بين أكثر الأزواج ، فإذا قضى الرجل وطره "سقط " من فوق زوجته بلا حراك او كلام ، ثم يوليها ظهره وكأنه لا يعرفها !!! .

وكثيراً ما تشتكى الزوجات من هذا الأمر ، حتى تشعر المرأة وكأن زوجها إنما تقرب إليها وحدثها لهذا الأمر فقط ، فإذا قضى وطره وشهوته تحول عنها وولاها قفاه !!!! .

(٢٢٢/١)

والشاهد لصحة قولنا أن الذين تكلموا في طبائع الحيوان زعموا أن للحمام في جماعه خلة يشرف بها على الإنسان لأنه لا يعتبره في الوقت أذى يعتري أنكح الناس من الفتور بل يفرح ويمرح ويضرب بجناحيه ويفع صدره ويبدو منه ما يفوق به الإنسان الذي شهوته أقوى وأدوم ، وهو بما فيه من القوة المميزة أقدر على التخلق بما يريده من الأخلاق المستحسنة فلا يجد في الغاية القصوى من التصنع والتغزل والنشاط ، بل إذا فرغ يركبه الفتور والكسل ويزول النشاط والمرح ، والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى في ذلك الحال الذي يكون الإنسان فيه أدبر ما يكون وأفتر (١) .

— وبعد المعاشرة الجنسية بين الزوجين ، هل يجب تعجيل الغسل أو تأخيره ؟

— الجواب : روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر : " أَنَّ عُمَرَ اسْتَفْتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ هَلْ يَنَامُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنْبٌ قَالَ نَعَمْ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ لِيَنِمَّ حَتَّى يَغْتَسِلَ إِذَا شَاءَ " (٢) . وعن ابن عمر قال : " ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ تُصِيبُهُ جَنَابَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَوَضَّأَ وَاغْتَسَلَ ذَكَرَكَ ثُمَّ نِمَّ " (٣) . وعن عبد الله بن أبي قيس قال : " سَأَلَتْ عَائِشَةُ عَنْ وَتَرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، قُلْتُ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِي الْجَنَابَةِ أَكَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَمْ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ ؟ قَالَتْ كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ رَبُّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ وَرَبُّمَا تَوَضَّأَ فَنَامَ قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً " (٤) .

(١) علامات النساء لأحمد بن سليمان المتوفى سنة (٩٤٠) ، بتصرف .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩\١) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٢٢٣/١)

— فإن لم يستطع الغسل ، فهل له الوضوء ؟

— الجواب : مستحب أن لا ينام الرجل أو المرأة جنين إلا أن يتوضأ ، فقد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها — أنها قالت : "كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ" (١) .

— وليس هذا على الوجوب ، إنما هو للإستحباب ، لحديث عمر المتقدم وقوله - صلى الله عليه وسلم - فيه : "نَعَمْ لِيَتَوَضَّأُ ثُمَّ لِيَنِمَ حَتَّى يَغْتَسِلَ إِذَا شَاءَ" ، كما صح عن أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — أنها قالت : "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء (حتى يقوم بعد ذلك فيغتسل)" (٢) .

وعنها أيضاً أنها قالت : "كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَبِيتُ جُنُبًا فَيَأْتِيهِ بِلَالٌ فَيُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَيَقُومُ فَيَغْتَسِلُ فَأَنْظَرُ إِلَى تَحْدِثِ الْمَاءِ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَأَسْمَعُ صَوْتَهُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، قَالَ مُطَرِّفٌ : فَقُلْتُ لِعَامِرٍ : أَفِي رَمَضَانَ ؟ قَالَ : رَمَضَانٌ وَغَيْرُهُ سَوَاءٌ" (٣) .

— قلت : وفي هذا الحديث بيان أن هذا الحكم يجرى على الرجل والمرأة سواء أصبح الرجل صائماً أو غير صائم في رمضان أو غيره .

(١) أخرجه البخارى مسلم .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود وابن ماجه والنسائي في العشرة وغيرهم .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى .

(٢٢٤/١)

— ولكن الإغتسال أفضل : وللرجل والمرأة أن يغتسلا قبل النوم أفضل لحديث عبد الله بن قيس - رضي الله عنه - أنه قال : "قُلْتُ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِي الْجَنَابَةِ أَكَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَمْ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ ؟ قَالَتْ كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ رُبَّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ فَنَامَ قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً" (١) .

وروى أبو داود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "طَافَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وَعِنْدَ هَذِهِ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَجْعَلُهُ غُسْلًا وَاحِدًا قَالَ هَذَا أَرْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ" (٢) .

— فما هي كيفية الاغتسال ؟

— كيفية الغسل :

يبدأ المغتسل أولاً بغسل الكفين ثلاث مرات .

غسل الفرج من الإمام والخلف — باليد اليسرى (٣) — جيداً .
 الوضوء كوضوء الصلاة ، مع ملاحظة المحافظة على الوضوء من نواقضه ، وعدم مس الفرج بأى من اليدين .
 تحليل شعر الرأس بالأصابع ثلاث مرات ، وهو أن يبلل الرجل يديه بالماء ثم يخلل شعره بأصابعه ، أى أن يمرر أصابعه خلال شعره .
 صب ثلاث حفنات — ملء الكفين — ماء على الرأس ، حتى تبتل فروة الرأس جيداً .
 غسل الجانب الأيمن من الجسم ، يبدأ بالشق الأعلى ثم الأسفل ، مع ملاحظة عدم مس الفرج كما تقدم للحفاظ على الوضوء .
 غسل الجانب الأيسر من الجسم ، بدأ بالشق الأعلى ثم الأسفل .
 غمر الجسم بالماء جيداً .
 مع ملاحظة الاعتناء بغسل الإبط والسرة وخلف الركبة ، بعدها يخرج المغتسل إلى صلاته دون الحاجة إلى الوضوء مرة أخرى .

(١) تقدم .

(٢) حسن : أخرجه أبو داود ، والنسائي في العشرة وغيرهما .

(٣) فقد ورد النهى عن مس الذكر باليمين .

(٢٢٥/١)

— روى مسلم في صحيحه في كيفية اغتساله — صلى الله عليه وسلم — : "إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي أَصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ اسْتَبْرَأَ حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ "

ولا فرق بين الرجل والمرأة في الغسل من الجنابة ، وروى مسلم عن أم سلمة قالت : "إِنِّي امْرَأَةٌ أَشَدُّ ضَفَرٍ رَأْسِي فَأَنْقَضُهُ لِيُغْسَلَ الْجَنَابَةَ ؟" وفي رواية : "لِلْحَيْضَةِ وَالْجَنَابَةِ" قَالَ : لَا إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَحْثِيَ عَلَى رَأْسِكَ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ، ثُمَّ تُفَيِّضِينَ عَلَيْكَ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ" (١) .

أما اغتسال المرأة من الحيض فقد اختلف أهل العلم في وجوب نقضها لشعر رأسها ، والصحيح أنها لا تنقض شعر رأسها لحديث مسلم السابق ، وفي رواية له : "أفأنقضه للحيض والجنابة..." .

— ويسأل بعضهم (٢) : جاءت زوجتي في ثوب ، ثم بعد الجماع ارتديت ذلك الثوب مرة أخرى بعد

الغسل ، فهل يجوز هذا منى ؟

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩\١) .

(٢) وهو أستاذ بإحدى الجامعات المصرية .

(٢٢٦/١)

— الجواب : لا حرج في هذا ، إذا لم يصب الثوب نجاسة من المذى ، وإلا فعليه غسل موضع النجاسة فقط أو نضجه بالماء ، وإن أصاب جسمك "العرق" فالمسلم لا يتجسس ، أما إذا أصابه "المنى" فعليك بغسله مكانه أو فركه بعد أن يجف (١) .

— ما هو الفرق بين المذى والودى والمنى ؟

— أما المذى : فماء أبيض رقيق يخرج عند التفكير في الأمور الجنسية أو ملاعبة الزوجة ، ويجب منه الوضوء لا الغسل ، ونضح مكانه من الثياب بالماء .

— وهنا ننبه إلى كثرة مداعبة الزوج أهله عند إزالة أو فض البكارة مما يزيد في شهوة الزوج ويكون نزول المذى ، فمن مهامه تسهيل الإيلاج .

— وأما الودى : فهو سائل أصفر غليظ يخرج عند الإمساك أو الإحساس بالثقل ، ويجب منه الوضوء أيضاً لا الغسل .

— أما المنى فهو سائل أبيض غليظ يخرج عن الجماع وتصاحبه رعشة في الجسم ومنه يكون الولد ، ويجب منه الغسل .

— رجل داعب زوجته ولم يجامعها ، فهل عليه غسل ؟

— الجواب : إذا جامع الرجل أهله فأمذى وجب عليه الوضوء دون الغسل ، وإذا داعب الرجل زوجته فقذف وجب عليه الغسل ، وأن لم يولجه فيها .

— رجل جامع زوجته ولكنه لم يولجه فيها ، فهل عليه الغسل ؟

— الجواب : إذا جامع الرجل زوجته والتقى الختانان — أى فرج الرجل والمرأة — أو لجه فيها أو لم يولجه فيها وجب عليهما الغسل ، أنزلا أم يُنترَلا .

— يقول — صلى الله عليه وسلم — في الحديث المتفق عليه عند البخارى ومسلم : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"

— فهل يدخل جماع الزوجة في هذا أيضاً ؟

(١) وفي المغني (٢٢٨\٧) : "ويستحب للمرأة أن تتخذ خرقة تناولها الزوج بعد فراغه فيتمسح بها ، فإن عائشة قالت : ينبغي للمرأة إذا كانت عاقلة أن تتخذ خرقة ، فإذا جامعها زوجها ناولته فمسح عنه ثم تمسح عنها ، فيصليان في ثوبها ذلك ما لم تصبه جنابة" وانظر "المبدع" (٢٠١\٧) .

(٢٢٧/١)

— نعم ، فهو حديث عام جامع شامل فينوي الرجل والمرأة بالنكاح اتباع هدى الله تعالى الذى وضعه لعباده فى كتابه وعلى لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وقال - صلى الله عليه وسلم - لمن قال : اعتزل النساء ولا أتزوج ، قال : "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" (١) .
وأن ينوي إغفاف نفسيهما والإحصان وطلب الولد لقوله تعالى (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) (البقرة : ١٨٧) قال بعض أهل العلم : هو الولد (٢) .

وليعلم الزوجين أن فى جماعهما صدقة لقول أبى ذر : "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالُوا لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ (٣) بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بَضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا" (٤) .

(١) تقدم .

(٢) انظر لكاتب السطور : رسالة "أحكام الصيام" ، ط : مكتبة الدعوة بالقاهرة .

(٣) المال .

(٤) أخرجه مسلم (٦٩٧\٢) .

(٢٢٨/١)

— وفى هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذى أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إغفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام أو التفكير فيه أو اهمّ به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة" (١) .

— هل صحيح ما يشاع عند بعض الأزواج رجالاً ونساءً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الكلام عند الجماع ؟

— الجواب : ليس بصحيح : روى عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله : " لا تكثروا الكلام عن مجامعة النساء ، فإن منه يكون الخرس والفأفة " وهو حديث ضعيف جداً (٢) .

— فماذا إذاً عن التجرد عند المباشرة ؟

— الجواب : روى النسائي عن عبد الله بن سرجس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا أتى أحدكم أهله فليلق على عجزه وعجزها شيئاً ولا يتجردا تجرد العيرين " قال أبو عبد الرحمن - النسائي - هذا حديث منكر وصدقة بن عبد الله - أحد رواة الحديث - ضعيف (٣) .

— ومثله : " إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ، ولا يتجردا تجرد العيرين " (٤) ، فيه : الأحوص بن حكيم : ضعيف ، والوليد بن القاسم : ضعيف أيضاً .

— ومثله ما روى عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : " ما رأيت عورة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قط " ، وفي بعض الروايات " لم ير منى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم أر منه " (٥) .

(١) شرح النووي (٩١ \ ٧) .

(٢) ضعيف جداً : أخرجه ابن عساكر (٧٠٠ \ ٥) .

(٣) ضعيف منكر : أخرجه النسائي في الكبرى (٣٢٧ / ٥) .

(٤) إسناده ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٥٩٢ \ ١) .

(٥) أخرجه أبو نعيم (٢٤٧ \ ٨) بسند فيه كذاب ، وهو : بركة بن محمد الحلبي .

(٢٢٩ / ١)

— ورُوى عنه - صلى الله عليه وسلم - قوله : " إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى الفرج ، فإنه يورث العمى " وهذا حديث موضوع (١) ، وقال بعضهم : لأنه يؤدي إلى النسيان ، وليس هذا بالدليل " الشرعي " الذي يدل على التحريم .

— والصحيح في هذا الأمر ما ورد عن معاوية بن حيدة قال : " يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا تَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ ؟ قَالَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فافْعَلْ ، قُلْتُ وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ " (٢) .

— وقال بعضهم :

واحذر من الجماع في الثياب.....فهو من الجهل بلا ارتياب
 بل كل ما عليها — صاح — فانزعوكن ملاعباً لها لا تفزع
 — وهذا يعني الاغتسال معاً وإباحة النظر إلى فرج المرأة والعكس : فعن عائشة — رضى الله عنها —
 قالت : "كنت اغتسل أنا ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — من إناء واحد من الجنابة" (٣) ،
 والتستر أولى لحديث معاوية السابق .
 — والمداعبة أثناء الغسل : وعن عائشة أيضاً — رضى الله عنها — "كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — مِنْ إِنَاءٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَاحِدٍ فَيَاذِرُنِي حَتَّى أَقُولَ دَعْ لِي دَعْ لِي ، قَالَتْ وَهُمَا جُنُبَانِ" (٤) .
 — فماذا عن أحكام الوطء في الدبر ؟

(١) موضوع : أورده ابن الجوزى في الموضوعات (٢٧١\٢) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود والنسائي والترمذى .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد (٣٠\٦) .

(٤) أخرجه مسلم .

(٢٣٠/١)

— في أحكام الوطء في الدبر : ورد النهى عن وطء المرأة في دبرها في غير حديث صحيح ، وتكلم
 العلماء سلفاً وخلفاً في تحريم الوطء في الدبر : "فمنها أنه من الكبائر ومنها أنه يوجب القتل إذا كان من
 غلام نص عليه أحمد في إحدى الروايتين والثانية حده حد الزاني كقول مالك والشافعي فإن كان من
 زوجه أو أمة أوجب التعزير وفي الكفارة وجهان : أحدهما عليه كفارة من وطئ حائضاً اختاره ابن
 عقيل .

— والثاني : لا كفارة فيه وهو قول أكثر الأصحاب ومنها أن للزوجة أن تفسخ النكاح به وذكره غير
 واحد من أصحابنا وإن كان من امرأة أجنبية فاختلف أصحابنا في حده ، فالذى قاله أبو البركات وأبو
 محمد وغيرهما حده حد الزاني ، وقال ابن عقيل في فصوله فإن كان الوطء في الدبر في حق أجنبية وجب
 الحد الذى أوجبه في اللواط، وعلى هذا فحده القتل بكل حال وإن كان في مملوكه فذهب بعض
 أصحابنا أنه يعتق عليه وأجراه مجرى المثلة الظاهرة وهو قول بعض السلف" (١) .

(١) بدائع الفوائد : (٩٠٤\٤) .

(٢٣١/١)

— ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : "وأما الدبر فلم يبح قط على لسان نبي من الأنبياء ومن نسب إلى بعض السلف إباحت وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال :
 "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ملعون من أتى المرأة في دبرها" (١) ، وفي لفظ لأحمد وابن ماجه : "لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها" (٢) ، وفي لفظ للترمذى وأحمد : "من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم -" (٣) ، وفي لفظ للبيهقي : "من أتى شيئاً من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر" (٤) ، وفي مصنف وكيع حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن الهاد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن" وقال مرة : "في أدبارهن" (٥) ، وفي الترمذى عن علي بن طلق قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لا تأتوا النساء في أعجازهن فإن الله لا يستحي من الحق" (٦) ، وقال البغوي : حدثنا هدية حدثنا همام قال : " سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال : حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : تلك اللوطية الصغرى" (٧) ، وفي المسند أيضاً عن ابن عباس : "قال جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله هلكت ، فقال : وما الذي أهلكك ؟ قال : حولت رحلي

(١) أخرجه أبو داود (٢١٦٢) والنسائي في العشرة (١٢٩، ١٢٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٤\٢) والترمذى (٢١٨\١) .

(٣) حسن : أخرجه الدارمي وأحمد (٤٠٨\٢) والنسائي في العشرة (٧٨) .

(٤) أخرجه النسائي في العشرة (١٣٣) مرفوعاً وموقوفاً ، والموقوف أصح .

(٥) أخرجه النسائي في العشرة (١٢٢) .

(٦) أخرجه الترمذى والبيهقي (٣٢٤\٥) .

(٧) أخرجه أحمد (٢١٠\٢) .

(٢٣٢/١)

البارحة ، قال : فلم يرد عليه شيئاً ، فأوحى الله إلى رسوله : (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُّوْا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) أقبل أدبر واتق الخيضة والدبر (١) ، وفي الترمذى عن ابن عباس مرفوعاً : "لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر" (٢) ، وقال عبد الله بن وهب حدثنا عبد الله بن لهيعة

عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "ملعون من يأتي النساء في محاشهن يعني أدبارهن" (٣) ، وذكر أبو نعيم الأصبهاني من حديث خزيمة بن ثابت : يرفعه : "إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن" (٤) ، وقال الشافعي أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع قال أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة ابن ثابت : "أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إتيان النساء في أدبارهن فقال حلال ، فلما ولى دعاه ، فقال : كيف قلت في أي الخريتين أو في أي الخزرتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها ، فنعيم ، أما من دبرها فلا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء أدبارهن" (٥) .

— قال الربيع : فليل للشافعي : فما تقول : فقال : عمي ثقة ، وعبد الله ابن علي ثقة وقد أثنى علي الأنصاري خيراً يعني عمرو بن الجلاح وخزيمة ممن لا يشك في ثقته فلست أرخص فيه بل أهي عنه .

-
- (١) حسن : أخرجه الترمذي (١٦٢\٢) وغيره .
- (٢) حسن : أخرجه الترمذي (٢١٨\١) وابن حبان (١٣٠٢) .
- (٣) حسن : أخرجه ابن عدى (٢١١\١) وله شاهد مرفوع عند أبي داود (٢١٦٢) وأحمد (٤٤\٢) .
- (٤) أخرجه أحمد (٢١٥\٥) والنسائي في العشرة (٩٦) وابن ماجه (١٩٢٤) .
- (٥) حسن : أخرجه الشافعي (٢٦٠\٢) والبيهقي (١٩٦\٧) والدارمي (١٤٥\١) وغيرهما .

(٢٣٣/١)

قلت : ومن هاهنا نشأ الغلط على من نقل عنه الإباحة من السلف والأئمة فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقاً إلى الوطء في الفرج فيطأ من الدبر لا في الدبر فاشتبه على السامع "من" بـ "في" ولم يظن بينهما فرقاً فهذا الذي أباحه السلف والأئمة فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه .

وقد قال تعالى : (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (البقرة : ٢٢٢) قال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى : (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (البقرة : ٢٢٢) فقال : تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها يعني في الحيض ، وقال علي بن أبي طلحة عنه : يقول في الفرج ولا تعده إلى غيره .

وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهين أحدهما أنه أباح إتيانها في الحرث وهو موضع الولد لا في الحش الذي هو موضع الأذى ، وموضع الحرث هو المراد من قوله من حيث أمركم الله الآية قال : (فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْتُمْ) (البقرة : ٢٢٣) وإتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضاً لأنه قال : (أَنْتُمْ) أي من أين شئتم من أمام أو من خلف قال ابن عباس : (فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ) يعني : الفرج

وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحش الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان .
— وأيضاً فللمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها .
— وأيضاً فإن الدبر لم يتهياً لهذا العمل ولم يخلق له وإنما الذي هي له الفرج فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً .

(٢٣٤/١)

— وأيضاً فإن ذلك مضر بالرجل ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي .
— وأيضاً يضر من وجه آخر وهو إحواجه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة .
— وأيضاً فإنه محل القدر والنحو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه .
— وأيضاً فإنه يضر بالمرأة جداً لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة .
— وأيضاً فإنه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول .
— وأيضاً فإنه يسود الوجه ويظلم الصدر ويطمس نور القلب ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيما يعرفها من له أدنى فراسة .
— وأيضاً فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد .
— وأيضاً فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فساداً لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح .
— وأيضاً فإنه يذهب بالخاص من يكسوها ضدها كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بما تباغضا وتلاعنا .
— وأيضاً فإنه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله وإعراضه عن فاعله وعدم نظره إليه فأى خير يرجوه بعد هذا وأى شر يأمنه وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه .
— وأيضاً فإنه يذهب بالحياء جملة والحياة هو حياة القلوب فإذا فقدتها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن وحينئذ فقد استحکم فساده .

— وأيضاً فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئاً من الحيوان بل هو طبع منكوس وإذا نكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى فيستطيب حينئذ الحبيث من الأعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره .
— وأيضاً فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه .

(٢٣٥/١)

— وأيضاً فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة مالا يورثه غيره .
— وأيضاً فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم إياه واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس ، فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هدية واتباع ما جاء به وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفته هدية وما جاء به (١) .
ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : قال الله - عز وجل - : (نَسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ)
(البقرة : ٢٢٣) الآية . وبين أن موضع الحرث موضع الولد وأن الله تعالى أباح الإتيان فيه إلا في وقت الحيض ، وأنى شتم : من أين شتم ، قال الشافعي : وإباحة الإتيان في موضع الحرث يشبه أن يكون تحريم إتيان في غيره فالإتيان في الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان في القبل محرم بدلالة الكتاب ثم السنة .
أخبرنا الربيع قال أخبرنا الشافعي قال : أخبرنا عمي محمد بن علي بن شافع عن عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة أو ابن فلان بن أحيحة بن فلان الأنصاري قال : قال : محمد بن علي وكان ثقة عن خزيمة بن ثابت أن سائلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن إتيان النساء في أدبارهن فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلال ، ثم دعاه أو أمر به فدعى ، فقال : كيف قلت في أى الخريبتين أو في أى الخرزتين أو في الخصفتين أم من دبرها في قبلها فنعم أم من دبرها في دبرها فلا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن (٢) .

(١) زاد المعاد (٢٥٤\٤) بتصرف .

(٢) تقدم .

(٢٣٦/١)

قال الشافعي : فأما التلذذ بغير إبلاغ الفرج بين الإليتين وجميع الجسد فلا بأس به إن شاء الله تعالى ، قال : وسواء هو من الأمة أو الحرة فإذا أصابها فيما هناك لم يحللها لزوج إن طلقها ثلاثاً ولم يحصنها ولا

ينبغي لها تركه وإن ذهبت إلى الإمام فهاه فإن أقر بالعودة له أدبه دون الحد ولا غرم عليه فيه لها لأنها زوجة ولو كان في زنا حد فيه إن فعله حد الزنا وأغرم إن كان غاصباً لها مهر مثلها قال ومن فعله وجب عليه الغسل وأفسد حجه (١) .

— ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : عن عبد الرحمن قال لابن عمر : إنا نشترى الجوارى أفنحمضهن ؟ فقال : وما التحميص ؟ فذكر له الدبر ، فقال ابن عمر : أف أف ، وهل يفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم فقال مالك أشهد على ربيعة لأخبرني عن أبي الحباب عن ابن عمر مثل ما قال نافع ، وروى النسائي (٢) عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر إنا نشترى الجوارى أفنحمضهن ؟ قال : وما التحميص ؟ قلت : نأتيهن في أدبارهن ، فقال : أف أف ، أو يعمل هذا مسلم ؟ فقال لي مالك : فأشهد على ربيعة لحدثني عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال : لا بأس به . وروى النسائي (٣) أيضاً من طريق يزيد بن رومان عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن ابن عمر كان لا يرى بأساً أن يأتي الرجل المرأة في دبرها .

وروى معن بن عيسى عن مالك أن ذلك حرام (٤) وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري حدثني إسماعيل بن حصن حدثني إسرائيل بن روح سألت مالك بن أنس ما تقول في إتيان النساء في أدبارهن قال ما أنتم إلا قوم عرب هل يكون الحرث إلا موضع الزرع ؟ لا تعدوا الفرج قلت : يا أبا عبد الله إنهم يقولون إنك تقول ذلك ، قال : يكذبون على يكذبون عليّ .

(١) الأم (٩٤\٥) .

(٢) في العشرة (٩٣) .

(٣) في السابق (٩٤) بسند ضعيف .

(٤) السابق (٩٤) .

(٢٣٧/١)

فهذا هو الثابت عنه وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير ومجاهد بن جبر والحسن وغيرهم من السلف أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وهو مذهب جمهور العلماء وقد حكى في هذا شيء عن بعض فقهاء المدينة حتى حكوه عن الإمام مالك وفي صحته نظر ، قال الطحاوي : روى أصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن القاسم قال ما أدركت أحداً أقندى به في ديني يشك أنه حلال يعني وطء المرأة في دبرها ثم قرأ : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) (البقرة : ٢٢٣) ثم قال فأى

شئ أبين من هذا ، هذه حكاية الطحاوى ، وقد روى الحاكم والدارقطنى والخطيب البغدادى عن الإمام مالك من طرق ما يقتضى إباحة ذلك ولكن فى الأسانيد ضعف شديد وقد استقصاها شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى جزء جمعه فى ذلك والله أعلم .

وقال الطحاوى : حكى لنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنه سمع الشافعى يقول ما صح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - فى تحليله ولا تحريمه شئ ، والقياس أنه حلال ، وقد روى ذلك أبو بكر الخطيب عن أبى سعيد الصيرفى عن أبى العباس الأصم سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعى يقول فذكره ، قال أبو نصر الصباغ كان الربيع يخلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد كذب يعنى ابن عبد الحكم على الشافعى فى ذلك لأن الشافعى نص على تحريمه فى ستة كتب من كتبه والله أعلم (١)

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/٢٦٦) بتصرف .

— إنما أطلت قليلاً فى هذا الباب لعموم البلوى به بين كثير من الناس ، بل وصل الأمر ببعض الفتيات إلى طلب معاشره "خطيبها" لهما من الدبر حتى "تحافظ على شرفها وعفتها" !!!! ، ولا تدرى المسكينه ما الذى تجنيه على نفسها بهذه الفعله عاجلاً ، وعند زواجها — إن تزوجت — آجلاً ، ولسوف تجنى ثمرة تلك الفعله فى حينها ! هذا مع انتشار العرى والخلاعة والميوعة وأشرطة الجنس المتنوعه المبثوثه عبر "الدمش" و "الانترنت" وغيرهما .

ولقد حادثنى — هاتفياً — مرة إحدى الزوجات تشكو من عدم استمتاعها بالمعاشره الزوجية — فى موضع الولد — بعد ان دأب زوجها على جماعها من الدبر ، فلم تعد تجد لذة فى جماع القبل ، وذلك بعد أن علمت حرمة نكاح الدبر !!! وحادثنى — هاتفياً — زوجة أخرى تشكو من عدم استطاعة جلوس أختها على مقعدتها بعدما دأب زوجها على جماعها فى الدبر ، وكان هذا من أسباب طلاقها !!!

ومرد هذا لغياب الوعى الدينى والفهم الصحيح لآراء أهل العلم وجهور العلماء ، ومحاولة البعض تتبع القول الشاذ والأخذ به ، هذا وقد قال أعلم الحديث بأن نكاح الدبر يؤدى إلى "توسعة" فتحة الشرج لدى المرأة مما يجعلها لا تتحكم فى إخراج الفضلات ، فتنسب منها مما يؤدى بدوره إلى النجاسة الحسية التى تبطل معها الصلاة ، مع نفاذ الرائحه ، نعوذ بالله تعالى .

(٢٣٨/١)

— فماذا إذن عن أحكام الحيض ؟

— أحكام الحيض :

قال الشافعي رحمه الله تعالى : قال الله - عز وجل - : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) (البقرة : ٢٢٢) الآية ، قال : فزعم بعض أهل العلم بالقرآن أن قول الله - عز وجل - حتى يطهرن حتى يرين الطهر : (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (البقرة : ٢٢٢) أن تجتنبوهن .
قال : وما أشبه ما قال والله تعالى أعلم بما قال ويشبه أن يكون تحريم الله - عز وجل - إتيان النساء في الحيض لأذى الحيض (١) وإباحته إتيانهن إذا طهرن وتطهرن بالماء من الحيض على أن الإتيان المباح في الفرج نفسه كالدلالة على أن إتيان النساء في أدبارهن محرم .
قال : وفيه دلالة على أنه إنما حرم إتيان النساء في دم الحيض الذي تؤمر فيه المرأة بالكف عن الصلاة والصوم ولم يحرم في دم الاستحاضة لأنها قد جعلت في دم الاستحاضة في حكم الطاهر يجب عليها الغسل من دم الحيض ودم الاستحاضة قائم والصلاة والصيام عليها فإذا كانت المرأة حائضا لم يحل لزوجها أن يصيبها ولا إذا طهرت حتى تطهر بالماء ثم يحل له أن يصيبها .

(١) وقد أثبت العلم الحديث أن أعضاء التناسل عند المرأة وقت الحيض تكون في حالة احتقان ، والأعصاب مضطربة بسبب إفرازات الغدد الداخلية ، والجماع وقتها يضر بها ، وأدى إلى التهاب الأعضاء التناسلية عندها ، وربما أدى إلى منع نزول دم الحيض مع وجود المواد السامة فيه مما يضر بجسم المرأة .

(٢٣٩/١)

قال : وإن كانت على سفر ولم تجد ماء فإذا تيممت حل له أن يصيبها ولا يحل له إصابتها في الحضر بالتيمم إلا أن يكون بما قرح يمنعها الغسل فتغسل فرجها وما لا قرح فيه من جسدها بالماء ثم تيمم ثم يحل له إصابتها إذا حلت لها الصلاة ويصيبها في دم الاستحاضة إن شاء وحكمه حكم الطهارة قال وبين في الآية إنما هي عن إتيان النساء في الحيض ومعروف أن الإتيان في الفرج لأن التلذذ بغير الفرج في شيء من الجسد ليس إتيانا ودلت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن للزوج مباشرة الحائض إذا شدت عليها إزارها والتلذذ بما فوق الإزار مفضيا إليها بجسده وفرجه فذلك لزوج الحائض وليس له التلذذ بما تحت الإزار منها (١) .

— ثم قال رحمه الله تعالى :

— باب الاستمناء قال الله - عز وجل - : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) (المؤمنون : ٥-٦) قرأ إلى : (الْعَادُونَ) (المؤمنون : ٧) قال الشافعي فكان بينا في ذكر حفظهم لفروجهم إلا

على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم تحريم ما سوى الأزواج وما ملكت الأيمان وبين أن الأزواج وملك اليمين من الآدميات دون البهائم ثم أكدها فقال - عز وجل - فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فلا يحل العمل بالذكر إلا في الزوجة أو في ملك اليمين ولا يحل الاستمناء والله تعالى أعلم (٢)

— وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ، أو كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد" (٣) .

(١) الأم (٩٣\٥).

(٢) الأم (٩٤\٥) .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى وغيرهم .

(٢٤٠/١)

— وعن انس - رضي الله عنه - قال : "أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى (ويسألونك عن المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) إلى آخر الآية فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء غير النكاح فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد ابن بشر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المَحِيضِ فتمعر وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ظننا أن قد وجد (١) عليهما فخرجا فاستقبلتهما هديّة من لبن إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبعث في آثارهما فظننا أنه لم يجد عليهما" (٢) .

— فما للزوج من زوجته إذا حاضت ؟

— اليهود نبذوا المرأة عند الحيض فلا يؤاكلوها ولا يساكنوها ولا يجامعوها ، والنصارى على خلاف ذلك ، فتجامع وقت الحيض ، بينما الإسلام هوى عن نبذها وعن جماعها وقت الحيض .
فللزوج من زوجته إذا حاضت أن يصنع كل شيء ويستمتع بها إلا النكاح ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "اصنعوا كل شيء غير النكاح" (٣) .

(١) أى : غضب .

(٢) أخرجه مسلم وغيره .

(٣) أخرجه مسلم .

(٢٤١/١)

وصح عن عائشة — رضى الله عنها — أنه قال : "كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأمر إحداها إذا كانت حائضا أن تتزر ، ثم يضاجعها زوجها ، وقالت مرة : يباشرها" (١) .

وكان — صلى الله عليه وسلم — إذا أرد من الحائض شيئا ألقى على فرجها شيئا ثم صنع ما أرد" (٢) .

وقالت أيضاً : "كنت أشرب وأنا حائض فيضع — صلى الله عليه وسلم — — فاه على موضع في ، وأتعرق العرق ثم أناوله النبي — صلى الله عليه وسلم — فيضع فاه على موضع في" (٣) .

فإذا طهرت من حيضها كما تقدم عند الشافعي رحمه الله تعالى فله أن يأتيها بعد أن تغتسل أو تنوضاً أو أن تغسل موضع الدم فقط كما تقدم ، لقوله تعالى : (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة : ٢٢٢) .

— ويقول الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله وقد تقدم في الصحيحين حديث عائشة : "كنت أغتسل أنا والنبي — صلى الله عليه وسلم — من إناء واحد كلانا جنب" (٤) و "كَانَ يَأْمُرُنِي فَأَتَزِرُ فَيَبَاشِرُنِي وَأَنَا حَائِضٌ" (٥) .

قال الشافعي قال بعض أهل العلم بالقرآن في قوله تعالى : (فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) (البقرة : ٢٢٢) يعنى في موضع الحيض .

وكانت الآية محتملة لما قال ومحتملة إعتزال جميع أبدانهم فدلّت سنة رسول — صلى الله عليه وسلم — على اعتزال ما تحت الإزار منها وإباحة ما فوقه .

وحديث أنس هذا ظاهر في أن التحريم إنما وقع على موضع الحيض خاصة وهو النكاح وأباح كل ما دونه .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) تقدم .

(٥) تقدم .

(٢٤٢/١)

وأحاديث الإزار لا تناقضه لأن ذلك أبلغ في اجتناب الأذى وهو أولى وأما حديث معاذ قال : "سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما يحل للرجل من امرأته وهي حائض فقال ما فوق الإزار والتعفف عن ذلك أفضل" (١) ففيه بقية عن سعد الأغطش وهما ضعيفان .

قال عبدالحق : رواه أبو داود ، ثم قال : ورواه أبو داود من طريق حزام بن حكيم وهو ضعيف عن عمه أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ما يحل لي من امرأتي وهي حائض فقال لك ما فوق الإزار" (٢) قال ويروى عن عمر بن الخطاب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكره أبو بكر بن أبي شيبة وليس بقوى (٣)

— فمن لم يملك نفسه ووقع على زوجته في الحيض أو النفاس ، فما الكفارة عليه ؟

— الجواب : عليه أولاً أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه من هذا الفعل ، ثم عليه أن يتصدق بدينار أو نصف دينار ، لحديث الإمام أحمد وغيره أن كفارة من وقع على أهله في الحيض التصدق بدينار أو نصف دينار .

— فهل تطلق منه زوجته ؟

— الجواب : لا ، لكن إن علم القاضى منهما ذلك فله أن يطلق ، على قول بعض أهل العلم .

— فكيف تتطهر المرأة من الحيض ؟

(١) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود (٢١٣) وضعفه فيه بقية بن الوليد وسعد الاغطش : كلاهما : ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أحمد (٣٤٢\٤) وأبو داود (٢١١) والترمذى (١٣٣) وابن ماجه (٦٥١) بسند ضعيف ، فيه : حزام بن حكيم : ضعيف .

(٣) حاشية أبي داود (١٤٢\٦) .

(٢٤٣/١)

— الجواب : سئل - صلى الله عليه وسلم - عن غسل المرأة من الحيض فقال : تَأْخُذُ إِحْدَاكُنْ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطْهَرُ فَتُحَسِّنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلَكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شَوْوْنَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطْهَرُ بِهَا فَقَالَتْ أَسْمَاءُ وَكَيْفَ تَطْهَرُ بِهَا فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : تَتَّبَعِينَ أَنْزَلَ الدَّمَ" (١) .

— وهنا نقول : لابد من إهتمام المرأة بنظافتها اهتماماً عظيماً ، خاصة بعد الحيض ، مع الاهتمام

بالنظافة العامة ، وأطيب طيب المرأة : الماء .

— فكيف تعتنى المرأة بنظافتها والحفاظة على أعضائها التناسلية ؟

(١) أخرجه مسلم .

(٢٤٤/١)

— الجواب : لقد حث الإسلام على النظافة ، من حسن الملبس والتسوك والاعتسال والوضوء والتطهر ونحو هذا ، ومن المقرر أن النظافة الجنسية من الأمور الهامة جداً ، وإهمال المرأة في نظافتها ونظافة أعضائها التناسلية قد يسبب لها الكثير من المشاكل ، خاصة عند الجماع ، والمرأة بطبيعتها رقيقة ناعمة حاملة تحب الجمال والزينة ، فهي تدفع ربع عمرها في التزين وإتقاء ملابسها ، فهي لا تشعر بالوقت أمام المرأة أو عند اختيار لباس جديد لها ، فجماها أهم عندها من إكتشافات أحمد زويل مثلاً ! ورغم ذلك إلا أن هناك بعض الفتيات والنساء قد أهملن العناية بأعضائهن التناسلية مما سبب لهن الكثير من المشاكل المرضية كالسيلان ونحوه ، ونفور الزوج وكراهية الجماع إذا كانت متزوجة (١) .

ومن المقرر أن الأعضاء التناسلية عند الرجل أسهل نظافة منها عند المرأة .

— فماذا إذا مصَّ الرجل ثدي زوجته قتل في حلقه بعض اللبن، فهل تحرُّم عليه ؟

— الجواب : لا تحرُّم عليه .

— هل لشعر العانة فوائد جنسية ؟

(١) لقد عرض عليَّ أحدهم مرة رغبته في طلاق زوجته ، ولم يكن قد مرَّ على زواجه أكثر من بضعة شهور ! فلما سألتته عن السبب استحي قليلاً من الإجابة ثم أفصح بالسبب الذي دعاه إلى التفكير في الطلاق ، وهو أن "الشعر" في جسد زوجته — وفي أماكن بعينها — يصل طوله إلى أكثر من (٣ سم) ! مما يشعره بالقرصن كلما فكر في الاقتراب منها .

وقد صحَّ الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — بحلق شعر العانة : "الفطرة خمس : الاختتان والاستحداد — وفي رواية : حلق العانة — وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط" ، وقد تقدم تخريجه .

(٢٤٥/١)

— الجواب : نعم ، فلم يخلق الله تعالى شيئاً عبثاً ، أو بدون حكمة ، كيف وهو خلق الإنسان في أحسن تقويم ، كيف وهو العليم الحكيم ؟! ونحن وإن لم نعرف الفوائد أو الحِكم في بعض ما نرى ، فلا يعنى هذا أنه مخلوق سدى ، ولو نظر الإنسان في نفسه لرأى عجباً قال تعالى : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات : ٢١) ففي خلق الوجه بهذه الكيفية ، وهذه الأنف بفتحتين — إلى أسفل — والأذنين بفتحتين — على الجانبين — والعينين بغطائيهما — دون الأنف أو الأذنين ! — والشعر على الرأس ، وعلى ظهر الكف دون باطنه ! والشعر تحت الإبط وحول الفرج ! والفرج بهذا الشكل العجيب ومكانه المحفوظ فيه — للرجل والمرأة — بخلاف الحيوانات وغير هذا ، هي دعوة من الله تعالى للتأمل والتفكير ، وإذا علم الإنسان الفائدة في بعض هذه الأشياء وظهرت له أو لم تظهر فعليه أن يعلم أنها لم تخلق سدى بل لحكمة ، بل لحِكم عظيمة .

فمن فوائد شعر العانة ووظائفه الصحية : إمتصاص العرق ، حيث أن هذه المناطق غير معرضة للهواء ، فمفرزات العرق فيها أكثر من غيرها ، فيقوم الشعر حول الفرج بامتصاص هذا العرق ، كما أنه يحول بين احتكاك جلد الصفن بالفخذين ، فلا يسبب التسليخ في هذه المناطق الحساسة .

كما أن له فائدة جنسية ، حيث أن احتكاك شعر العانة عند الرجل بالأعصاب الحساسة الموجودة في البظر عند المرأة يُشعرها باللذة والنشوة مما يعجل بالإنزال عندها .

— هل لنا في بيان بعض حكم ختان البنات — خاصة — بإيجاز ، فنحن نعلم وجوبه للرجال ، ولكن كثر الحديث عن ختان البنات في الآونة الأخيرة ، فلزم البيان ؟

(٢٤٦/١)

— الجواب : لقد صح عن النبي — صلى الله عليه وسلم — الأمر بالختان في غير حديث صحيح ، ويكفي في بيان وجوبه على الرجال والنساء قوله — صلى الله عليه وسلم — : "إِذَا جَاوَزَ الْخِتَانُ الْخِتَانَ وَجَبَ الْغُسْلُ" ، وفيه الإشارة إلى ختان الرجل والمرأة فتأمل ، وقوله : "الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ (١) وَتَنْفُ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ" (٢) ، وهذا حديث عام في الرجال والنساء ، والفترة هي ما فطر الله الناس عليها وهي أصل الخلقة قال تعالى : (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم : ٣٠) وتقدم قوله — صلى الله عليه وسلم — : "النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ" (٣) .

وفي فقه الإمام أبي حنيفة : أن الختان للرجال سنة ، وهو من الفطرة ، وللنساء مكروهة (٤) ، فلو اجتمع أهل مصر (بلد) على ترك الختان قاتلهم الإمام ، لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه (٥) .

وفي فقه الإمام الشافعي : أن الختان واجب على الرجال والنساء (٦) .

-
- (١) أى حلق شعر العانة .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى .
(٣) تقدم .
(٤) أى حفظاً وصوناً هن ، فالجلدة التى عند المرأة اذا لم تقطع كبرت حتى صارت كالعُقلة لأو الاصبع الذى يحتك بفرج المرأة مما يثير شهوتها .
(٥) انظر : المهذب للشيرازى (١٩٧\١) .
(٦) المعنى لابن قدامة (٧٠\١) .

(٢٤٧/١)

وقد استدلل الفقهاء على خفض — ختان النساء بحديث أم عطية — رضى الله عنها — قال : كانت امرأة تختن بالمدينة ، فقال لها النبى — صلى الله عليه وسلم — : "لا تنهكى ، فإن ذلك أحظى للزوج وأسرى للوجه" وفى رواية : "أنه — صلى الله عليه وسلم — لما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة وقد عُرِفَت بختان الجوارى ، فلما رآها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لها : يا أم حبيبة : هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟ فقالت : نعم يا رسول الله ، إلا أن يكون حراماً فتنهاني عنه ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : بل هو حلال ، فادن منى حتى أعلمك ، فدنيتُ منه فقال : يا أم حبيبة ، إذا أنت فعلت فلا تنهكى (١) ، فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج" (٢) .

— هل للحائض أو النفساء أن تقرأ القرآن ؟

— الجواب : قال بعض أهل العلم بجوازه ، ومنعه بعضهم ، وإن كان لضرورة كالتعليم أو الإتيار مثلاً فلا حرج .

— وماذا عن الجنب ؟

— الجواب : للجنب أيضاً أن يقرأ القرآن لقوله أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يذكر الله على كل أحواله ، وكان من أحواله — صلى الله عليه وسلم — أنه كان ينام جنباً ، ثم يغتسل قبل الفجر ، وكان يقرأ بعض السور قبل النوم ، وقد منع بعض أهل العلم الجنب من قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب ، والله أعلم .

-
- (١) أى لا تبالغى فى القطع .
(٢) إسناده ضعيف : أخرجه أبو داود بسند فيه : محمد بن حسان ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس

ومن حديث أم أيمن عند أبي الشيخ في كتاب "العقيقة" ، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقي ، انظر : "فتح الباري" (٢٦٣\١٠) ، ويكفى له حديث : "الفطرة خمس ، وإذا التقى الختانان" .

(٢٤٨/١)

— تنبيه : ولما كان الحديث عن الحيض وأحكامه أردت التنبيه أيضاً إلى مشكلة تقع فيها بعض فتياتنا عند اقتراب موعد الزفاف ، وهي تخرج بعض الفتيات من الإفصاح عن موعد "الدورة الشهرية" لأمها وتزامنها مع موعد الزفاف ، مما يؤدي بدوره إلى الوقوع في الحرج للزوجة والزوج ، فلا تخرج الفتاة من إخبار أمها بموعد الدورة إذا تزامن مع موعد الزفاف ، فيتم التأجيل لبعض الوقت حتى تنتهي الدورة ، تفادياً للحرج.

— فهل للنساء أن تصلي وتصوم ويجامعها زوجها إذا طهرت قبل الأربعين ؟

— الجواب : نعم ، إذا طهرت النساء قبل الأربعين اغتسلت وتطهرت وحلت لزوجها ، وعليها الصلاة والصوم ، فليس للنفس وقت معين .

— فما هو حكم العزل (١) عن الزوجة ؟

— الجواب : للرجل أن يعزل عن زوجته ماءه ، على أن يكون بموافقة الزوجة ، حتى لا يكون هاضماً لحقها :

— فقد روى البخاري ومسلم عن جابر قال : "كنا نعزل على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -" (٢)

— وعن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا سبياً فكننا نعزل فسالنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أو إنكم لتفعلون قالها ثلاثاً ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة (٣) .

— وعن جابر - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا (٤) وأنا أطوف عليها ، وأنا أكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فإنه سيأتيها ما قدر لها ، فلبث الرجل ، ثم أتاه فقال : إن الجارية قد حبلت ! فقال : قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها" (٥) .

(١) العزل : هو أن يجامع الرجل أهله فإذا قارب الانزال نزع وأنزل خارج الفرج .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠\٩) ومسلم (١٦٠\٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٨\٤) .

(٤) أى التى تسقى لنا النخل .

(٥) أخرجه مسلم (١٦٠\٤) .

(٢٤٩/١)

"وقد اختلف السلف فى حكم العزل قال ابن عبد البر : لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل ووافقه فى نقل هذا الإجماع بن هبيرة ، وتُعقب بان المعروف عند الشافعية أن المرأة لا حق لها فى الجماع أصلاً . وقد استنكر ابن العربى القول بمنع العزل عمن يقول بأن المرأة لا حق لها فى الوطء ونقل عن مالك أن لها حق المطالبة به إذا قصد بتركه أضرارها ، وعن الشافعى وأبي حنيفة لا حق لها فيه إلا فى وطئه واحدة يستقر بها المهر قال فإذا كان الأمر كذلك فكيف يكون لها حق فى العزل فإن خصوه بالوطئة الأولى فيمكن وإلا فلا يسوغ فيما بعد ذلك إلا على مذهب مالك بالشرط المذكور ، اهـ (١) .

— هذا ومن الأولى ترك العزل لما تقدم ولقوله فى الحديث العام : " تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ " (٢) .

— ما حكم تعاطى أو استعمال وسائل منع الحمل ؟

— الجواب : لا حرج فى استعمال المرأة لوسائل منع الحمل إذا كان الحمل ضاراً بصحة المرأة ، أو كان للمحافظة على أولادها ورعايتهما الرعاية الصحية والنفسية والتربوية الصحيحة ، لا خوفاً من الفقر أو الانفجار السكاني إلى آخر تلك المصطلحات .

— فماذا عن وطء المرضعة ؟

— الجواب : لا حرج فيه لقوله - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث الصحيح : "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم" (٣) .

ولا ريب أن وطء المرضع مما تعم به البلوى ويتعذر على الرجل الصبر عن امرأته طيلة فترة الرضاع ، ولو كان حراماً لثقل إلينا ، ولوصل إلينا بيانه عن الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين .

(١) فتح البارى (١٩٩٨\٥) بتصرف .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٣٢٠\١) والنسائى (٧١\٢) وغيرهما .

(٣) أخرجه مسلم .

(٢٥٠/١)

— هل صحيح ما يشاع أن عضو الذكورة الكبير يتمتع ويشبع المرأة جنسياً أكثر من العضو الصغير ؟
— لا صحة لهذا القول طبيّاً أو عمليّاً ، فمهبل المرأة يشبه (القفاز الطيّ) البلاستيك ، فترى هذا القفاز منكمشاً عند تركه ، ثم إذا أردت أن تدخل فيه إصبعك تمدد له كلما زاد الإصبع إدخالاً ، أو هو —
مهبل المرأة — يشبه الثنايا المتراكبة بعضها فوق بعض (مثل ثنايا جسم الدودة) كذا مهبل المرأة لها
الخاصية التي بها يستمتع بالعضو الكبير استمتاعه بالعضو الصغير ، فالرجل ذو العضو الذكري الصغير
إذا أولجه في فرج المرأة شعرت المرأة أن هذا العضو قد وصل إلى قعر المهبل وآخره ، وكذا صاحب
العضو الذكري الكبير ، يزداد المهبل اتساعاً (كأصبع القفاز) لهذا العضو ، وعليه فلا فرق بين العضو
الكبير والصغير في شعور المرأة بالاستمتاع الجنسي سواء كان العضو كبيراً أو صغيراً ، هذا والعضو
الذكوري عند الرجل يتراوح عادة بين (١٢-١٦ سم) في حالة الانتصاب ، ومحيطه ما بين (١٠-١٢
سم) وما زاد عن ذلك فهو نادر وشاذ .

— بل إن العضو الذي يزيد عن معدله الطبيعي يؤدي إلى آثار سلبية عند المرأة ، فقد يؤدي إلى دفع
الرحم وحدوث انقلاب فيه ، فتشكو آلام الظهر والحوالب وأسفل البطن ، وقد يسبب تمزق في جدران
المهبل الداخلية مما يتطلب تدخلاً جراحياً ، وقد يسبب شقوقاً فرجية وأنزفة يعلمها الأطباء .

— فهل حقاً ما تتناقله الفتيات في مجالسهن أن الرجل صاحب الجسم الضخم ذو العضلات المفتولة
أقوى جنسياً من غيره ؟

(٢٥١/١)

— القوة الجنسية تعتمد على أمور كثيرة منها الإفرازات الناتجة عن الغدد المسؤولة عن العملية الجنسية ،
الثقافة الجنسية عند الرجل ، استعداد المرأة لهذا الأمر ، الاستعداد النفسي والعاطفي لكل منهما ، وغير
ذلك الكثير ، أما الرجل صاحب العضلات المفتولة فقد لا تفرز الغدد عنده المسؤولة عن العملية
الجنسية نفس النسبة التي تفرزها الغدد عند غيره ، بل أقل من ذلك ، فقوة العضلات أو ضعفها ليست
مقياساً ، وإنما أقول أن الرجل الرياضي أفضل من غيره من الناحية الجنسية إذا توفرت له الأسباب
المتوفرة لغيره ممن لا يمارسون رياضة ، سواء أكانت تلك الرياضة عنيفة أم لا .

— هل حقاً أن الرجل غزير الشعر أقوى جنسياً من غيره ، كما يقولون أن "المشعر حبيب الرحمن" ؟
— الجواب : هذا كلام غير صحيح ، وكم من رجل مشعر على غير ملة الإسلام ، فهل يكون حبيباً
للرحمن لكونه فقط "مشعر" .

— هل للعادة السرية أضراراً على العملية الجنسية بعد الزواج ؟

— إن ممارسة العادة السرية عند بعض الشباب هي تخيل صور ومشاهد جنسية يعيشها الشخص بخياله

بعيداً عن الواقع ، وقد يندفع الشخص ويلهث وراء تلك التخييلات وينسى واقعه فيؤدى به إلى كثير من المشاكل ، سواء قبل الزواج فيستغنى بالعادة السرية عن الزواج ، أو بعد الزواج فلا يستطيع الجماع ولا يستمتع به استمتاعه بممارسة العادة السرية ، ومنهم من أراد أن يجامع أهله ذهب إلى "الحمام" لممارسة العادة ! بعد أو قبل الجماع ! وبعضهم يذهب بعقله أثناء الجماع إلى تخيل نفس الصور التي كان يتخيلها وقت ممارسة العادة ، مما قد يوقعه في "الزنا" على قول بعض أهل العلم ، وقد ثبت علمياً أن العادة السرية تؤدى إلى أمراض كثيرة قد لا يظهر أثرها إلا بعد الزواج ، منها :
موت الحيوانات المنوية عند الرجل أو أكثرها .
أنها تسبب رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين .
أنها تؤثر في الغدد المخية فتضعف القوة المدركة فتسبب قلة الفهم ونسبة الذكاء .

(٢٥٢/١)

أما : تورث ألماً في فقار الظهر ، وهو اللب الذى يخرج ماء الرجل .
أما تسبب انحناء في الظهر .
أما تؤثر في الأعصاب عامة .
أما : تحل ماء الرجل بعد أن كان ثخيناً غليظاً ، فيصبح رقيقاً خالياً من الحيوانات المنوية .
ويكفى هذا الأمر في الإقلاع عنها (طبيباً) ، كما يسبب الإفراط في العادة السرية عند الرجل إلى سرعة القذف في بعض الحالات ، وعدم انتصاب العضو كما ينبغي عن المعاشرة الجنسية وغير هذا الكثير .
وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى تحريم العادة السرية ويكفى هذا في الإقلاع عنها (شرعاً) .
— قال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (المعارج : ٢٩-٣١) أثني تعالى على من حفظ فرجه فلم يقض وطره إلا مع زوجته أو ما ملكت يمينه (الإماء) ، وحكم تعالى أن من ابتغى وراء ذلك فهو عادٍ معتدٍ متعدٍ لحدود الله تعالى (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة : ٢٢٩) .
— روى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد قال : سئل ابن عمر عن الاستمناء فقال : ذلك نائك نفسه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : أما الاستمناء باليد فهو حرام عند جمهور العلماء وهو أصح القولين في مذهب الإمام أحمد وكذلك يعزر من فعله ، وفي القول الآخر — عن الإمام أحمد — هو مكروه غير محرم وأكثرهم لا يبيحونه خوفاً للعنت (١) .
— وقد تقدم قول الشافعي رحمه الله تعالى .

— ويقول الإمام القرطبي في تفسيره (٢) :

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٩\٣١) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠٥\١٢) وانظر المغنى لابن قدامة ، وتفسير أضواء البيان للشنقيطي (٧٦٩\٥) .

(٢٥٣/١)

قال محمد بن عبد الحكم : سمعت حرملة بن عبد العزيز قال : سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة (١) فتلا هذه الآية : (وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) إلى قوله : (الْعَادُونَ) وهذا لأنهم يكونون عن الذكر بعميرة ، وفيه يقول الشاعر :

إذا حللت بواد لا أنيس به..... فاجلد عميرة لاداء ولا حرج

ويسميه اهل العراق : الاستمناء وهو استفعال من المنى ، وأحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة أصله الفصد والحجامة ، وعامة العلماء على تحريمه .
وقال بعض العلماء : إنه كالفاعل بنفسه وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قبلة وياليتها لم تقل ، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها .

— فما هي كيفية العلاج لمن ابتلى بهذا الأمر ؟

— نقول له : طرق العلاج كثيرة ، وكان هناك من يدمن تلك العادة السيئة ، وما كان أيسر إقلاعه عنها بفضل الله تعالى وتيسيره ، وذلك لمن أخلص النية وطلب الرضوان ، ومن هذه الطرق :
١- الصيام : لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ" (٢) ، ولا تستهن بالصيام ، فإن له تأثيراً عجبياً في رفع تلك العادة لا يعلمه إلا من أخلص الصيام والدعاء والنية .

(١) أى عضوه .

(٢) أخرجه البخارى (١٩٥٠\٥) ومسلم (١٠١٨\٢) .

(٢٥٤/١)

- ٢- معرفة سوءها من اسمها (العادة السيئة) ! ولا تحلف على تركها ولا تنذر ، حتى يدخل عليك الشيطان إذا أنت فعلتها مرة أخرى ، فيوسوس إليك بأن الحلف لم يأت بثمره ، أو أن يوسوس إليك أنك تستهين بالحلف أو النذر ، وأنه لا طاقى لك على تركها رغم الحلف والنذر ، ثم يدخل إليك بوسوسته فتترك الصلاة أو الصيام أو مصاحبة الصالحين ، وأعلم أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، وما هى إلا لحظة يعقبها فرح أو ترح .
- ٣- تجنب الوحدة ، فمن شعر بالحاجة إلى ممارسة تلك العادة السيئة خرج إلى المسجد فجلس فيه حتى يهرب منه شيطانه ، وهكذا حتى يضيئه ، أو إلى صديق يجالسه .
- ٤- دفع تلك الخواطر عن رأسه حتى لا تتحول الخطرات إلى أفكار ، ثم إرادات ، وذلك يتأتى بانشغال الفكر في عاقبة تلك العادة من سوء ، وأنها مجرد لحظات يشعر بعدها العبد بالندم ، ولو أنه تمهل وتماسك قليلاً ما أقدم عليها .
- ٥- التقرب إلى الله تعالى بالصلاة وقراءة القرآن ، والدعاء برفع ذلك الأمر عنه ، وما أسرع دعوة المكروب المضطر إلى الإجابة .

(٢٥٥/١)

- ٦- غض البصر : وتجنب المشتريات من المنظورة والمسموعة والمقروءة ، وأعلم أن غض البصر من أهم الاسباب التى تنأ بصاحبها عن الوقوع في الرذيلة ، فكلما علا البصر تعلق القلب بالمنظور وطلبه واشتتهاه ، وإذا لم يجد إليه سبيلاً انصرف إلى ما هو دونه ، محاولاً استفراغ الطاقة ، والمرء لا يحتاج من الطريق إلا بضعة خطوات أمام قدميه ، ومن جعل له "ورداً" يقرأه في يومه وليلته — خاصة في الطريق — انشغل به عن النظر ، وكان قلبه مشغولاً بالخالق ، وأصبح المخلوق له — في الطريق — أشباح لا يرى منها ما يتعلق به القلب ، وانصرف بقلبه إلى مراجعة ما يحفظ من كتاب الله تعالى ، أو الإتيان بالورد والأذكار ، ولو تفكر العبد قليلاً فيما يجنيه عليه بصره ، وما يفوته من عتق الرقاب ومحو السيئات وتحصيل الحسنات ورفع الدرجات بالقرآن والأذكار لتغصت عليه حياته وما تعلق قلبه بغير الله تعالى وذكره ومحاولة التقرب إليه تعالى .
- ٧- ممارسة الرياضة ، و محاولة التقدم إلى أعلى مستوياتها ، ومعرفة أن تلك العادة تذهب بتعبك واجتهادك وتقف حائلاً بينك وبين وصولك إلى ما تريد مركز مرموق في تلك الرياضة .
- ٨- أعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه ، فماذا لو أنك متَ وأنت تفعل تلك الفعلة ؟! اللهم أحسن خاتمتنا .

٩- الثقة بالنفس : واعتزاز الشاب بنفسه وطلبه الوصول إلى أفضل المراتب وأعلىها مما يؤهله إلى التعجيل بالزواج واختيار الانسب له والأفضل لبناء أسرة اسلامية .

(٢٥٦/١)

— وأعلم أحي أن أفضل من ممارسة تلك العادة هو الزواج والتعجيل به ، وهو أفضل الطرق لإشباع تلك الرغبة الكامنة وقتما تشاء ليلاً أو نهاراً ، مرة أو أكثر ، ولك أن تتخيل أنك وقتما تريد ممارسة الجنس والجماع تستطيع هذا وقتما تشاء ودون حرج ، بل ولك الأجر في هذا ، بينما هناك من يريد إشباع غريزته فيذهب إلى ممارسة العادة وتخييل الصور المثيرة بينما يستطيع أن يمارس الجنس دون الحاجة إلى تخيل الصور المثيرة وإثارة نفسه وأعضائه ، بل وملامسة جسد المرأة ونكاحها ! أو يضطر إلى "خطف" فتاة من الطريق لإرواء لحظات تأتي بعدها الحسرة والندامة ، وكل رجل من الله عليه بالزواج ليستغرب مثل تلك الأفعال من الشباب الذين يلجئون إلى خطف الفتيات من الطريق وانتهاك أعراضهن — والعياذ بالله تعالى — مجرد لحظات قليلة ، بينما الطريق أمامه لإشباع رغبته وقتما يريد بالزواج الذي شرعه الله تعالى متنفساً لعباده ، ولك أن تتخيل شاباً يجلس مع زوجته وهو يشاهد زميل له متهم بهتك عرض فتاة صغيرة أو كبيرة أو خطفها ، بينما هو يجلس يداعب ويلعب زوجته ، أو شاباً يُتهم في الطريق أو وسائل المواصلات "بمزاخة" الفتيات والنساء أو ملامستهن بغية الإثارة ! بينما هناك من يعود إلى بيته ليلايمس ويداعب ويجامع زوجته ، فالزواج الزواج أحي .

ووالله لو أنك دعوت الله تعالى بنية خالصة وتضرع أن يكفيك شر فتن الطريق ، وأن يمنَّ عليك بالزوجة الصالحة لتعف نفسك عن الوقوع فيما يغضب الله تعالى لرأيت من نعم الله تعالى الكثير ، فقط عليك بتقوى الله تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) الطلاق : ٢ — ٣ .
وتقدم الحديث أن الله تعالى في عون طالب العفاف ، فقط ليرى الله تعالى منك هذا ، وستضحك بعد الزواج من نفسك : كيف كنت تأتي تلك الأفعال الصبيانية ، وتعرض نفسك لنظرات الإهتام وما يتبع هذا .

(٢٥٧/١)

— يقال إن ممارسة العادة السرية للرجل تؤدي إلى زيادة حجم العضو ، فهل هذا صحيح ؟
— الجواب : إن العضو الجنسي عند الرجل لا يمكن زيادة حجمه عما هو عليه ، وهذا تبرير في غاية البعد عن الحقيقة طبيياً وعقلياً ! .

— فهل من أضرار عند ممارسة الفتاة للعادة السرية ؟

— الجواب : نعم ، ففي ممارسة الفتاة أو المرأة للعادة السرية أضرار ما في ممارسة الشاب أو الرجل لها ، وقد تتزلاق بعض الفتيات في متزلق العادة السرية فلا تشعر "بالإصبع أو غيره" إلا وقد شق وفض بكارهما ! أو انشطار "بعض الأدوات الطبية" داخل رحمها مما يؤدي بها إلى إجراء عملية جراحية لها لإستخراجها ، أو التهاب الفرج من احتكاك "بعض الأدوات القطنية" ، أو جرح الفرج أو الدبر من جراء استعمال "بعض الأدوات الخشنة" ! أو تسلخ الجسم من استعمالها لبعض "الزيوت" ، وما تسببه هذه الأدوات وغيرها من أذى للمهبل ، وأمراض كالسيلان ، كما يؤدي مداعبة الفتاة لصدرها عند ممارستها للعادة إلى ترهل الثدي .

— وهنا يجب أن ننبه إلى تلك العادة القبيحة التي استهوت بعض الفتيات وهي ممارسة "السحاق" تقليداً لبعض الفنانات ! أو لما تسمعه أو حفاظاً على "شرفها وعفتها" ! فتلجأ الفتاة إلى تلك العادة القبيحة التي أخذت في الانتشار بين علية القوم ، فالحذر الحذر أيتها الفتاة من مقاربة تلك العادة ، أو مجالسة من تمارسها فإن "مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ" .

— هناك من الأزواج من يجامع أكثر من مرة في كل مرة يأتي فيها أهله ، فهل هذا يؤثر على قوته الجنسية ؟

(٢٥٨/١)

— الجواب : من المقرر لدى أهل الطب أن الرجل إذا أراد الجماع فإنه لا يأتيه إلا إذا شعر بالحاجة إليه ، وهنا تكون خصية الرجل ممتلئة بالسائل المنوي ، مما قد يؤدي بالرجل إلى سرعة القذف في بعض الأحيان ، فيستفرغ أكثر السائل المنوي ، فلا يشعر الزوجان بالاستمتاع ، مما يحذو بالكثير إلى معاودة الكرة مرة أخرى وثالثة ، وتكون الخصية قد أفرغت أكثر ما فيها من السائل المنوي مما يؤدي إلى إطالة فترة الجماع في المرة الثانية أو الثالثة — وهناك من يزيد على هذا مما قد يؤدي إلى قذف "الدم" بدلاً من السائل المنوي الذي أفرغته الخصية عن آخره (١) ، فيصيب الرجل والمرأة بالمرض ، فليكن الرجل على حذر من معاودة الجماع في المرة الواحدة أكثر من مرتين أو ثلاث — ولكن هناك من يتأخر في القذف في المرة الواحدة مما يُشعر الرجل والمرأة بالاستمتاع بالجماع ، فإن شاء عاود أو ترك .

— فما هي عدد مرات المعاشرة الزوجية التي لا تؤدي إلى ضعف الرجل جنسياً أو المرأة ؟
— تقدم أن الإسلام هو دين الوسطية ، والوسطية في مثل هذه الأمور مطلوبة ، وعدد مرات المعاشرة الجنسية بين الأزواج لا تنحصر بعدد معين ، فبعض الرجال يجامع مرة أو أكثر في كل يوم ، والبعض في كل ثلاثة أيام مرة ، والبعض في كل أسبوع مرة ، وغير هذا ، ويرجع هذا إلى الحالة النفسية للرجل

وللمرأة معاً ، واستعداد كل منهما لهذه العملية ، وكذا تختلف النساء ، فالبعض منهن يشتهين هذا الأمر مرة كل يوم ، والبعض كل ثلاثة أيام ، وهكذا ، فالأمر يختلف باختلاف الناس وأحوالهم .
— ما هي مواصفات الرجل المحمود عند النساء عند أهل الباه في كتب من سبق ؟
— قالوا : "إن الرجال والنساء على أصناف شتى ، فمنهم محمود ومنهم مذموم .

(١) وقد حدثني أحدهم بهذا عن نفسه .

(٢٥٩/١)

فأما المحمود من الرجال عند النساء فهو كبير المتاع (١) ، الشديد ، القوى ، الغليظ (٢) ، البطيء الهراقة (٣) ، السريع الإفاقة من ألم الشهوة ، وذلك مستحسن عند النساء من الرجال ، لأن النساء إنما يردن من الرجل عند الجماع أن يكون وافر المتاع ، طويل الاستمتاع ، خفيف الصدر ، ثقیل العجز ، بطيء الهراقة للماء ، سريع الإفاقة ، ويكون إيريه مبلغاً لقعر الفرج ، يسده سداً ويمده مداً ، فهذا محمود عند النساء ، قال الشاعر :

رأيت النساء يشتهين من الفتى خصالاً لا تكون في الرجال تدوم
شباب ومال وانفراد وصحة ووفر متاع في النكاح يدوم
ومن بعد ذا عجز ثقیل نزوله وصدر خفيف فوقهن يعوم
ويبطئ لإهراق لأنه كلما أطال أجاد الفعل فهو يدوم
ومن بعد إهراق يفيق معجلاً ليأتى بإكرام عليه يحوم
فهذا الذى يُشفى النساء بنكحه ويكون قدره عندهن عظيم (٤)
— فما المحمود من النساء عندهم ؟

(١) كناية عن كبر العضو .

(٢) أى : غليظ الذكر .

(٣) يعنى : بطيء في إنزال الماء ، وهذا بدوره يؤدي إلى إطالة فترة الجماع مما يزيد من لذة المرأة واستمتاعها .

(٤) من كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى .

(٢٦٠/١)

— قالوا : "إن النساء على أصناف شتى ، فمنهن محمود ومنهن مذموم ، فأما الخمود من النساء عند الرجال فهي : المرأة الكاملة القد (١) ، العريضة ، خصيبة اللحم ، كحيلة الشعر ، واسعة الجبين ، زجة الحواجب (٢) ، واسعة العيون في كحلة ناصعة ، وبياض ناصح ، مفخمة الوجه ، أسيلة (٣) الخدين ، ظريفة الأنف ، ضيقة الفم ، محمرة الشفاة واللسان ، طيبة رائحة الفم والأنف ، طويلة الرقبة ، غليظة العنق ، عريضة الأكتاف ، واسعة الحزم (٤) ، كبيرة الترمين (٥) ، عريضة الصدر ، واقفة النهد ، ممتلئ صدرها ونهداها حمماً ، مقعدة البطن ، وسرتها واسعة غارقة ، عريضة العانة ، كبيرة الفرج ، ممتلئ حمماً من العانة إلى الترمين ، ضيقة الفرج ليس فيه ندوة ، (٦) رطب ، سخون تكاد النار تخرج منه ، ليس فيه رائحة ، قديرة غليظة الأفخاذ والأوراك ، ذات أرداف ثقال ، وأعكان وخصر جيد ، ظريفة اليدين والرجلين ، عريضة الذراعين ، غليظة الزندين ، بعيدة المنكبين ، إن أقبلت فتنت ، وإن أدبرت قتلت ، وإن جلست كالقبة المنصوبة ، وإن رقدت كالبند (٧) العالى ، وإن وقفت كالعلام (٨) ، قليلة الضحك والكلام في غير نفع ، ثقيلة الرجلين عن الدخول والخروج ولو لبست الجيران ، قليلة الكلام معهم ، لا تعمل من النساء صاحبة ولا تطمئن لأحد ولا تركزن إلا لزوجها ، ولا تأكل من يد أحد إلا من يد زوجها وقرابتها إن كان لها قرابة ، ولا تخون في شئ ولا تغدر ولا تستر على حرام ، إن دعاها زوجها للفراش طاوخته وسبقته إليه ، تعينه على كل حال من الأحوال ، قليلة الشكاية والنكابة ، لا تضحك ولا ينشرح خاطرها إلا إذا رأت زوجها ، ولا تجود بنفسها إلا على زوجها ولو قُتلت صبراً"

(٩)

(١) القد : القوام .

(٢) طويلة الحواجب دقيقتها .

(٣) أى لينة الخدين .

(٤) الوسط .

(٥) العجزتين : أى المؤخرتين .

(٦) أى : قذارة .

(٧) أى : العلم العالى .

(٨) أى : كالعلامة .

(٩) أى : حبساً ، من كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى .

- وقيل : ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهن أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها .
- وقصر أربعة يدها ورجلها ولسانها وعينها فلا تبدل ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها .
- وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها .
- وسواد أربعة أهدابها وحاجبها وعينها وشعرها .
- وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتها وإشراب بياضها بحمرة ودقة أربعة أنفها وبناتها وخصرها وحاجبها .
- وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وذاك منها (١) .
- وسعة أربعة جبينها ووجهها وعينها وصدرها .
- وضيق أربعة فمها ومنخرها وخرق أذنها وذاك منها ، فهذه أحق النساء بقول كثير :
- لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
- وقال صالح بن حسان يوماً لأصحابه : هل تعرفون بيتاً من الغزل في امرأة خفزة ؟ قلنا : نعم ، بيت لحاتم في زوجته ماوية :
- يضى لها البيت الظليل خصاصهإذا هي يوماً حاولت أن تبسما
- قال ما صنعتن شيئاً ، قلنا : فبيت الأعشى :
- كأن مشيتها من بيت جارتمامر السحابة لا ريث ولا عجل
- قال : جعلها تدخل وتخرج ، قلنا : يا أبا محمد فأى بيت هو ؟ قال : قول أبي قيس بن الأسلت :
- ويكرمها جارتما فيزرنهاوتعتل عن إتيانهن فتعذر
- قلت : وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقب بنفطويه رحمه الله :
- وخبرها الواشون أن خيالهاإذا نمت يغشى مضجعي ووسادى
- فخفرها فرط الحياء فأرسلتتعيرني غضبي بطول رقادى
- ومما يستحسن في المرأة : رقة أديمها (٢) ونعومة ملمسه ، كما قال قيس بن ذريح :
- تعلق روحى روحها قبل خلقناومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
- فزاد كما زدنا فأصبح نامياًفليس وإن متنا بمنفصم العهد
- ولكنه باق على كل حادثومؤنسنا في ظلمة القبر واللحد
- يكاد مسيل الماء يחדش جلدهاإذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
- قلت : ومن المبالغة في معنى البيت الأخير قول أبي نواس :

(١) كناية عن الفرج .

(٢) جلدتها .

(٢٦٢/١)

توهمه قلبي فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بقلبي خاطر فجرحته ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر
وصافحه كفى فآلم كفه فمن غمز كفى في أنامله عقر (١)

— فما المكروه من الرجال عند أهل الباه ؟

— الجواب : قالوا : "إن المكروه من الرجال عند النساء هو الذى يكون رث الحالة ، قبيح المنظر ، صغير الذكر ، فيه رخو ، ويكون رقيقاً ، وإن أتى إلى امرأة لا يعرف لها بقدر ، ولا يحظ ، يصعد على صدرها من غير ملاعبة ولا بوس ولا تعنيق ولا عض ، ثم يولج فيها الذكر المرخى بعد مشقة وتعب ، فيهزه هزة أو هزتين ، فيترل من على صدرها بجهد ، فيلقى نزوله أكثر من عمله ، ثم يجمد ذكره ويقوم .

كما قال بعضهم : يكون سريع المراقبة ، بطئ الافاقة من ألم الشهوة ، صغير الذكر ، ثقل الصدر ، خفيف العجز : فهذا لا خير للمرأة فيه (٢) .

— فما المكروه من النساء عندهم ؟

(١) انظر : روضة الحبين المنسوب لابن القيم ، بتحقيقى ، وقد من الله تعالى بتحقيقه منذ سنوات وبيان عدم نسبته إلى ابن القيم وبيان صلة النسب لصاحبه .

(٢) من كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى .

(٢٦٣/١)

— الجواب : قالوا : "إن المكروه المبعوض من النساء عند الرجال : المرأة السمجة ، قليلة السر ، مكركدة الشعر (١) ، خارجة الجبهة ، ضيقة العينين ، مع رطوبة ، كبيرة الأنف ، زرقة الشفتين ، واسعة الفم ، مكرمة الخدين ، مفترقة الأسنان ، زرقة الغبة (٢) ، نابذة الذقن ، رقيقة الرقبة بعروق خارجين فيها ، قليلة عرض الأكتاف ، قليلة عرض الصدر ، لها ثديان كالجلود الطوال ، ولها بطن كالحوض الفارغ ، وصرة طالعة كالجوزة ، وضلع نائتين كالأقواس ، وظهر له سلول طالع ، وتراهم ليس فيهم

من اللحم من شئ ، وفرج واسع بارد منتن وعفونة وماء ، كبيرة الركبتين والرجلين واليدين ، رقيقة الساقين .

فصاحبة هذه الخصال ليس فيها خير ولا فيمن يتزوجها ويقربها (٣) .

— قلت : الناس في وصف جمال المرأة على طرق ومذاهب شتى ، فالسمينة عند البعض هي جميلة الجميلات ، بينما يرى البعض أن نحيفة الجسم هي الأجل والأفضل ، ومنهم من يقول : البياض شطر الجمال ، والآخر يقول : بل هو السمار ، ولكنهم جميعاً اتفقوا على أن المكروه من النساء :

(١) أى أن شعرها سئ ويعتبر البعض كركدة الشعر موطن جمال في المرأة .

(٢) أى ما يتدلى من أسفل الفم منتفخاً .

(٣) من كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للقاضي النفزاوى .

(٢٦٤/١)

"كثيرة الحس ، عالية الصوت ، كثيرة الكلام ، خفيفة الرجل ، كثيرة القيل والقال ، نقالة الأخبار ، قليلة كتم الأسرار ، كثيرة الكذب ، صاحبة الأحيال صاحبة الظلال ، همزة ، غمازة ، نمامة ، صاحبة غيبة وضرق واشتغال ، كاشفة لأسرار زوجها وفاعلها ، إن قالت كذبت ، وإن وعدت خالفت ، وإن أوثمت خانت ، والفساقة والسارقة ، والعيطة ، والشهدارة ، والبهارة ، وقليلة الدبارة (١) ، وكثيرة الاشتغال بالناس وغيوبهم ، وكثيرة البحث والتفتيش على الأخبار الباطلة ، وكثيرة الرقاد ، وكثيرة الشماتة بالمسلمين وبزوجها ، والتي تكون ملسانة دغاية ، خفيفة ، منتنة الرائحة ، إذا انتت قتلت ، وإذا مشت أراحت" (٢) .

وقيل لأعرابي : صف لنا شر النساء : فقال : شرهن النحيفة الجسم ، القليلة اللحم ، المحياض ، الممرض ، لسانها كأنه حربة ، تبكى من غير سبب ، وتضحك من غير عجب ، عرقوبها حديد ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، صوقها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على زوجها ، ولا تعين زوجها على الزمان ، إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، تبكى وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دلى لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور ، ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور ، هذه هي شر النساء .

— فما تحب المرأة من أخلاق الرجل ؟

(١) الشهادة والبهاارة والدبارة : أى الفحش والنميمة وقلة الذرية مع الحماقة .

(٢) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى .

(٢٦٥/١)

— الجواب : قالوا : "الذى تحبه المرأة من أخلاق الرجال أن يكون سخياً شجاعاً صدوقاً ، حلو المنطق ، بصيراً بالجد والهزل ، وفياً بالعهد والوعد ، حليماً متجبلاً لما يرد عليه من تلوئن ، وأن يكون ظريفاً فى ملبسه ومطعمه ومشربه ، وأن يكون كثير الإخوان معتنياً بقضاء حوائجهم غير متكره لذلك ، ولا ضيق الصدر ، وأن يكون متجنباً لمعاشرة الأوضاع والسفلة ومن لا خير فيه ، بل من يشاكلة فى الظرف والنزى والخلق .

ومن دواعى المودة منهم أن يكون الرجل نظيف الثغر ويتفقد ذلك بالسواك (١) والأشياء المطيبة للنكهة ، نظيف اليدين والرجلين ، والأظفار يقلمها (٢) ، حسن الثياب ، طيب الرائحة .

فإذا اجتمع مع هذه الأوصاف كثرة المال والكرم فذاك الكامل عندهم ، المحبوب إليهم (٣) .

— وما يزيد فى شهوة الرجل :

وقيل أن مما يزيد فى الشهوات ويجب بعضهم إلى بعض : المذاكرة والمحادثة ، والعمدة فى هذا كله فراغ القلب وإدخال السرور عليه .

(١) كان - صلى الله عليه وسلم - أول ما يدخل بيته يبدأ بالسواك ، وهذا الخلق يفتقده الكثير من أزواج اليوم ، وهو الاهتمام بنظافة الثغر والتسوك دفعا للروائح الكريهة التى تؤدى إلى نفرة الزوجة أو من يحدث ، كما يجب على المرأة مثل هذا ، وهو الاهتمام بنظافة الفم ورائحته عامة وعند الجماع خاصة .

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) من كتاب الروض العاطر فى نزهة الخاطر للقاضى النفزاوى .

(٢٦٦/١)

وقيل أن الذى يحرك شهوة الرجال للنساء تحريكها عجيزتها وتغنجها فى كلامها وترجيعها بطرفيها وضربها كفيها على ذكر الرجل وعركه (١) وشخرها ونخرها (٢) عند الجماع ، وكشف حرها وأخذ يد الرجل ووضعها عليه ، وكشف محاسن بدنها وإسبال شعرها ، وتقبيلها له قائماً منتصباً (٣) ، فإن

حرها يختلج ويضرب عليها ، فإذا جسسته ولعبت به استرخت مفاصلها وذابت وهدأت حركتها ، وإذا أخذته بيدها تفتقت شقائقها من داخل رحمها (٤) .

واعلم أن كل ما يحرك الرجل من النظر والكلام واللمس يحرك من المرأة أضعاف ذلك .

— هل لممارسة الجنس سن معين تنتهي عنده ؟

— الجواب : يظن البعض أن الجنس عند الرجل يقل أو ينتهي عند فترة زمنية معينة ، وهذا خطأ ، فالجنس أو العملية الجنسية والمعاشرة الجنسية لا صلة لها البتة بوصول الرجل إلى سن معين ، بل يستطيع الرجل أن يمارس العملية الجنسية ما دامت عنده القدرة على هذا ، وإن بلغ من العمر السبعين أو أكثر ، وكذا هو عند المرأة .

— ومن أسباب الشهوة وما يقوي على الجماع :

اعلم أن أسباب شهوة الجماع ستة :

(١) سئل الإمام أبا حنيفة : هل يجوز للرجل أن يمس فرج امرأته ، أو المرأة تمس فرج زوجها ؟ قال : نعم ولعله أعظم للأجر .

(٢) شجر المرأة ونحرها وإن تعاطى الرجل التؤهات والحركات النعامة الحاملة والرعدة بين يديه عند اقترابه منها ، والتقلب يمنة ويسرة ، كل هذا مما يزيد في شهوة الرجل وتعلقه أكثر بها ، واستمتاع الطرفين بالجماع .

(٣) لا حرج في استمتاع المرأة بفرج زوجها أو العكس .

(٤) ومس المرأة فرجها بيمينها وشمالها جائز وكذلك مسها ذكر زوجها أو سيدها بيمينها أو بشمالها جائز برهان ذلك أن كل ما ذكرنا فلا نص في النهي عنه وكل ما لا نص في تحريمه فهو مباح بقول الله تعالى : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) ، المحلى (٧٧\٢) .

(٢٦٧/١)

حرارة الصبا ، وكثرة المنى ، والتقرب فيمن يشتهي ، وحسن الوجه ، وأطعمة معروفة ، والملازمة .
وثمانية أشياء تقوى على الجماع وتعين عليه ، وهي : صحة البدن ، وفراغ القلب من الهموم ، وجلاء النفس ، وكثرة الفرح ، وحسن الغذاء ، واختلاف والألوان ، وكثرة المال ، ومشاهدة الحيوانات وهي تمارس العملية الجنسية .

— ما هي الأعشاب والأطعمة الموقية للشهوة ؟

— ومن الأطعمة الموقية للشهوة المعينة على طول الجماع : الحبة السوداء، البصل ، الزنجبيل ، الفجل ،

الجرجير ، الحمص ، الكراث ، اللوبيا ، الجزر ، الجوز ، اللوز ، الموز ، الحمص ، الفلفل ، السمسم ،
الصنوبر ، الزعفران ، الحلبة ، الفستق ، البندق ، التين ، الجبهان ، جوزة الطيب ، القرنفل ، التمر
هندي ، العنب ، الحمام ، التفاح ، الكر كديه .

ومنها أيضاً : الألبان ، خاصة لبن البقر والإبل ، الأسماك وخاصة الجمبرى ، لحوم الضأن والجدى الذكر
السمين ، البيض خاصة الصفار ، العسل ، العصافير ، بيض السمك : الكفيار ، الكوارع ، الزبيب .
وقيل : الجوز المشوى بتمر يقوى جداً على الباه ، والحمص المطبوخ باللحم والبصل الكثير المقلّى
بالسمن ويضاف إليه بيض ويقلّى الجميع ، وصفار البيض يقلّى ثم يصب عليه العسل الكثير ويؤكل
بالخبز .

— وقيل : الزنجيل اليابس إذا دق وشرب بلبن بقر غلى الريق حرك شهوة الجماع ، والموز يحرك شهوة
الجماع ويزيد فى المنى ، والألبان كلها تدفع ضرر الجماع .

— وبعض الأطباء يصف خلطة تتكون من عدة نباتات مثل القرع والشمام والبطيخ الأصفر والخيار
الذى يجب أن يُقشر ثم تسحق هذه المكونات سحقاً ناعماً ثم يمزج المسحوق مع كمية من سكر النبات
الناعم لتحسين الطعم ويؤخذ منه ثلاث ملاعق متوسطة كل يوم بشكل دائم أو حتى تتحسن الحالة
وبفضل لمدة مائة يوم .

(٢٦٨/١)

— وبعض الأطباء أيضاً يؤكد على وضفة أخرى تعتمد على كوب عسل ونصف كوب بصل ، ويقلّى
المزيج سوياً حتى يتبخّر العسل وتنعدم رائحته تماماً من العسل ، وتؤخذ منه ملعقة بعد كل أكلة ، وهذا
المزيج مفيد جداً .

— وكذلك يفيد البصل المشوى والفستق وطلع النخل ، وهذا المزيج مفيد جداً ولا أثر له جانبي على
الصحة .

— ويؤكد بعضهم على أهمية "القرفة" حيث أنها تعمل على تنبيه الجنس ، وتستعمل القرفة بعد سحقها
فيؤخذ منها مقدار نصف جرام فقط مع قليل من الماء مرتين إلى أربعة مرات يومياً ، ويمكن إضافة
مسحوق القرفة إلى القهوة أو الشاي دون تغيير فى طريقة الاستعمال .

— هذا بالإضافة إلى تناول الحبة السوداء مطحونة قدر ملعقة ، وتضرب فى سيع بيضات بلدى وتؤخذ
يوماً بعد يوم ، لمدة شهر تقريباً ، ويمكن تناول ثلاثة فصوص ثوم بعد كل مرة منعاً للكوليسترول .

— ومن الأغذية القاطعة للباه : الكافور : استعماله يقطع الباه ، وإن شرب كان أقوى ، والكزبرة
اليابسة : إذا نقعت فى ماء وشرب نقيعها بسكر أو عسل قطع الانعاظ (الانتشار) ويسبب المنى ، العدس :

إذا طبخ بالعسل قلل شهوة الجماع ، الرجل : تضعف شهوة الجماع .

— هل للإيحاء عمل في العملية الجنسية ؟

— الجواب : نعم ، للعامل النفسى والإيحاء أثر كبير فى نجاح العملية الجنسية أو فشلها ، فالرجل يستطيع أن يتغلب على ضعف العملية الجنسية أو عدم الانتصاب بالإيحاء الذاتى بقوته الجنسية وقدرته على إنجاحها أو فشلها ، وكما يُقال : "من يخاف من العفريت يطلع له" ! فمن يخشى فشله عند الجماع سيفشل ، ومن أقنع نفسه واقتنع بنجاحه سينجح .

— فهل للتدوين مهمة جنسية عند المرأة ؟

— الجواب : نعم ، بل هما من أهم الأماكن إثارة عند المرأة ، ومداعبة الرجل لهما يعجل بالإنزال عندها ، قال تعالى عن ماء الرجل والمرأة أنه : (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق : ٧) والترائب : أى صدر المرأة .

(٢٦٩/١)

— هل من سبب للبرود الجنسى عند المرأة ؟

— الجواب : قد يكون البرود الجنسى عند المرأة ناتجاً من عوامل نفسية كجهل الزوج بفن المداعبة والملاعبة واستثارة المرأة ، أو خوفها هى من فشل العملية الجنسية أو سرعة القذف عند الرجل أو إهماله لها ، أو سوء المعاملة أو إنشغال الذهن أو الخوف من الحمل ونحو هذا . وعلى المرأة التى تعاني البرود الجنسى أن تحاول جاهدة فى مساعدة زوجها كى يصل بها إلى حالة النشوة والشعور باللذة الجنسية ، فلا تتركه وحده يغرس ولا يجد الأرض الصالحة التى تشتاق إلى غرسه وزرعه ، كما أن على الزوج أن لا يميل — ولا الزوجة — البحث عن مناطق الإثارة عند زوجته واللعب على أوتارها ، وليعلم أن هذا حق زوجته عليه بل هو من أهم حقوقها وليحفظ على نفسه أهله وبيته .

— فما العلاج ؟

— الجواب : العلاج يكون بإبطال الأسباب ! .

— ما هو الشبق ؟

— الجواب : الشبق هو الإحساس وطلب النفس للجنس ، والإشباع الجنسى .

— ما هى أسباب الشبق عند النساء ؟

— الجواب : إن شعور المرأة بالشبق الجنسى وطلب النفس لها بصورة مُلحة عند المرأة يرجع إلى أسباب عديدة ، منها :

زيادة الهرمونات الأنثوية لدى المرأة مما يؤدي بدوره إلى تضخم البظر عندها وشعورها بالحاجة إلى الجنس

، الفراغ العقلي والنفسى والابتعاد عن أسباب الحصانة الدينية ، أو إهمال المرأة في النظافة الجسدية لأعضائها التناسلية بصورة جيدة .

— والعلاج ؟

— الجواب : العلاج بمضادات أسباب الشبق الجنسي .

— هل تحتلم المرأة كما يحتلم الرجل ؟

(٢٧٠/١)

— الجواب : نعم ، روى مسلم في صحيحه عن أم سليم : " أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل في منامه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل ، فقالت أم سلمة : واستحييت من ذلك ، قالت : وهل يكون هذا ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فمن أين يكون الشبه ، إن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه " ، وفي رواية عند الإمام مسلم أيضاً : " إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه الولد أعمامه " .

— أحياناً يذكر الرجل - أو المرأة - أنه احتلم ، ثم إذا استيقظ لا يجد ماء ، فهل عليه الغسل ، أو لا يذكر احتلاماً ثم يُصبح فيجد الماء ، فهل عليه غسل ؟

— الجواب : روى الإمام أبو داود ومن طريقه البيهقي عن عائشة قالت : " سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً ؟ قال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللاً ؟ قال : لا يغسل عليه ، قالت أم سلمة : يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل ؟ قال : نعم ، إن النساء شقائق الرجال " (١) .

— فما أهمية ومكانة الجنس عند المرأة ؟

(١) تقدم .

(٢٧١/١)

— الجواب : إن الحياة الزوجية ليس حياة جنسية فحسب ، بل هي إتباع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وما في الزواج من الفوائد العظيمة من حفظ الأنساب وإفراغ الشهوة عند الرجل والمرأة في موضعها الصحيح الحلال ، والتكاثر الذي حثنا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ،

وإخراج النشأ الذى يحمل راية التوحيد عالية خفاقة ، إلى غير ذلك الكثير من فوائد الزواج التى تقدم بعضها فى أول الكتاب ، فالجنس عند الرجل يأخذ مرتبة متأخرة بخلاف المرأة ، كما أن للعملية الجنسية عند الزوجة مكانتها ، ولكن يعلو هذه المكانة والمرتبة أن يمرر الرجل أصابعه خلال شعرها .
أن تضع المرأة خدها على كف أو صدر زوجها .

لمسة حانية من زوجها تغنيها عن الجماع .
إن لمسة الحنان تراها المرأة من زوجها تأجج الحب فى قلبها .
أن يهمس فى أذنها : أحبك ، فالأهم من جماع الزوجة أن تشعر بحب زوجها لها فى كل حركة وسكنة وكلمة ولمسة منه لها ، فلا تظن أذى أن سعادة المرأة وحظها مقصور فقط على العملية الجنسية أو الفراش ! فالحب ليس إلا فصلاً من حياة الرجل ، ولكنه كل الفصول وحياة المرأة ، بل له تعيش وعنه تبحث .

— فماذا تقول فيما يسمونه بـ"الحب العذرى" ، وهو الحب الروحي كما يطلقون عليه ، فلا جماع فيه ولا نكاح ، فهل هناك حب بلا جماع ولا نكاح بين الزوجين ؟
— الجواب : "قال أبو الهذيل العلاف : لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبائع ولا فى الواجب ولا فى الممكن أن يكون محب ليس لمحبه إليه ميل ، وإلى هذا المذهب ذهب أبو العباس الناشئ حيث يقول :

عيناك شاهدتان أنك من.....حر الهوى تجدين ما أجد
بك ما بنا لكن على مضضٍ.....تتجلدين وما بنا جلد
وقال أبو عيينه :

تببت بنا قهذى وأهذى بذكرها.....كلانا يقاسى الليل وهو مسهد
وما رقدت إلا رأتني ضجيعها.....كذاك أراها فى الكرى حين أرقد
تقر بذنبى حين أغفو ونلتقى.....وأسألها يقظان عنه فتجحد

(٢٧٢/١)

كلانا سواء فى الهوى غير أنماتجلد أحياناً وما لى تجلد
وقال عروة بن أذينة :
إن التى زعمت فؤادك ملهاخلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذى زعمت بما فكلا كماأبدى لصاحبه الصباية كلها
فإذا تشاكلت النفوس وتمازجت الأرواح وتفاعلت تفاعلت عنها الأبدان وطلبت نظير الامتزاج والجوار

الذي بين الأرواح ، فإن البدن آلة الروح ومركبه ، وبهذا ركب الله سبحانه شهوة الجماع بين الذكر والأنثى طلباً للامتزاج والاختلاط بين البدنين كما هو بين الروحين ، ولهذا يسمى جماعاً وخلطاً ونكاحاً وإفشاء ؛ لأن كل واحد منهما يفضي إلى صاحبه فيزول الفضاء بينهما .
فإن قيل : فهذا يوجب تأكيد الحب بالجماع وقوته به ، والواقع خلافه ، فإن الجماع يطفئ نار المحبة ويبرد حرارتها ويسكن نفس المحب .

(٢٧٣/١)

قيل : الناس مختلفون في هذا فمنهم من يكون بعد الجماع أقوى محبة وأمكن وأثبت مما قبله ، ويكون بمنزلة من وصف له شيء ملائم فأحبه فلما ذاقه كان له أشد محبة وإليه أشد اشتياقاً ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث عروج الملائكة إلى ربهم أنه سبحانه يسألهم عن عبادته وهو أعلم بهم فيقولون : "إنهم يسبحونك ويحمدونك ويقدمونك ؟ ، فيقول : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا ؟ فيقول : فكيف لو رأوني ؟! تقول الملائكة : لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتقديساً وتمجيداً ، ثم يقولون : ويسألونك الجنة ، فيقول ؟ وهل رأوها ؟ فيقولون : لا فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فتقول الملائكة : لو رأوها لكانوا أشد لها طالباً " وذكر الحديث ، ومعلوم أن محبة من ذاق الشيء الملائم وعدم صبره عنه أقوى من محبة من لم يذقه ، بل نفسه مقطومة عنه ، والمودة التي بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من التي كانت قبله ، والسبب الطبيعي أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين ، فإذا رأت العين اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسم الجسم اجتمع شهوة القلب ولذة العين ولذة المباشرة ، فإذا فارق هذه الحال كان نزاع نفسه إليها أشد وشوقه إليها أعظم ، كما قيل :
وأكثر ما يكون الشوق يوماً.....إذا دنت الديار من الديار
ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه ، فتضاعف ألمه وحسرتة في مقابلة مضاعفة لذة من عاوده ، وهذا في جانب المرأة أقوى ، فإنها إذا ذقت عسيلة الرجل ولا سيما أول عسيلة لم تكذب تصبر عنه بعد ذلك ، قال أيمن بن خريم :
يميت العتابُ خلط النساء.....ويحيى اجتناب الخلط العتابا
وتزوج زهير بن مسكين الفهري جارية ولم يكن عنده ما يرضيها به ، فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما ترضى به فذهبت ولم تعد ، فقال في ذلك أشعاراً كثيرة منها :
تقول وقد قبّلتها ألفَ قبلة...كفاك أما شيءٌ لديك سوى القبل

(٢٧٤/١)

فقلت لها حب على القلب حفظه... وطول بكاء تستفيض له المقل
فقلت لعمر الله ما لذة الفتى... من الحب في قول يخالفه الفعل
وقال آخر :

رأت حبي سعاد بلا جماع... فقلت حبلنا حبل انقطاع
ولست أريد حياً ليس فيه... متاع منك يدخل في متاعي
فلو قبلتني ألفاً وألفاً... لما أَرْضِيت إلا بالجماع
إذا ما الصب لم يك ذا جماع... يرى المحبوب كالشيء المضاع
جماع الصب غاية كل أنثى... وداعية لأهل العشق داعي
فقلت لها وقد ولت تعالى... فإنك بعد هذا لن تراعي
وإنك لو سألت بقاء يوم... خلى عن جماعك لن تطاعى
فقلت مرحباً بفتى كريم... ولا أهلاً بذى الخنع البراع
إذا ما البعل لم يك ذا جماع... يُرى في البيت من سقط المتاع
وقال آخر :

ولما شكوت الحب قالت كذبتني... فكم زورة منى قصدتك خالياً
فما حل فيها من إزار للذة..... قعدت وحاجات الفؤاد كما هيا
وهل راحة للمرء في ورد منهل..... ويرجع بعد الورد ظمآن صادياً
وقال العباس بن الأحنف :

لم يصفُ وصل لمعشوقين لم يذقا... وصلاً يجل على كل اللذات
وقال هديبة بن الحشرم :

والله ما يشفى الفؤاد الهائما... نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون أن تلازما..... ولا اللزام دون أن تفاعما
ولا الفعام دون أن تفاقما..... وتعلو القوائم القوائما
وقال آخر :

قولاً لعاتكة التى فى نظرة قضت الوطر
إني أريدك للنكاح ولا أريدك للنظر
لو كان هذا مقنعى لقنعت عنها بالقمر
وقال آخر :

دواء الحب تقبيل وشم ووضع للبطون على البطون
ورهب تذرّف العينان منه... وأخذ بالمناكب والقرون
وقالت امرأة وقد طُلبت منها الحادثة :

ليس بهذا أمرتني أمي ولا بتقبيل ولا بشم
لكن جماعاً قد يسلى همي يسقط منه خاتمي في كمي
وقد كشف الشاعر سبب ذلك حيث يقول :
لو ضم صبب إلفه ! ألفاً لما ... أجدى وزادت لوعة وغرام
أرواحهم من قبل ذاك تألفت فتألفت من بعدها الأجسام
وقال المؤلف :
سألت فقيه الحب عن علة الهوى ... وقلت له أشكو إلى الشيخ حالياً

(٢٧٥/١)

فقال دواء الحب أن تلصق الحشا بأحشاء من قهوى إذا كنت حالياً
وتتحدنا من بعد ذاك تعانقا وتلثمه حتى يرى لك ناهيا
فتقضى حاجات الفؤاد بأسرها على الأمن ما دام الحبيب مؤاتيا
إذا كان هذا في حلال فحبذا وصال به الرحمن تلقاه راضياً
وإن كان هذا في حرام فإنه عذاب به تلقى العنا والمكاويا
قال هؤلاء : ولا يستحكم الحب إلا بعد أن يشق الرجل رداءه وتشق المرأة المعشوقة برقعها كما قال
الشاعر :

إذا شق برد شق بالبرد برقع ... دواليك حتى كلنا غير لانس
فكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس
ولما بلغ بعض الطرفاء قول المأمون : ما الحب إلا قبلة ، الأبيات ، قال : كذب المأمون ، ثم قال :
وباض الحب في قلبي فوا ويلاً إذا فرخ
وما ينفعني حبي إذا لم أكنس البربخ
وإن لم يضع الأصلع خرجيه على المطبخ
وقال ابن الرومي :

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... إليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فها كى تزول صابتي ! فيشتد ما ألقى من الهيمن
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ... ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفى غليله ... سوى أن أرى الروحين تمتزجان
— ورأت طائفة أن الجماع يفسد العشق ويبطله أو يضعفه واحتجت بأمور منها : أن الجماع هو الغاية

التي تطلب بالعشق فما دام العاشق طالباً فعشقه ثابت ، فإذا وصل إلى الغاية قضى وطره وبردت حرارة طلبه وطفئت نار عشقه ، قالوا : وهذا شأن كل طالب لشيء إذا ظفر به ، كالظمآن إذا روى والجائع إذا شبع ، فلا معنى للطلب بعد الظفر ، ومنها : أن سبب العشق فكري وكلما قوى الفكر زاد العشق ، وبعد الوصول لا يبقى الفكر ، ومنها : أنه قبل الظفر ممنوع والنفس مولعة بحب ما منعت منه كما قال : وزادني كلفاً في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا وقال الآخر :
لولا طراد الصيد لم تك لذة فتطاردى لي بالوصال قليلاً

(٢٧٦/١)

قالوا : وكانت الجاهلية الجهلاء في كفرهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً ، وكانوا يصونون العشق عن الجماع ، كما ذكر أن أعرابياً علق امرأة فكان يأتيها سنين وما جرى بينهما ربية ، قال : فرأيت ليلة بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت يدي على يدها ، فقالت : مه ، لا تفسد ما صلح ، فإنه ما نكح حب إلا فسد ، فأخذ ذلك المأمون فقال :
ما الحب إلا نظرة وغمز كف وعضد
أو كتب فيها رقى ... أجل من نفت العقد
ما الحب إلا هكذا ... إن نكح الحب فسد
من كان هذا حبه فإنما يبغى الولد
وهو آخر امرأة فدام الحال بينهما في اجتماع وحديث ونظر ، ثم إنه جامعها ، فقطعت الوصل بينهما فقال :

لو لم أواقع دام لي وصلها ... فليتني لا كنت واقعتها
وقيل لآخر شكاً فراق محبوبه له :
أكثر من وطئها والوطء مسأمة ... فافرق بنفسك إن الرفق محمود
قال الأصمعي : قلت لأعرابية ما تعدون العشق فيكم ؟ قالت : العناق والضممة والغمزة والحادثة ، ثم قالت : يا حضري : فكيف هو عندكم ؟ قلت : يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدا ، قالت : يا ابن أخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد .
وسئل أعرابي عن ذلك فقال : مص الريق ولثم الشفة والأخذ من أطايب الحديث ، فكيف هو فيكم أيها الحضري ؟ فقال : العفس الشديد والجمع بين الركبة والوريد ، ورهز يوقظ النائم ويشفي القلب الهائم ، فقال : بالله ما يفعل هذا العدو الشديد ، فكيف الحبيب الودود .

والمقصود : أن هذه الفرقة رأت أن الجماع يفسد العشق ، فغارت عليه مما يفسده وإن لم تتركه ديانة ، ويحكى أن رجلاً عشق امرأة فقالت له يوماً : أنت صحيح الحب غير سقيم ، وكانوا يسمون الحب على الخنا الحب السقيم ، فقال : نعم ، فقالت : اذهب بنا إلى المنزل ، فما هو إلا أن حصلت في منزله فلم يكن له همة غير جماعها ، فقالت له وهو كذلك :
أسرفت في وطننا والوطء مقطعة فافرق بنفسك إن الرفق محمود
فقال لها وهو على حاله :
لو لم أطأك لما دامت محبتنا لكن فعلى هذا فعل مجهود

(٢٧٧/١)

فنفرت من تحته وقالت : يا خبيث أراك خلاف ما قلت من صحة الحب ، ولم تجعل جماعي إلا سبباً لذهاب حبك ، والله لا ضمنى وإياك سقفاً أبداً

— وفصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعادة والتباغض والقلبي كما هو مشاهد بالعيان ، فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض فكيف إذا قارنهما ما هو من أكبر الكبائر" (١) .

— فماذا للرجل من زوجته وهو صائم ؟

— للرجل من زوجته وهو صائم : القبلية ، وهذا لا ينقض الوضوء كما يظن الكثير ، فقد صح عن أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : "قبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعض نسائه ، ثم خرج إلى المصلى ولم يتوضأ" (٢) .

— هذا لمن يملك نفسه — فلا يتجاوز القبلية ، وأما من لا يملك نفسه فليس له ذلك حتى لا يفسد على نفسه صيامه .

— فماذا على من وقع على أهله في نهار رمضان ؟

— عليه الكفارة ، فقد جاء رجل إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله : هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على أهلى ، وأنا صائم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : هل تجد إطعام ستين مسكيناً ؟ قال : لا ، قال : فاجلس ، قال روى الحديث : فينما نحن على ذلك إذا أتى — صلى الله عليه وسلم — بعرق فيه تمر ، فقال : أين السائل ؟ قال : أنا ، قال : خذ هذا فتصدق به ، قال : أعلى الأرض أفقر منى ؟ فوالله ما بين لابتيتها أهل بيت أفقر منا ، فضحك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال : أطعمه أهلك" (٣) .

— هل الزواج هو السهم القاتل للحب ؟

(١) روضة الحبين المنسوب للإمام ابن القيم ، بتصرف .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد .

(٣) صحيح : أخرجه البخارى ومسلم .

(٢٧٨/١)

— نعم ! عند من يرى الأعراض مباحة مستباحة للجميع ، الكل يرتع فيها ، والكل يأخذ منها ، أما عند أصحاب الدين فالزواج هو "الإكليل" الذى يتوج الحب ويكمله .

— فهل يكون الحب قبل الزواج أو بعده ؟

— الجواب : إن الإحترام المتبادل بين الزوجين ، وسعى كل طرف لإسعاد الطرف الآخر ، والإبتعاد عما ينفره منها ويكرهه من أهم الاسباب التى تأتى بالحب الذى يعيش وينمو برعاية الزوجين له والحفاظة عليه .

— فما هو الدواء الناجع لفتن الطريق ؟

— الدواء الناجع لفتن الطريق : قال — صلى الله عليه وسلم — : "إذا أحذكم أعجبته المرأة فوقع في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه" (١) .

ولكل شاب أقول له قول ابن مسعود — رضي الله عنه — : "إذا ذكرك الشيطان المفاتن ، فتذكر أنت الماتن" فإذا زين لك الشيطان الأرداف تذكر أنت ما بينها ، وهو مجرى الغائط ، ولو أن تلك الجميلة تسير والغائط يسيل منها ، ورائحة ضراطها وفسائها ، وإذا ذكرك النهود تذكر أنت رائحة العرق بينهما وتحت إبطها (٢) .

— ما صحة الحديث الذى يقول : "إياكم وخضراء الدمن ، قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء" .

— الجواب : هذا حديث ضعيف جداً ، أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب (٩٦\٢) بسند فيه الواقدى : وهو متروك .

— وقوله : "تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الطلاق يهتز له العرش" ؟

(١) صحيح : أخرجه البخارى .

(٢) وأسوق لكل شاب هذا الخبر الذى نشرته جريدة الأخبار (٢٠٠١/٤/١٥) وفيه : قضت محكمة

في الجريدة المنورة بجلد ١٠ طلاب اتمموا بالتسكع أمام مدارس البنات ومعاكستهن ويتم تنفيذ الحكم ٣٠ جلدة في موقع المعاكسات ، وقررت المحكمة السجن للطلاب في حالة تكرار المخالفة ، اهـ .
فاحمد الله أخى الشاب أنك نجوت من هذا الحد ، ولكن تذكر حد الآخرة والوقوف بين يدي الله
للقصاص .

(٢٧٩/١)

-
- الجواب : وهذا أيضاً حديث موضوع ، أخرجه الخطيب في تاريخه (١٩١\١٢) بسند فيه عمرو بن جميع : كذاب .
- وقوله : "عَلَيْكُمْ بِالْبُكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَغْدَبُ أَفْوَاهًا وَأَتَقُّ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ" ؟ .
- الجواب : هذا حديث صحيح بطرقه ، وقد تقدم في أول الكتاب .
- يقول بعضهم أن الزواج في شوال مكروه ، فهل هذا صحيح ؟
- الجواب : الزواج طيلة العام مباح ، إلا ما ورد النص على منعه كالمحرم مثلاً ، ولم يرد نص يُحرم الزواج في شهر شوال بعينه ، بل إن أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — تقول : "تزوجني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأى نساء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحظى عنده مني ، وكانت تحب أن تدخل نساءها في شوال" (رواه مسلم) .
- وقوله : "شاورهن وخالفوهن ، أى النساء" ؟
- الجواب : لا أصل مرفوعاً .
- وقوله : لم ير للمتحابين مثل النكاح ؟
- الجواب : هذا حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وغيره .
- وقوله : "أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة" ؟
- الجواب : هذا حديث ضعيف : أخرجه الحاكم (١٧٨\٢) وغيره بسند ضعيف ، فيه ابن سخره : متروك .
- وقوله : "خَيْرُ النَّكَاحِ أَيْسَرُهُ" ؟
- الجواب : هذا حديث صحيح ، أخرجه أبو داود وابن حبان وغيرهما .
- هل هناك حديث يقول أن الزواج نصف الدين ، كما هو مشهور على ألسنة العامة ؟
- الجواب : نعم ولفظه : "إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليبق الله فيما بقي" ، وهو حديث صحيح : أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٢\١) (١٦١\٣) والخطيب في الموضح (٨٤\٢) والحاكم (١٦١\٢) .

— وقوله : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ" ؟
— الجواب : هذا حديث صحيح ، تقدم نخرجه .

(٢٨٠/١)

— وقوله : "للمرأة ستران : القبر والزوج ، قيل : وأيها أفضل ؟ قال : القبر" .
— الجواب : هذا حديث موضوع ، أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧١\٣) بسند فيه : خالد بن يزيد القسري : ليس بالقوى في الحديث ، وهو أيضاً حديث منقطع .
— ومثله : "للنساء عشر عورات ، فإذا زوجت المرأة ستر الزوج عورة ، وإذا ماتت المرأة ستر القبر تسع عورات" ؟
— الجواب : هذا حديث منكر ، أخرجه الديلمي بسند ضعيف ، فيه مجاهيل .
— وقوله : "لا تزوجوا النساء لحسنهن ، عسى حسنهن أن يُرديهن ، ولا تزوجهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، لكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل" ؟
— الجواب : هذا حديث ضعيف ، أخرجه ابن ماجه (١٨٥٩) بسند فيه : عبد الرحمن بن زياد الإفريقي : ضعيف .
— وقوله : "ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم" ؟
— الجواب : هذا حديث موضوع ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١\٢٨٢\٤) بسند فيه : إبراهيم بن محمد الأسلمي : كذاب .
— وقوله : "التمسوا الرزق بالنكاح" ؟
— الجواب : هذا حديث ضعيف ، أخرجه الديلمي (٤٢\١\١) بسند فيه خالد الزنجي : صدوق كثير الأوهام .

كيفية علاج المسحور

— إن من أهم المشاكل التي تكون ليلة الزفاف أن يكون الزوج "مربوطاً" عن زوجته ، مما يصيب الزوج بألم نفسي شديد أن يشعر بفقد رجولته في ليلة العمر أو غيرها ، مما يدفع الكثير من الناس إلى اللجوء إلى الدجالين والسحرة للخروج من المأزق العظيم ، ومما قد يؤدي بالزوج في بعض الأحيان إلى فعل ما يغضب الله تعالى ، فهل حقاً هناك ما يسمى بالربط ، وما هي أدلة مس الجن للإنسان ، وكيف يعرف الإنسان أنه مسحور ، وما هي أنواع السحر ، وكيف يعمل الساحر ، وما هي طرق العلاج ، وكيفية

التحصين من هذا ؟ إلى غير هذا ، مع الإفاضة لشيوع هذا الأمر بين الناس وانتشاره وعموم البلوى به ، وأهمية هذا الأمر .

(٢٨١/١)

— الجواب : لقد منَّ الله تعالى على بتأليف رسالة موجزة في هذا الأمر لعموم البلوى به ، وإن كنتُ رفضتُ في الماضي أن أضع رسالة أو أصنف كتاباً في العلاج بالقرآن لكثرة المعروض بالأسواق ، إلا أنه وبعد سنوات من العلاج — أكثر من عشر سنوات — طلب مني الاستاذ "جمال" صاحب مكتبة العلم أن أضع رسالة موجزة في بيان هذا الأمر ، في محاولة لطرد سقيم الكتب وعليها ، ووقوف المريض على الصحيح من العلاج من كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فكان والحمد لله رب العالمين ، ومما جاء فيها :

— أدلة مس الجن للإنس : وأدلة مس الجن للإنسان كثيرة جداً ، تحدثت عنه التوراة والإنجيل ، ونص عليها القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة : ٢٧٥) .

— قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٣٢٦\١) : "أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخطب الشيطان له" .

— وقال القرطبي في تفسيره (٣٢٠\٣) : في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع ، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس" (١) .

(١) انظر : تفسير الطبري والرازي والخازن والنسفي وروح المعاني وغيرها من كتب التفسير .

(٢٨٢/١)

— ومن السنة النبوية المطهرة : ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة قال : "ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - — ثم ذكر الحديث — إلى أن قال : ثم سرنا فمررنا بماء ، فأتته امرأة بابن لها به جنّة ، فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - منخره فقال : اخرج عدو الله إلى رسول الله ، قال : ثم سرنا ، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتت امرأة عجوز بجزر ولبن ، فأمرها أن ترد الجزر ، وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبي فقال : والذي بعثك بالحق ما رأيته منه ريباً بعدك" (١)

كيف تعرف أنك مسحور :

وقبل أن نبدأ ببيان الأعراض التي تظهر على المسحور نبين أولاً أن السحر جاء ذكره في القرآن في غير آية ، فقال تعالى حكاية عن أهل الكفر والشرك قولهم عن الرسول : (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (الإسراء : ٤٧) ، كما أخبر تعالى أن عصر موسى - عليه السلام - كان أحد العصور التي كان للسحر فيها المكان المرموق ، وذلك في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى .
فالسحر حقيقة وسبب من الأسباب التي تؤثر في المريض ، إلا أن هذا التأثير مقيد بإذن الله تعالى ، كما قال تعالى عن السحرة : (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة : ١٠٢) .
فالسحر لا يضر ولا ينفع - كغيره من الأسباب - إلا بإذن الله تعالى ، فليكن هذا منك على بال .
وكما ورد الحديث عن السحر والسحرة في كتاب الله تعالى ، جاءت السنة النبوية الشريفة لتبين أن من أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً فقد كفر ، وفي رواية : فقد أشرك .

(١) حسن : أخرجه أحمد (١٧٣\٤، ١٧٢، ١٧٠) والبيهقي في الدلائل (٢٣\٦، ٢٢) والحاكم (٢١٧\٢) وغيرهم ، وانظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٤\١١) (٥٦\١٩) وزاد المعاد (٨٤\٣) .

(٢٨٣/١)

وعليه فكل من أتى دجالاً أو عرافاً أو كاهناً أو ساحراً فيخشى عليه أن يدخل تحت نطاق الحديث السابق ، وليكن هذا أيضاً منك على بال (١) .

— أنواع السحر :

ومن أنواع السحر : سحر التفريق : وقد بينه القرآن في قوله تعالى : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) (البقرة : ١٠٢) فيخيل إلى المسحور - رجلاً كان أم امرأة - أن وجه زوجته - أو مخطوبته - كأنه ثعبان أو قرد أو نحو هذا ، فينفّر منها ، كما تكثر الخلافات الزوجية في البيت على خلاف المعهود ، أو نفرة الرجل أو المرأة من البيت والشعور بالضيق كلما كانا - الرجل أو المرأة - فيه ، والشعور بالراحة كلما خرجا منه أو ذهبوا إلى أى مكان آخر .
— ويرجع هذا إلى تمثّل الجنى على وجه الرجل أو المرأة على هيئة ثعبان أو قرد أو أى منظرٍ قبيح ، مما يؤدى إلى النفور والابتعاد .

— سحر الربط : وهو ما يصيب الرجل عند الجماع ، فلا يتم انتصاب العضو الذكري للرجل عند الجماع ، وكلما كان الرجل بعيداً عن زوجته يشعر بالارتياح والحاجة إلى الجماع ، فإذا أراد الجماع

وبدأ العضو في الانتصاب ، أصاب العضو حالة من الضعف و "الارتخاء" مما يصيب الرجل بحالة نفسية سيئة .

ومردُّ هذا إلى السَّحر والجن الموكل بالعمل ، الذي يُمسك ويضغط على المركز العصبي بالمخ والذي يمد الجسد بالإشارة التي يتم بها دفع الدم إلى العضو لتتم عملية الانتصاب ، كما يكون أيضاً في بعض حالات الشلل النصفى أو الكلى ، أو فقد الإبصار الوقي .

— وكذا يأتي الجنى المرأة فيسُدَّ "فرجها" وهو سَّحر التغير ، فيأتى الرجل زوجته ليلة البناء "الزفاف" فيجدها كالثيب ، فلا يجد غشاء البكارة ، وهو ما يسمى بسَّحر التغير ، مما يجعل للشيطان منفذاً إلى نفسه .

(١) سيأتى بيان كيفية التعرف على الدجال .

(٢٨٤/١)

— سَّحر الجلب والحب : وهو ما يظهر على المريض من ميل إلى شخص بعينه ، قد يكون خطيباً أو زوجاً أو غير ذلك ، وكذا للرجل أن يجد نفسه يميل إلى "فلانة" بعينه ، حتى تجده يترك عمله ليسافر إليها — على بُعد المسافة — أو كثير الاشتياق إليها على غير المعهود ، والتودد إليها وطلب وصالها وإن كان حراماً ، والتقرب إليها بشقي الطرق والوسائل على غير المألوف والمعهود .

— كيف يعمل الساحر : يقوم الساحر أو الدجال بقراءة بعض الطلاسم — وقد يقرأ بعض الآيات بطريقة معينة — على بعض الماء ليشربه المراد عمل السَّحر له ، أو بعض الطعام ليأكله ، أو على قطعة من "أثر" أو بعض التراب ، أو بعض البخور ، وغير هذا كثير .

— ثم يأخذ "الزبون" هذا "العمل" ويضعه في المكان الذى أعلمه الساحر به ، أو يرشه على باب "بيت" أو "شقة المطلوب" عمل السحر له ، حتى إذا شربه أو أكله أو مرَّ "خطي" يبدأ السحر في العمل .

ويكون هذا عن طريق توكيل الساحر لبعض الجن بالعمل كخدام له ، فإذا رُش الماء مثلاً على "عتبة" الباب جلس الجن الموكل بالسَّحر بجوار ذلك العمل — وكثيراً ما يكون الجن الموكل بالسَّحر أربعة أو ستة أو أضعاف هذا العدد (١) ، فإذا مرَّ المطلوب على العمل انتفض الجن الموكل بالسَّحر "ليلبس" جسد المسحور ثم تبدأ الأعراض في الظهور .

— ومن الأعراض التي تظهر على المسحور : أن يرى في منامه أحلاماً مفزعة ، كأن يرى ثعباناً يلدغه ، أو يوشك أن يقع من مكان عالٍ ، أو يرى ثعابين كثيرة أو قروداً ، أو يرى في منامه أماكن النجاسات والحُرب (٢) أو المقابر ونحو هذا .

-
- (١) إنما نبهت على هذا تنبيهاً للمعالج حتى لا يغتر بخروج جنى من جسد المريض فيظن أن الجسد أصبح خالياً من الجن ، بل عليه أن يعيد القراءة مرة أخرى وثالثة ورابعة حتى يخرج كل الجن الموكل بالعمل من الجسد .
- (٢) الحرب : جمع خربة .

(٢٨٥/١)

— ومن الأعراض التي يراها المسحور أيضاً — وهذا وفق السحر — كثرة الاحتلام ليلاً ، وقد يكون أيضاً فحاراً ! وهو ما يسمى بالعشق ، فيأتى الجنى المرأة مناماً فيعاشرها معاشرة الأزواج ، مما قد يؤدي إلى نفرتها من زوجها ، وكذا تأتى الجنية الرجل فى منامه حتى أن بعضهم كاد أن يصل به الأمر إلى الجنون من كثرة معاناته من هذا الأمر ومحاولة التخلص منه .

كيفية علاج المسحور :

يحضر المريض سبع ورقات من ورق شجرة السدر "النبق" غير معطوبة أو مقطوعة ، ويدقها بين حجرين حتى تصبح قطعاً صغيرة ، ثم يضعها فى إناء به ماء ، ثم يُقرأ على الإناء آيات الرقية وآيات فك السحر (١) مع استحضر القارئ أو المعالج عند قراءة الآيات نية الشفاء وطرده الجن من جسد المريض وإبطال السحر ، وهذا هام جداً (٢) ، والآيات هى :

— بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ (٣) مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) (الفاتحة) .

-
- (١) يغلط البعض فيقول عنها آيات السحر ! كما يغلط عندما يريد الاستشهاد بآية ما فيقول : قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :... ثم يقرأ الآية ! وهذا خطأ يقع فيه بعض الخطباء والوعاظ ، والله تعالى لا يستعبد من الشيطان ، فلزم التنبيه .
- (٢) فإنما الأعمال بالنيات كما أخبر سيد ولد آدم محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(٢٨٦/١)

— (الم : ١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) (البقرة : ١-٤) .

— (وَالِهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)) (البقرة : ١٦٣-١٦٤) .

— (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)) (البقرة : ٢٥٥) .

(٢٨٧/١)

— (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)) (البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

— (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)) (آل عمران : ١٨) .

— (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (الأعراف : ٥٤) .

— (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (المؤمنون : ١١٥ - ١١٨) .

(٢٨٨/١)

- (وَالصَّافَاتِ صَفًا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (الصفات : ١-١٠) .
- (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الحشر : ٢١ - ٢٤) .
- (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) (الجن : ٣) .
- (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (الإخلاص) .
- (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (الفلق) .

(٢٨٩/١)

- (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) (الناس) (١) .
- آيات فك السَّحَر :
- (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (البقرة : ١٠٢) .
- (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) (الأعراف : ١١٧ - ١٢٢) .
- (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (يونس : ٨١ - ٨٢) .

(١) ويمكن قراءة هذه الآيات أيضاً على المحسود مع قراءة الأذكار "الصحيحة" الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وستأتى فى نهاية الرسالة إن شاء الله تعالى .

(٢٩٠/١)

(وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه : ٦٩) .
— ويمكن للقارئ أن يقرأ أيضاً الآيات التالية وهى التى تتحدث عن العذاب والنار ، وهى مما ثبت أنها تعذب الجنى جداً ، وتعجل بخروجه وهروبه من جسد المريض إن شاء الله تعالى ، وهى :
— والآيات :

النساء : (١٦٧-١٧٣) ، المائدة : (٣٣-٣٤) ، الأنفال : (١٢) ، الحجر : (١٦-١٨) ، الإسراء : (١١٠ - ١١١) ، الأنبياء : (٧٠) ، الحج : (١٩-٢٠) ، النور : (٣٥) ، الفرقان : (٢٣) ،
الصفات : (٨٨) ، غافر : (٧٨) ، فصلت : (٤٢) ، الدخان : (٤٣-٥٠) ، الأحقاف : (٢٩-٣٤) ،
الزلزلة ، العصر ، البروج ، الطارق ، الكافرون .
— وآيات الشفاء :

الست : التوبة : (١٤) ، يونس : (٥٧) ، النحل : (٦٩) ، الإسراء : (٨٢) ، الشعراء : (٨٠) ،
فصلت : (٤٤) .

— على أن يراعى كما تقدم استحضار نية الشفاء وطرده الجن من جسد المريض — كما تقدم — هذا ولا يتعجل المريض الشفاء، فإنما هو الأخذ بالأسباب والله تعالى هو الشافي .
— ثم يشرب منه المريض ويغتسل به — فى أى حجرة من حجرات البيت — ولا يغتسل بهذا الماء الذى قُرأ عليه القرآن فى "الحمام" أو يرمى به فيه — وما يتزل من المريض من ماء الاغتسال فى "طبق بلاستيك أو طشت" يسقى به شجرة ، أو "يرشه" فى أرجاء البيت طرداً لأى جنى قد يكون ساكناً للبيت .
— وكيفيته : أن يأخذ من الماء — الذى قُرأ عليه آيات الرقية أو آيات الرقية وآيات فك السحر — بكوب صغير ثم يرش كل ركن من أركان البيت ببعضه ، وقبل أن يرش يسمي الله تعالى تنبيهاً للجن المسلم — عمّار البيت — حتى لا يؤذيهم ، وكذا فى كل ركن من أركان البيت ، حتى المطبخ ، إلا الحمام لما تقدم من أنه مكان نجس ولا يجوز إلقاء هذا الماء فيه .

(٢٩١/١)

وعند شرب المريض لهذا الماء قد يصاحبه نوع من القئ خاصة إذا كان "العمل مشروباً إذا أكثر المريض من شرب هذا الماء ، وقد يخرج "العمل" مع القئ فيبطل السحر بإذن الله تعالى ، وإذا لم يتقيأ المريض وعند اغتسال المريض بهذا الماء سوف يشعر بنوع من "السخونة" أو "الدفع" ينبعث من جسده ، وكأنه الماء حاراً .

— كما تظهر على المسحور — عند قراءة الآيات السابقة عليه أو شربها — أعراض أخرى منها : احمرار شديد بالعينين ، شعور وكأن حجراً ثقيلاً أو نحوه في بطنه ، وعند شربه الماء قد يشعر بنار تتأجج في بطنه أو حلقه أو في جسده كله .

— يستمر شرب الماء والاعتسال به طوال ثلاثة أو سبعة أيام ، مرة أو مرتين يومياً ، حتى يُبطل السحر بإذن الله تعالى ، ولا يدخل اليأس نفس المريض وليعلم أن الشفاء مرتبط بإذن الله تعالى بالشفاء ، لا بتقوى المعالج — وإن كانت سبباً — أو بشهرة المعالج ، أو بما يأخذه المعالج (١) .

— هذا إذا فقد المعالج أو وُجد ، و في حالة وجود من يعالج — لذى خبر هذا العلم وعمل به — فإنه يبدأ بقراءة آيات الرقية في أذن المريض — مستحضراً نية الشفاء وطرد الجن — حتى إذا بدأت الأعراض تظهر على المريض يتعامل معها وفق ما يعلم بفضل الله تعالى ، فإذا شعر المريض بنوع "تميل" في يديه أو رجليه أو في أى مكان بجسده ، أو صداع ، أو شعر بنوع ضيق ، أو كأن هناك من يمسك برأسه ، أو يضغط على صدره أو قلبه ، فهذا يعنى وجود الجنى في هذا المكان ، بدأ المعالج في قراءة الآيات التى تتحدث عن العذاب والنار ، وقد تقدم ذكر بعضها .

(١) ومما يجب التنبيه عليه أنه لا حرج في أخذ الأجرة على العلاج .

(٢٩٢/١)

— وإذا "حضر" الجنى على جسد المريض بدأ المعالج في التعامل معه سؤاله عن سبب دخوله — عشقاً أو سحراً أو حسداً — وعن ديانته ، فإن كان مسلماً بينا له عدم جواز هذا ، وإن كان كافراً عرضنا عليه الإسلام فإن استجاب وإلا أنذر كليهما بقراءة الآيات عليهما ، ويراعى عدم الإطالة في الحديث مع الجنى حتى لا يهرب أو يأتى بمن يساعده في التخلص من هذا الأمر ، كما لا يستجاب له في أى طلب يطلبه كأن يأمر أن يذبح له كذا وكذا ، أو تلبس المرأة كذا وكذا — لزوجها — أو تطوف بالأولياء ، أو يلبس الرجل خاتماً شكله كذا ، فكل هذا يُعتبر ضرباً من الشرك .

— وللمعالج أن يقرأ وقتها قوله تعالى : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة : ١٣٧) ، وقوله تعالى : (أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة : ١٤٨) ، وقوله تعالى

: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصفات : ٢٤)، وقوله تعالى : (أَيَّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) (النساء : ٧٨)

— فإذا شعر المريض بنوع سخونة في مكان "التنميل" أو الضغط مثلاً ، فهذا يعني بداية نهاية العمل وإبطاله ، فيستمر المعالج في القراءة حتى تنتهي هذه السخونة أو الدفء ، يعود جسد المريض إلى حالته الطبيعية ، ثم يعود المعالج فيقرأ الآيات مرة أخرى حتى إذا ظهرت الأعراض مرة أخرى بدأ في إبطائها بإذن الله تعالى ، حتى إذا سمع المريض آيات الرقية وآيات فك السحر ولم يشعر بأي نوع من التعب ، علمنا أن العمل قد بطل وانتهى بفضل الله تعالى .

— هذا ومما يشعر به المريض بعد الشفاء : كأن هناك حملاً ثقيلاً كان على كتفه قد أختفى أو رُفع ، أو كأن "طاقية" من حديد كانت على رأسه فرفعت .

(٢٩٣/١)

— وقد يشعر أيضاً المريض بعد الشفاء بنوع من الصداع — قد يتشابه بما كان يشعر به من قبل — و مرجع هذا إلى عمل "القرين" (١) الذي تعلم من الجنى "الضيف" الموكل بالعمل أموراً جديدة ، فيبدأ هو في تنفيذها وإعادة مرة أخرى على المريض حتى يلتبس على المريض الأمر ، فيظن أنه لم يشف بعد ، ليأخذه إلى دوامة العلاج بالقرآن أو غيره ، والتي لن يخرج منها سالماً — إلا أن يشاء الله تعالى — إلا أن المعالج يستطيع أن يفرق بين هذا الألم وذاك ، بعدم شعور المريض بذلك الدفء الذي كان يشعر به عن شربه للماء .

هنا يبدأ المعالج في كتابة هذه الآيات ، أو قراءتها على بعض الماء، وهى :
الفاحة .

سورة البقرة : الآيات (١-٤) .

البقرة : الآيات (١٦٣-١٦٤) .

آية الكرسي .

سورة "ق" : الآيات (٢٣-٢٩) .

الإخلاص .

المعوذتين .

أخطاء يقع فيها بعض المعالجين :

(١) وقد صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله : "وكل بكل من قرين من الجن وقرين من

الملائكة" وليس هو أخت الولد التي يعيش تحت الأرض ، أو أخ البنت الذي يعيش تحت الأرض ، فهذا كله ضرب من الخزعبلات .

(٢٩٤/١)

ومن الأخطاء التي استُحدثت بعد انتشار العلاج بالقرآن ، ظاهرة العلاج الجماعي والتي تبنتها بعض المساجد أو المراكز ، فأصبحنا نرى عشرات الحالات التي تعاني من أعراض المس أو السحر وقد جُمعت في مكان واحد ، وأُعطيت كل حالة "سماعة" تضعها على الرأس ثم تبدأ "الرقية" المسجلة تدق أذن الحالة ، ولا بأس في سماع المريض للرقية الشرعية "مسجلة" ، ولكن الحرج يقع أن يكون وسط هذا الحشد من المرضى خروج الجن من جسد ودخوله إلى آخر ، وقد يكون من بينهم من ليس به مس أو سحر ، وإنما هي أعراض قد تشابه أعراض المسوس أو المسحور ، فيشار عليه بالذهاب إلى المسجد أو المركز للعلاج ، وجسده خالي من المس أو السحر ، وفي أثناء سماع هذا الحشد الهائل للآيات تبدأ بعض الحالات في التشنج فيرتاع ويخاف من لم تظهر عليه الأعراض بعد ، وقد يكون بين الحالات كما تقدم من ليس بممسوس أو مسحور ، فيخرج الجنى من جسد المريض ثم يدخل جسد هذا المرتاع أو الخائف ، أو جسد من يعاني من أعراض تشابه أعراض المسوس أو المسحور .

وقد شاهدنا الكثير والكثير من هذه الحالات التي دخلها الجنى ، وبسؤاله يقول : لقد خرجت في الجلسة كذا من جسد المريض فلان عند سماعه للقرآن ، ثم صعدت عالياً ثم نظرت إلى هذه الحالات كلها فرأيتُ فلان يجلس خائفاً من هذا المنظر "تشنج بعض المرضى" فدخلت في جسده !

فينتج من ظاهرة العلاج الجماعي إصابة بعض الحالات السليمة بالمس ظمناً من الجنى ، وجهلاً من المعالج ، فليكن هذا منك على بال .

(٢٩٥/١)

— ومن الأخطاء التي صاحبت انتشار العلاج بالقرآن منذ بداياته : الاستعانة بالجن "المسلم" في العلاج ، فترى الجنى يخرج من جسد المريض وقد تاب وأنانب على يد الشيخ المعالج ، ثم يعرض عليه أن يساعده في العلاج طلباً لتكفير ما سلف من أذى للمريض ، وأن يكون عوناً للمعالج على الجن الكافر أو الظالم ، خاصة وهو يرى ما لا يراه المعالج من عدد الجن بجسد المريض أو هروب الجنى عند حضور المعالج ، فيقوم الجنى المساعد بتقييد الجنى الماس جسد المريض أو ضربه أو الاستعانة ببعض الجن الطيار على طرد الجنى الماس جسد المريض إلى غير ذلك .

— ويرد بعضهم على هذا أنه لا يستخدم الجنى في "الشر" وإنما يستخدمه في "الخير" ومساعدة المرضى وعالجهم ، ولو كان ذلك كذلك لكان الأولى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد قرأ القرآن على الجن فأسلم ، ولم يستعن بهم أو يستخدمهم في حربه ضد "الكفار" ، فلم يرسل جنياً لاغتيال أبي جهل أو أبي لهب ! .

— ومن الأخطاء أيضاً التي صاحبت انتشار العلاج بالقرآن : قراءة بعضهم بعض الآيات على "كف يده" ثم يقول : أقسمت عليكم يا خدام هذه الآيات الشريفة أن تفعلوا كذا وكذا بفلان — من الإنس — من مرض ونحوه ! ثم ينفث في كفه ليطيروا ! .

كيف تكتشف أن المعالج دجال :

— إذا رأيت الذي يدعى العلاج يقرأ بعض الآيات بصوت عالٍ ثم يُسر ببعض الكلام الغير مفهوم ، فاعلم أنه دجال .

— إذا أعطاك الشيخ (١) حجاباً وقد طواه بشكله الهندسى ، وغلفه بكيس من البلاستيك أو الشمع ، فاعلم أنه دجال .

— إذا أعطاك الشيخ حجاباً مفتوحاً أو مغلفاً — كما تقدم — ثم نظرت فيه فرأيت فيه "دوائر" و "مربعات" و "مثلثات" فيها كلمات مفهومة أو غير مفهومة فاعلم أنه دجال .

(١) استخدمت وصف الشيخ لانتشاره ووصف به كل من يعالج بالقرآن أو بغيره ، والأخير يعلم من نفسه ما هو وصفه .

(٢٩٦/١)

— إذا أعطاك الشيخ حجاباً — كما تقدم — فيه كلمات وقد كتبت بحروف "مفردة" كما يكتب بعضهم : "بسم الله الرحمن الرحيم" : "ب س م ا ل ل ه ا ل ر ح م ن ا ل ر ح ي م" أو آية الكرسي أو غيرها من الآيات فاعلم أنه دجال ، وقل له : اتق الله فهذا تحريف في كتاب الله تعالى (١) .

— إذا طلب منك الشيخ اسمك واسم أمك ، أو قطعة من أثر ، ونحو هذا فاعلم أنه دجال .

— إذا طلب منك الشيخ كتابة بعض الآيات على "بيضة" ! وأكلها أو أن تفعل بها كذا وكذا فاعلم أنه دجال .

— هذا وكل من يدعى قراءة الفنجان ، والكف ، والطالع — والنازل ! — وضرب الرمل ، وفتح المنديل ، وقياس الأثر ، وفتح الكتاب بوضع "مفتاح" ليشير على السارق ونحو هذا . فاعلم أنه دجال ، وأن هذا الفعل يؤدي بصاحبه إلى الشرك والكفر ، فكن منه على حذر .

— كل هذا وإن ادعى "الشيخ" أنه لا يأخذ أجره على هذا العمل ، وإنما هو "شئ لله" !!! .
— وكذا كل من يدعى علم "التنويم المغناطيسي" و "تحضير الأرواح" و "الزوار" فاعلم أن هذا كله دجل ، فكن منه على حذر .

تحصينات قرآنية :

ومنها قراءة فاتحة الكتاب ، آية الكرسي ، آخر آيتين من سورة البقرة ، الإخلاص ، المعوذتين .
تحصينات نبوية ضد السحر والمس :

١- كثرة الاستغفار ، والحوقة ، أى قول : لا حول و قوة إلا بالله .

٢- لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير يقال مائة مرة صباحاً ومائة مرة مساءً (٢) .

٣- أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (٣) .

(١) وهناك الكثير ممن يفعل هذا ويظن الناس به خيراً وهو معدود في الكفار بكفره بآيات الله تعالى واستهزائه بها ، مع سحره وكهنته ، ثم يطلب "المسلم" من "الكافر" المعونة في طلب إخراج وإبطال العمل !!! .

(٢) صحيح : أخرجه البخارى (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩٢) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٩) .

(٢٩٧/١)

٣- أعوذ بكلمات التامة من شيطان وهامة ومن كل عين لامة (١) .

٤- أعوذ بكلمات التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر ما يتزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذراً في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يارحم (٢) .

٥- اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٣) .

٦- اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فى حكمك ، عدلك فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى (٤) .

٧- بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم (ثلاث مرات صباحاً ، وثلاث مساءً) (٥) .

٨- حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (٦) (سبع مرات صباحاً ومساءً)

٩- لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٧) .

١٠- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال (٨) .

(١) صحيح : أخرجه البخارى (١١٩\٤ - فتح) .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد (٤١٩\٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخارى (٦٣٠٦) ومسلم (٢٧٢٢) .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد (٣٩١\١) .

(٥) صحيح : أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) .

(٦) حسن : أخرجه أبو داود (٥٠٨١) .

(٧) صحيح : أخرجه البخارى (١٥٤\٧ - فتح) ومسلم (٢٠٩٢\٤) .

(٨) أخرجه البخارى (١٧٣\١١ - فتح) .

(٢٩٨/١)

١١- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (١) .

١٢- اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى ، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل (٢) .

١٣- حسبنا الله ونعم الوكيل (٣) .

١٤- سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته (٤) .

— تحصيلات عامة :

الإستعاذة عند دخول الحمام ، ونفض المكان عند الجلوس أو النوم ، المحافظة على أذكار الصباح والمساء ، كثرة الإستغفار والحوقة والالتجاء إلى الله تعالى ، والإكثار من قراءة القرآن ، والمحافظة على الصلوات فى الجماعة ، والصيام ، ومصاحبة الأخيار ، والبعد عن أصدقاء الشر والسوء ، والتسمية عند فتح "صنبور" المياه الساخنة "السخان" عند "الحوض" بالمطبخ ، وقبل دخول الحمام أو فى السر عند

فتحه في الحمام (٥) ، وكذا عند رمى "موسى" الحلاقة في الحوض أو غيره بعد الحلاقة (٦)

(١) صحيح : أخرجه الترمذى (١٦٨\٣) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذى (١٨٣\٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخارى (١٧٢\٥ — فتح) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٢٦) .

(٥) فقد التبس أحد الجن بجسد أحد المرضى ، ويسؤال الجنى : متى لبسته وكيف ؟ قال : في يوم كذا ، وقد دخل "الحمام" ففتح صنبور المياه الساخن وكنت أنا بداخل الصنبور ، فأحرق يدي ! فلبسته ثأراً وانتقاماً .

(٦) وإن كان مما هو معلوم من النهى عن حلاقة اللحية ، لما في ذلك من التشبه بالنساء ، وقد لعن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى — المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، إلى غير ذلك من الأحاديث والأدلة الكثيرة الدالة على إثم حالق اللحية .

— وقد التبس أحد الجن بجسد أحد المرضى ، ويسأله عن سبب دخوله جسد المريض ، قال : لقد كان "يخلق" ذقنه ذات يوم ثم رمى بموسى الحلاقة في الحوض ، وكان أخى يجلس في الحوض وقع موسى على رقبته فقتله ، وكان ابن عمى يقف في الحمام ، فلما شاهد ما جرى جاءنى من مصر إلى "استراليا" وأبلغنى خبر موت "قتل" أخى فجئت طالباً للثأر من هذا الرجل .

— كما يراعى عدم رمى موسى أو أى آلة حادة و "سنجة" الإبرة والزجاج أيضاً ونحو هذا في "سلة القمامة" محافظة على أيدي من يقومون بهذا العمل ، فيمكن جمع أمواس الحلاقة أو الزجاج في علبة ما ثم إغلاقها جيداً بحيث لا تفتح بسهولة عند "قلب" القمامة" حتى لا تؤذى أحداً .

(٢٩٩/١)

، كما يراعى عدم صب الماء الساخن في "الحمام" أو الحوض إلا بعد التسمية ، كما يراعى عند مرور الرجل على حجر كبير في الطريق فيريد إبعاده عن وسط الطريق ، فتراه وقد حمله ثم ألقى به بعيداً ، دون أن يسمى الله عند إلقاءه ، خشية أن يلقيه على بعض الجن الجالس في الطريق دون أن يلاحظ رمى الرجل للحجر ! .

... وكذا من أوقات "مس" الجن للإنسان : وقت الخوف الشديد ، كمن يسير في طريق بعينه كل يوم في ساعة متأخرة من الليل ، ولم يحدث نفسه بشئ عن مس الجن له ، ثم إذا سمع عن مس الجن

للإنسان ، وأن من مساكن الجن أماكن الفضاء "الخالية" يأخذه الخوف من مس الجن له ! فيمسه الجن !

— وكذا ما هم منتشر بين كثير من الفتيات : من دخولهن الحمام وبصحبتهن أجهزة "التسجيل" أو الاستماع إليها والرقص على نغماتها داخل الحمام ، وكما هو مقرر أن عالم الجن كعالم الإنس ، فيه الجن الشاب والمراهق والكهل والطفل الصغير وغير هذا مما هو في عالم الإنس ، وقد يشاهد الجن الشاب أو المراهق الفتاة وهي ترقص عارية في الحمام — أو أمام المرأة — فيعشقها فيلبس بجسدها ، وكذا كثرة الوقوف أمام المرأة ناظرة إلى مفاتها وجسدها (١) .

— وكذا قد يلبس الجن بالإنسان في حالة الشهوة المحرمة .

(١) وما يقال أن أخ الفتاة الذي يسكن "تحت الأرض" وكذا الشاب الذي تسكن أخته "تحت الأرض" وأنهما يغاران ونحو هذا فكل هذا سفه وباطل وخرافات لا صحة لها .

(٣٠٠/١)

— وكذا هذا التبرج والزينة المغالى فيها التي نراها في فتيات ونساء "المسلمين" (١) وتلك الملابس الضيقة والتي تكون كالرسالة إلى الجن ودعوته إلى دخول هذا الجسد ، حتى إذا دخل الجن جسد الفتاة — وهرب منها خُطابها — جرت مسرعة باحثة عن العلاج وطرد الجن العاشق من جسدها ! .

— حتى إذا منَّ الله تعالى عليها بالشفاء عادت سيرتها الأولى إلى التبرج والسفور ، ضاربة بتنبهات "المعالج" ودعوته إياها إلى الالتزام بدين الله تعالى وأوامره عرض الحائط .

{ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ }

مجدى بن منصور بن سيد الشورى

الفهرس

الموضوع ... الصفحة

مقدمة —————

————— ٣ ...

كلمة شكر —————

————— ٦ ...

الترغيب في الزواج —————

————— ٧ ...

التحذير من الزنا	١٢ ...
محبة الزوجة	١٤ ...
أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم	١٦ ...
سرارى النبي - صلى الله عليه وسلم	٢٠ ...
الزواج فى الجاهلية	٢٠ ...
أسس اختيار الزوجة	٢١ ...

(١) وكما يقول البعض : لو أن امرأة من أصحاب "الرايات الحمراء" التى كانت فى الجاهلية الأولى خرجت اليوم على نساء "المسلمين" ورأت منهن هذا لاستحت وقالت : أهؤلاء هم أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟! كيف لا وهى التى كانت فى فجرها تكشف الجزء العلوى من صدرها "فقط" ، ماذا والمرأة "المسلمة" اليوم قد كشفت عن رأسها وصدرها وإبطيها وبطنها وفخذيها وساقيها .

(٣٠١/١)

مواصفات الزوجة الصالحة	٢١ ...
أسس اختيار الزوج	٢٨ ...
الكفاءة فى النكاح	٣١ ...
صلاة الاستخارة	٣٤ ...
إباحة النظر إلى وجه المخطوبة	...

النهى عن المغالة في المهور ----- ...

٤٣

دبلة الخطوبة -----

٤٥ ...

ما يباح للخاطب بعد الخطبة ----- ...

٤٩

النفقة على الزوجة -----

٥٠ ...

العروس ليلة الزفاف -----

٥٠ ...

حكم الذهاب إلى الكوافير -----

٥١ ...

نتف الحواجب -----

٥٢ ...

المانيكير -----

٥٢ ...

الغناء في العرس -----

٥٢ ...

لا نكاح إلا بولي -----

٥٦ ...

الفاظ التزويج -----

٥٦ ...

الفرق بين النكاح والزواج -----

٥٨ ...

الدعاء للعروسين -----

٦٠ ...

ليلة الزفاف -----

٦١ ...

وضع على رأس الزوجة -----

٦٢ ... -

----- قصة من الواقع

٦٢ ... ----

٦٥ ... ----- ما يقول الرجل حين يجامع أهله

(٣٠٢/١)

----- فض غشاء البكارة

٦٦ ... ----

----- كيف يأتي الرجل أهله

٦٧ ...

----- الوليمة

٦٩ ... ----

القسم الثاني

----- الشروط في النكاح

٧١ ... --

٧٢ ... ----- حكم الإسلام في من تزوج بامرأة فوجدها حبلى

----- المحرمات من النساء

٧٢ ...

----- فصل

٧٧ ... ----

----- فصل

٧٨ ... ----

----- فصل

٧٩ ... ----

----- فصل

٨٠ ... ----

----- نكاح التفويض

٨٣ ... ----

نكاح الشغار	٨٤ ...
نكاح المحلل	٨٥ ...
نكاح المتعة	٨٥ ...
نكاح المحرم	٨٦ ...
نكاح الزانية	٨٦ ...
أنكحة فاسدة	٨٦ ...
الخلع	٨٧ ...
زواج المسيار	٩٦ ...
زوج الهبة	٩٦ ...
الزواج العرفي	٩٦ ...
الأدلة على فساد النكاح بدون ولى	٩٩ ...

(٣٠٣/١)

الرد على الإمام أبي حنيفة	١٠١ ...
الدليل الذى اعتمده الإمام والرد عليه	١٠٢ ...

أسباب اللجوء إلى الزواج العرفي ----- ١٠٥ ...

تعدد الزوجات ----- ١٠٦ ...

صبغ المرأة لشعرها ----- ١١٠ ...

تفسير : الحمى ----- ١١٠ ...

الخلاف بين الزوجين ----- ١١١ ...

حق الزوج ----- ١١٢ ...

من حقوق الزوج أيضاً ----- ١١٥ ...

النهى عن وضع المرأة ثيابها في غير بيتها ----- ١١٨ ...

النهى عن صيام المرأة وزوجها شاهد ----- ١١٨ ...

النهى عن إنفاق المرأة إلا بإذن زوجها ----- ١١٩ ...

النهى طلب الطلاق ----- ١٢٠ ...

الصبر على فقر الزوج ----- ١٢٠ ...

النهى عن هجر الفرش ----- ١٢١ ...

حق الزوجة ----- ١٢٣ ...

النهى عن الهجر إلا في البيت ----- ١٢٥ ...

مساعدة الرجل زوجته في شئون البيت ----- ١٢٦ ...

صبر الرجل وحلمه -----

--- ... ١٢٦

التحذير عن التلويح بالطلاق ----- ...

١٢٧

----- النهى عن إطالة فترة الغياب

... ١٢٧

----- وصايا الزوجين

--- ... ١٢٨

(٣٠٤/١)

----- سلوكيات

----- ... ١٣٠

----- حسن العشرة حديث أم زرع

... ١٣٠

----- من صور حسن العشرة أيضاً

... ١٣٩

----- النهى عن الطرق ليلاً

--- ... ١٣٩

----- مراعاة غير النساء

--- ... ١٤٠

----- النهى عن الضرب المبرح

... ١٤٣

----- سلوكيات

----- ... ١٤٦

----- ترخيم اسم الزوجة

--- ... ١٤٦

----- سلوكيات الزوجة

--- ... ١٤٨

----- تحريم إفشاء سر الإفشاء

... ١٤٨

----- التحذير من كفران العشير

... ١٥٠

----- إظهار المرأة غضبها

... ١٥١

----- الزوجة لا تحمد زوجها

... ١٥٢

... كيف يستديم محبة زوجته -----

١٥٣

----- النهى عن طاعة الزوج فيما يخالف الشرع ... ١٥٦

----- النساء ناقصات عقل ودين

... ١٥٧

----- الزواج في بيت الأهل

... ١٥٩ -

----- كذب الرجل على زوجته

... ١٦٠ -

----- كذب المرأة على زوجها

... ١٦٠

----- فتي الأحلام

----- ١٦٠ ...

----- الفرق بين الزوج والمرأة

... ١٦٢

----- الفرق بين البعل والزوج

... ١٦٧ -

(٣٠٥/١)

----- أبواب الجماع

----- ١٦٨ ...

أحكام الجماع	---
...	١٦٨ ---
فنون الجماع وأشكالها	---
...	١٧٣ ...
شُبُه وردود	-----
...	١٨١ ... -----
أحكام الوطء في الدبر	-----
...	٢١٢ ...
أحكام الوطء في الحيض	-----
...	١٢١ ...
حكم العزل	-----
...	١٣١ ... -----
أضرار العادة السرية	-----
...	١٣٤ ... --
كيفية العلاج	-----
...	١٣٦ ... -----
كيفية علاج المربوط	-----
...	٢٦٤ ... -